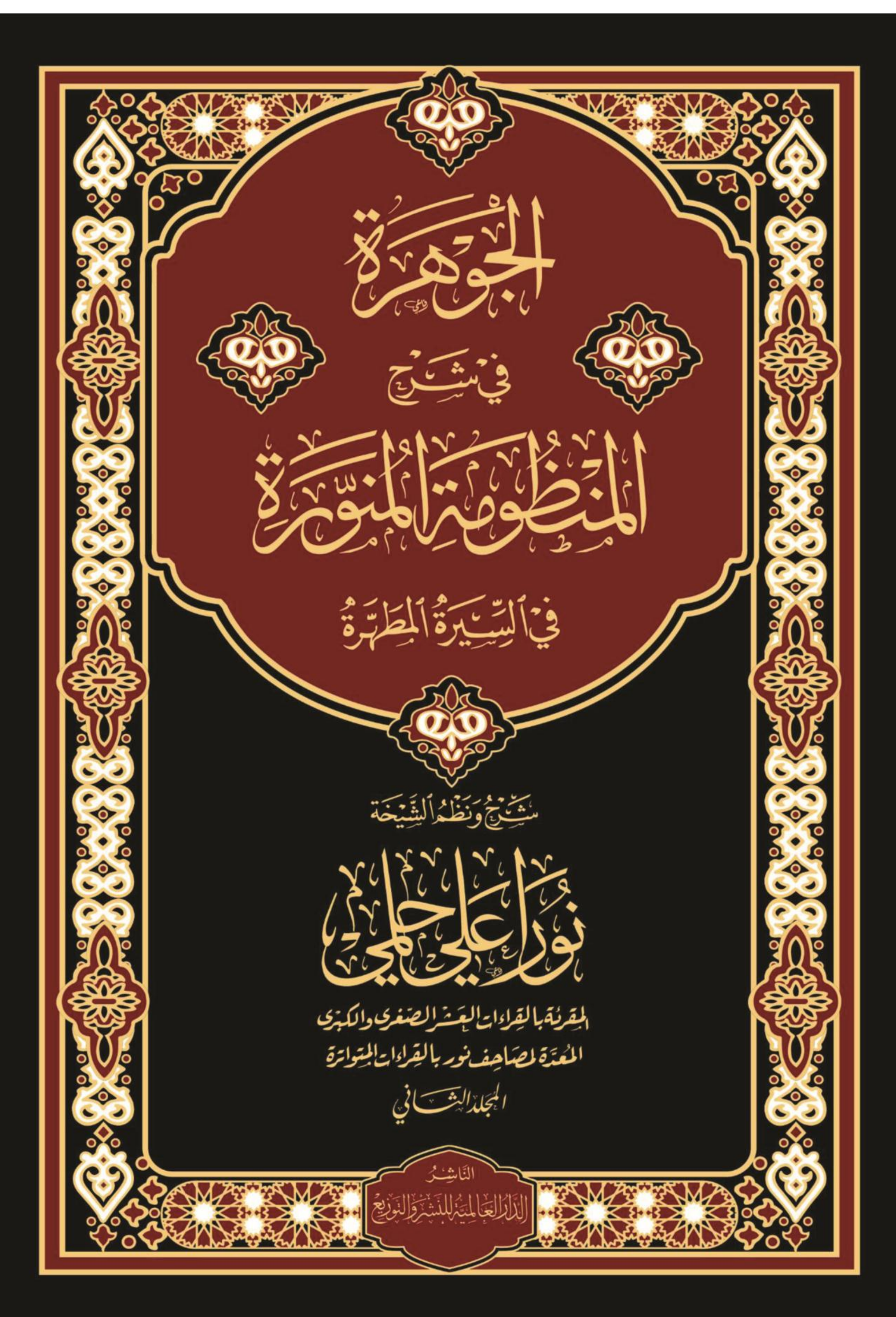

الجوهرة
في شرح
المنظومة المنورة
في السيرة المطهرة
شرح ونظم الشيخة
نور علي حلمي
المقرئة بالقراءات العشر الصغرى والكبرى
المعدة لمصاحف نور بالقراءات المتواترة
المجلد الثاني
الناشر
الدار العالمية للنشر والتوزيع



الجوهرة

في شرح

المنظومة المنورة

في السيرة المطهرة

شرح ونظم الشيخة

نور علي حلمي

المقرئة بالقراءات العشر الصغرى والكبرى

المعدة لمصاحف نور بالقراءات المتواترة

المجلد الثاني

الناشر

الدار العالمية للنشر والتوزيع

اسم الكتاب: الجوهرة في شرح المنظومة المنورة في السيرة المطهرة

عدد المجلدات: ثلاثة

رقم هذا المجلد: الثاني

المؤلفة: الشيخة نورا علي حلمي حفظها الله

رقم الإيداع: ٢٣٠٥٥ /٢٠٢٤

الترقيم الدولي: ٩٧٨ - ٩٧٧ - ٧٤٤ - ٩٥٥ - ٧

الناشر: الدار العالمية للنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى سيدنا رسول اللّه ﷺ



أولى خطوات هجرة النبي ﷺ للمدينة:

* بعدما فشلت خطة قريش وعصارة لؤمهم التي هي من قرارة خبثهم، وكان قد اختير لها أحد عشر رئيسا، هم:(الحكم بن أبي العاص، وعقبة بن أبي مُعَيْط وأبو جهل بن هشام، والنضر بن الحارث، وأمية بن خلف، أُبَي بن خلف، أبو لهب، طُعَيمَة بن عَدِي، زَمْعَة بن الأسود، نبيه بن الحجاج، مُنَبِّه بن الحجاج)، هؤلاء الذين قد أرضعوا بلبان اللؤم ورُبُّوا في حجر الشر والشؤم، ونعى الشيطان في آذانهم واستجابوا له فأوسعهم تسويلا واستهواهم تغريرا وتضليلا، ونفخ في سَحْرِهم ومناخرهم وضرب بالأسداد بين أولهم وآخرهم؛ فتهافتوا على باب النبي ﷺ تهافت البق في الشهاب وحاموا حول سياج العناية الربانية ببيته كالذباب على الشراب وما هم إلا كالفراش الذي دنا من التبار وحام حول النار حتى احترقت قلوبهم بنار الفشل الذريع، وكان قد أخبر سيدنا جبريل عليه السلام النبي ﷺ بخطتهم الماكرة، كما كان من عادة النبي ﷺ أن ينام بعد صلاة العشاء ثم يخرج

بعد منتصف الليل لصلاة قيام الليل في المسجد الحرام فخالف ذلك في تلك الليلة وخرج في الوقت الذي ظن فيه الكفار أنه نائم، ونام سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه في فراشه وتسجى ببرده الحضرمي الأخضر بعدما طلب منه النبي ﷺ أن ينام مكانه ولن يصيبه مكروه، وبعدما خرج النبي ﷺ رغم تيقظهم ووضع على رؤوسهم جميعا التراب اتجه لبيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه لتبدأ أولى خطوات الهجرة المباركة للمدينة.


العهد المدني
(١-١١ هجرية)



الهجرة النبوية

١٠٢ ـ وَكَانَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ هِجْرَةُ أَحْمَدٍ
وَرَافَقَهُ الصِّدِّيقُ فِيهَا وَوُصِّلَا

١٠٣ ـ إِلَى طَيْبَةٍ مِنْ مَكَّةٍ هَاجَرَا مَعاً
بِسَابِعَ مَعْ عِشْرِينَ مِنْ صَفَرَ الْعُلَا

١٠٤ ـ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ بِثَوْرٍ مُكُوثُهُ
وَأَمَّا قُبَاءُ أَرْبَعٌ مِنْهُ جُمِّلَا

١٠٥ ـ بِالِاثْنَيْنِ اثْنَيْ عَشْرَ شَهْرِ رَبِيعَ قَدْ
أَتَى أَوَّلاً، وَأُسِّسَ الْمَسْجِدُ الْأَوَّلُ عُلَى

١٠٦ ـ فَقَدْ وَصَلَ الْهَادِي قُبَاءً وَحِبُّهُ
وَأَسَّسَهُ عِنْدَ الْوُصُولِ مُبَسْمِلَا

المعنى: بدايةً ما جاء في الأبيات بإيجاز: قد أذن الله للنبي ﷺ – في السابع والعشرين من شهر صفر من السنة الرابعة عشرة من البعثة الذي وافق اثني عشر من

شهر سبتمبر من سنة اثنين وعشرين وستمائة - أن يهاجر من مكة إلى المدينة ورافقه الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وخرجا مسرعَين قبل طلوع الفجر، وسلكا طريقا مضادا للطريق الذي ستتجه له قريش، وفي طريقهما مكثا بغار ثور ثلاث ليال، وفي قباء أربعة أيام وأسس مسجد قباء وصلى فيه، وهو أول مسجد أسس على التقوى بعد البعثة.

تنسم من نسائم سيرته ﷺ عبير ما يلي:

* لنقرأ أولا ما جاء على لسان أم المؤمنين عائشة، وما رواه أبو موسى الأشعري وابن عباس رضي اللهم عنهم جميعا، وسأتبع هذه الأحاديث بشرحي لها في عشر نقاط إن شاء الله.

* عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : "استأذَنَ أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّبيَّ ﷺ في الخروجِ مِن مكَّةَ حينَ اشتَدَّ عليه الأمرُ فقال له النَّبيُّ ﷺ: (اصبِرْ) فقال: يا رسولَ اللهِ تطمَعُ أنْ يُؤذَنَ لك ؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: (إنِّي لَأرجو) فانتظَره أبو بكرٍ فأتاه رسولُ اللهِ ﷺ

ذاتَ يومٍ ظُهرًا فناداه فقال له: (أخرِجْ مَن عندَك) فقال أبو بكرٍ: إنَّما هما ابنتاي يا رسولَ اللهِ فقال: (أشعَرْتَ أنَّه قد أُذِن لي في الخروجِ) ؟ فقال: يا رسولَ اللهِ الصُّحبةُ فقال النَّبيُّ ﷺ: (الصُّحبةُ) قال: يا رسولَ اللهِ عندي ناقتانِ قد كُنْتُ أعدَدْتُهما للخروجِ قالت: فأعطى النَّبيَّ ﷺ إحداهما وهي الجَدعاءُ فركِبا حتَّى أتَيَا الغارَ وهو بثَوْرٍ فتوارَيا فيه وكان عامرُ بنُ فُهَيْرةَ غلامًا لعبدِ اللهِ بنِ الطُّفَيلِ بنِ سَخْبرةَ أخو عائشةَ لِأمِّها وكان لأبي بكرٍ رضي الله عنه مِنْحَةٌ فكان يرُوح بها ويغدو عليهم ويُصبِحُ فيَدَّلِجُ إليهما ثمَّ يسرَحُ فلا يفطَنُ به أحَدٌ مِن الرِّعاءِ فلمَّا خرَجا خرَج معهما يُعقِبانِه حتَّى قدِموا المدينةَ"(١).

* وعن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: "رَأَيْتُ في المَنامِ أنِّي أُهاجِرُ مِن مَكَّةَ إلى أرْضٍ بها نَخْلٌ، فَذَهَبَ وهَلِي إلى أنَّها اليَمامَةُ أوْ هَجَرُ، فإذا هي المَدِينَةُ يَثْرِبُ، ورَأَيْتُ في رُؤْيايَ هذِه أنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا، فانْقَطَعَ صَدْرُهُ فإذا هو ما أُصِيبَ مِنَ المُؤْمِنِينَ يَومَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ بأُخْرَى فَعادَ أحْسَنَ ما كانَ فإذا هو ما جاءَ اللَّهُ به مِنَ

(١) صحيح ابن حبان (٦٢٧٩).

الفَتْحِ، واجْتِماعِ المُؤْمِنِينَ ورَأَيْتُ فيها بَقَرًا، واللهُ خَيْرٌ فإذا هُمُ المُؤْمِنُونَ يَومَ أُحُدٍ، وإذا الخَيْرُ ما جاءَ اللهُ به مِنَ الخَيْرِ وثَوابِ الصِّدْقِ، الذي آتانا اللهُ بَعْدَ يَومِ بَدْرٍ"(١).

* وعن ابنِ عباسٍ، قال: "لما خرجَ رسول اللهِ ﷺ من مكةَ قال: أمَا واللهِ إني لأَخرجُ منكِ وإني لأعلمُ أنك أحبّ بلادِ اللهِ إلى اللهِ، وأكرمهُ على اللهِ ؛ ولولا أهلكِ أخرجُوني منك ما خَرجتُ"(٢).

* وعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قال النَّبيُّ ﷺ للمُسلمين: «إنِّي أُريتُ دارَ هِجرتِكُم ذاتَ نَخلٍ بين لابَتَيْنِ». وهُما الحَرَّتانِ، فهاجر مَن هاجر قِبَلَ المدينةِ، ورجع عامَّةُ مَن كان هاجر بأرضِ الحَبشةِ إلى المدينةِ، وتَجهَّز أبو بكرٍ قِبَلَ المدينةِ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «على رِسْلِكَ، فإنِّي أرجو أن يُؤذنَ لي». فقال أبو بكرٍ: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: «نعم». فحبَس أبو بكرٍ نَفْسَهُ على رسولِ الله ﷺ لِيصحبَهُ، وعلَف راحِلتينِ كانتا عنده وَرَقَ السَّمُرِ -وهو الخَبَطُ- أربعةَ أشهُرٍ. قال ابنُ

---

(١) (حديث صحيح، صحيح البخاري:(٣٦٢٢).

(٢) من أصح الأخبار، التمهيد: (٦/ ٣٣)، وأخرجه الترمذي (٣٦٢٩)، وابن حبان (٣٧٠٩).

شهابٍ: قال عُروةُ: قالت عائشةُ: فبينما نحن يومًا جُلوسٌ في بيتِ أبي بكرٍ في نَحْرِ الظَّهيرةِ، قال قائلٌ لأبي بكرٍ: هذا رسولُ الله ﷺ مُتقنِّعًا، في ساعةٍ لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكرٍ: فِداءٌ له أبي وأمِّي، والله ما جاء به في هذه السَّاعةِ إلَّا أَمْرٌ، قالت: فجاء رسولُ الله ﷺ فاسْتأذَن، فأُذِنَ له فدخل، فقال النَّبيُّ ﷺ لأبي بكرٍ: «أَخْرِجْ مَن عندك». فقال أبو بكرٍ: إنَّما هُم أَهلُك، بأبي أنت يا رسولَ الله. قال: «فإنِّي قد أُذِنَ لي في الخُروجِ». فقال أبو بكرٍ: الصُّحبة بأبي أنت يا رسولَ الله؟ قال رسولُ الله ﷺ: «نعم». قال أبو بكرٍ: فَخُذْ -بأبي أنت يا رسولَ الله- إحدى راحِلَتي هاتينِ، قال رسولُ الله ﷺ: «بالثَّمنِ». قالت عائشةُ: فجَهَّزناهُما أَحَثَّ الجِهازِ، وصنعنا لهُما سُفْرَةً في جِرابٍ، فقطعتْ أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ قِطعةً مِن نِطاقِها فربطتْ به على فَمِ الجِرابِ، فبذلك سُمِّيت: ذاتَ النِّطاقينِ. قالت: ثمَّ لَحِقَ رسولُ الله ﷺ وأبوبكرٍ بِغارٍ في جبلِ ثَوْرٍ، فَكَمَنَا فيه ثلاثَ ليالٍ، يَبيتُ عندهما عبدُ الله بنُ أبي بكرٍ، وهو غلامٌ شابٌّ، ثَقِفٌ لَقِنٌ، فَيُدْلِجُ مِن عندهِما بِسَحَرٍ، فيُصبحُ مع قُريشٍ بمكَّةَ كَبائِتٍ،

فلا يسمعُ أمرًا، يُكتادانِ به إلَّا وعاهُ، حتَّى يأتيَهُما بخبرِ ذلك حين يَختلِطُ الظَّلامُ، ويَرعى عليهِما عامرُ بنُ فُهيرةَ، مولى أبي بكرٍ مِنْحَةً مِن غَنَمٍ، فيُريحُها عليهِما حين تَذهبُ ساعةٌ مِنَ العِشاءِ، فيَبيتانِ في رِسْلٍ، وهو لبنُ مِنْحَتِهِما ورَضِيفِهِما، حتَّى يَنْعِقَ بها عامرُ بنُ فُهيرةَ بِغَلَسٍ، يفعلُ ذلك في كُلِّ ليلةٍ مِن تلك اللَّيالي الثَّلاثِ، واسْتأجر رسولُ الله ﷺ وأبو بكرٍ رجلًا مِن بني الدِّيلِ، وهو مِن بني عبدِ بنِ عَدِيٍّ، هادِيًا خِرِّيتًا - والخِرِّيتُ الماهرُ بالهِدايةِ- قد غَمَسَ حِلْفًا في آلِ العاصِ بنِ وائلٍ السَّهميِّ، وهو على دينِ كُفَّارِ قُريشٍ، فأَمِناهُ فدَفعا إليه راحِلَتَيْهِما، وواعَداهُ غارَ ثَوْرٍ بعدَ ثلاثِ ليالٍ، بِراحِلَتيهِما صُبْحَ ثلاثٍ، وانطلق معهما عامرُ بنُ فُهيرةَ والدَّليلُ، فأخذ بهم طريقَ السَّواحلِ. قال: سُراقةُ بنُ جُعْشُمٍ: جاءنا رُسُلُ كُفَّارِ قُريشٍ، يجعلون في رسولِ الله ﷺ وأبي بكرٍ، دِيَةَ كُلِّ واحدٍ منهما، مَن قَتلهُ أو أَسَرهُ، فبينما أنا جالسٌ في مجلسٍ مِن مجالسِ قَومي بني مُدْلِجٍ، أقبل رجلٌ منهم حتَّى قام علينا ونحن جُلوسٌ، فقال يا سُراقةُ: إنِّي قد رأيتُ آنفًا أَسْوِدَةً بالسَّاحلِ، أُراها محمَّدًا

وأصحابَه، قال سُراقةُ: فعرَفتُ أنَّهم هُم، فقلتُ له: إنَّهم لَيسوا بهِم، ولكنَّك رأيتَ فُلانًا وفُلانًا، انطلَقوا بِأَعْيُنِنا، ثمَّ لَبِثْتُ في المجلسِ ساعةً، ثمَّ قمتُ فدخلتُ فأمرتُ جاريتي أن تَخرُجَ بفَرسي، وهي مِن وراءِ أَكَمَةٍ، فتَحبِسَها عليَّ، وأخذتُ رُمحي، فخرجتُ به مِن ظَهرِ البيتِ، فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ الأرضَ، وخَفضتُ عالِيَهُ، حتَّى أتيتُ فَرسي فركِبتُها، فرفَعتُها تُقَرِّبُ بي، حتَّى دَنوتُ منهم، فعَثَرَتْ بي فَرسي، فخَررتُ عنها، فقمتُ فأَهويتُ يدي إلى كِنانتي، فاسْتخرجتُ منها الأَزلامَ فاسْتقسَمتُ بها: أَضرُّهُم أم لا، فخرج الذي أَكرهُ، فركِبتُ فَرسي، وعصيتُ الأَزلامَ، تُقَرِّبُ بي حتَّى إذا سمعتُ قِراءةَ رسولِ الله ﷺ، وهو لا يَلتفتُ، وأبو بكرٍ يُكثِرُ الالتِفاتَ، ساختْ يَدا فَرسي في الأرضِ، حتَّى بَلغتا الرُّكبَتينِ، فخررتُ عنها، ثمَّ زجرتُها فنهَضتْ، فلم تكدْ تُخرِجُ يدَيها، فلمَّا استوت قائمةً إذا لِأثَرِ يدَيها عُثانٌ ساطعٌ في السَّماءِ مِثلُ الدُّخانِ، فاسْتقسَمتُ بالأَزلامِ، فخرج الذي أَكرهُ، فنادَيتُهم بالأَمانِ فوقفوا، فركِبتُ فَرسي حتَّى جِئتُهم، ووقع في نفسي حين لَقِيتُ ما لَقِيتُ مِنَ الحَبسِ عنهم أن

سَيظهرُ أَمْرُ رسولِ الله ﷺ، فقلتُ له: إنَّ قومَك قد جعلوا فيك الدِّيةَ، وأخبرتُهم أخبارَ ما يُريدُ النَّاسُ بهِم، وعرضتُ عليهم الزَّادَ والمتاعَ، فلم يَرْزآني ولم يَسألاني، إلَّا أن قال: «أَخْفِ عَنَّا». فسألتُه أن يَكتُبَ لي كتابَ أَمْنٍ، فأمر عامرَ بنَ فُهيرةَ فكتب في رُقعةٍ مِن أَديمٍ، ثمَّ مَضى رسولُ الله ﷺ . وعن عُروةَ بنِ الزُّبيرِ: أنَّ رسولَ الله ﷺ لَقِيَ الزُّبيرَ في رَكْبٍ مِنَ المسلمين، كانوا تُجَّارًا قافِلين مِن الشَّأْمِ، فكَسا الزُّبيرُ رسولَ الله ﷺ وأبا بكرٍ ثِيابَ بَياضٍ، وسمِع المسلمون بالمدينةِ مَخرجَ رسولِ الله ﷺ مِن مكَّةَ، فكانوا يَغدون كُلَّ غَداةٍ إلى الحَرَّةِ، فيَنتظِرونَهُ حتَّى يَرُدَّهُم حَرُّ الظَّهيرةِ، فانقلبوا يومًا بعد ما أطالوا انتظارَهُم، فلمَّا أَوَوْا إلى بُيوتِهم، أَوفى رجلٌ مِن يَهودَ على أُطُمٍ مِن آطامِهِم، لِأَمْرٍ يَنظرُ إليه، فبصر برسولِ الله ﷺ وأصحابِه مُبَيَّضِين يَزولُ بهِم السَّرابُ، فلم يملِك اليَهوديُّ أن قال بأعلى صوتِه: يا مَعاشِرَ العربِ، هذا جَدُّكُم الذي تَنتظِرون، فثار المسلمون إلى السِّلاحِ، فتَلَقَّوْا رسولَ الله ﷺ بظَهْرِ الحَرَّةِ، فعَدل بهِم ذاتَ اليمينِ، حتَّى نزل بهِم في بني عَمرِو بنِ عَوفٍ،

وذلك يومَ الاثنينِ مِن شهرِ ربيعٍ الأوَّلِ، فقام أبو بكرٍ للنَّاسِ، وجلس رسولُ الله ﷺ صامتًا، فطَفِقَ مَن جاء مِنَ الأنصارِ -ممَّن لم يَرَ رسولَ الله ﷺ - يُحَيِّي أبا بكرٍ، حتَّى أصابتِ الشَّمسُ رسولَ الله ﷺ، فأقبل أبو بكرٍ حتَّى ظَلَّلَ عليه بِردائِه، فعرَف النَّاسُ رسولَ الله ﷺ عند ذلك فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله ﷺ ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربدا للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته هذا إن شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا لا بل نهبه لك يا رسول الله فأبى رسول الله أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول وهو ينقل اللبن هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر، **ويقول:**

* اللهم إن الأجر أجر الآخرةْ فارحم الأنصار والمهاجرةْ.

* فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت (١).

* وعن عبد الله بن أبي شيبة حدثنا أبو أسامة حدثنا هشام عن أبيه وفاطمة عن أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا صنعت سفرة للنبي ﷺ وأبي بكر حين أرادا المدينة فقلت لأبي ما أجد شيئا أربطه إلا نطاقي قال فشقيه ففعلت فسميت ذات النطاقين قال ابن عباس أسماء ذات النطاقين (٢).





(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: (٣٦٩٤/ ص٢٧١، ٢٧٢/ ج٧).

(٢) نفس المصدر: (٣٦٩٥/ ص٢٩١، ج٧)

شرح وتفصيل الجوهرة لما ورد في أحاديث هجرة النبي ﷺ حتى ساعة دخوله المدينة في ست نقاط:

١ - عندما غادر الحبيب ﷺ بيته في ليلة السابع والعشرين من شهر صفر في السنة الرابعة عشرة للنبوة وذهب لبيت أبي بكر وأخبره بأن الله قد أذن لهما بالهجرة وتحققت أمنية الصديق رضي الله عنه بذلك، وخرجا من الباب الخلفي لدار الصديق رضي الله عنه قبل طلوع الفجر على عجل، وقد فَطِن النبي ﷺ لتفكير قريش عند بحثهم عنه ولسيرهم في الطريق الرئيسي للمدينة المتجه شمالا؛ فاتجه للطريق الواقع جنوب مكة يمينا، وسار النبي ﷺ مع صاحبه خمسة أميال ثم دخلا غار ثور في قمة جبل ثور وهو جبل كبير صعب المرتقى وذو أحجار كثيرة.

٢- وبعد دخول النبي ﷺ والصديق إلى الغار أقسم الصديق أن يدخله قبله ليفديَ النبي ﷺ إن كان بداخل الغار ضرر، فلما دخل كسحه وسدَّ ثقبا كان فيه بقطعة من إزاره شقها على الفور عندما رأى ذلك الثقب ليسدَّه بها، وبقي اثنان فجلس وألقمهما رجليه، ثم دخل النبي ﷺ ووضع رأسه على حجر الصديق رضي الله عنه ونام،

فلُدِغَ أبو بكر في رجله من الجحر، ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله ﷺ ولكن سقطت دموعه على وجه النبي ﷺ؛ فشعر النبي به وقال: مالك يا أبا بكر، فقال الصديق رضي الله عنه: لُدِغت فداك أبي وأمي، فتفل رسول الله ﷺ، فذهب ما وجده الصديق من ألم، وكان عبد الله بن أبي بكر يأتي ليبيت عندهما ليأتيهما بالأخبار من مكة وبما يدور بين صناديد قريش، ومكث النبي ﷺ والصديق رضي الله عنه في الغار ثلاث ليال، ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد، وكان عامر بن فهيرة مولى الصديق رضي الله عنهما يرعى عليهما مِنْحَة من غنم، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رِسْل - وهو لبن منحتهما - ورضيفِهما حتى يَنْعِق بها عامر بِغَلَس، وكان يتبع بغنمه أثر عبد الله بن أبي بكر بعد ذهابه إلى مكة لِيمحوها، وكان يفعل ذلك في كل ليلة من الثلاث.

٣- وحينما تأكدت قريش من نجاة النبي ﷺ وفشل مؤامرة قتله طارت كل مطار بين سمع الأرض وبصرها لا تدري ما تطوي من حجرها ومدرها، طارت بقوادم

فشل وطاحت بين سقوط أسفل أمل وجنون بحث عن أشرف مرتَحِل، وكلما بحثت عنه تقلبت بهم المزال والمداحض، وتساقطت بمجرميها قواهم النواهض؛ فجُمِعَ على الخيبة شتاتهم، ثم هاموا على وجوههم لا يدرون أفي طريق الشمال يطلبونه أم في طريق الجنوب يجدونه وتراب الأرض يشتمهم، ونجوم السماء ترجمهم، وهم في بادئ الأمر قد ضربوا عليًّا رضي الله عنه وسحبوه إلى الكعبة وحبسوه ساعة كي يظفروا بخبر الصاحبين ثم ذهبوا لبيت الصديق رضي الله عنه وسألوا عنه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها ولما أجابتهم بقولها: (لا أدري والله أين أبي) لطم خدها أبوجهل لطمة طرح منها قرطها، ثم أعلنت قريش عن مكافأة كبيرة قدرها مائة ناقة بدل كل واحد من الصاحبين لمن يعيدهما إلى قريش حيين أو ميتين، واشتد البحث حتى وصل الكفار لباب الغار ورأى الصديق رضي الله عنه أقدامهم، وقال: يا نبي الله، لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا. قال: " ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما"، وبعد أن نكص المطاردون خائبين لا يجدون مِن الخضراء عنهما خبرا ولا في

الغبراء لهما أثرا وتوقف البحث تأهب النبي ﷺ وصاحبه للخروج للمدينة، وكانا قد استأجرا خِرِّيتًا يدلهم على الطريق اسمه: عبد الله بن أُرَيْقِط الليثي، وكان كافرا لكن أمَّنَاه وسلما إليه راحلتيهما، وفي ليلة الاثنين غرة ربيع الأول في السنة الأولى للهجرة جاءهما عبد الله بن أريقط بالراحلتين، وراحلة النبي ﷺ كان قد عرضها عليه أبو بكر ليلة المؤامرة قبل الخروج من بيت أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقال له: بأبي أنت يا رسول الله، خذ إحدى راحلتي هاتين، وقرب إليه أفضلهما، فقال رسول الله ﷺ: "بالثمن"، وجاءت حينها أسماء بنت أبي بكر بسُفْرَتِهما لتعلقها فلم تجد عصاما لتعلق به السفرة فشقت نطاقها باثنين فعلقت السفرة بواحد وانتطقت بالآخر فسميت: ذات النطاقين.

٤- وعندما ارتحل النبي ﷺ والصديق وعامر بن فهيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وكان معهم عبد الله بن أريقط مشوا أسفل مكة ثم على طريق السواحل ومشوا في اتجاه الجنوب نحو اليمين ثم في اتجاه الغرب نحو الساحل، وبعدها مشوا في طريق غير مألوف، ومروا

بالعديد من الأماكن حتى هبطوا بطن رِئْم ثم قباء، ومما جاء في ذلك قول ابن إسحاق: "فلما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط، سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل، حتى عارض الطريق أسفل من عسفان، ثم سلك بهما على أسفل أمج، ثم استجاز بهما، حتى عارض بهما الطريق، بعد أن جاز قُدَيْدًا، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك، فسلك بهما الخَرَّار، ثم سلك بهما ثنية الْمَرَة، ثم سلك بهما لِقْفًا.

* **قال ابن هشام:** ويقال: لِفْتًا. قال مَعْقِلُ بن خويلد الْهُذَلي:

نزيعا مُحْلِبًا من أهلِ لِفْت لِحَيٍّ بين أَثْلَةَ والنَّجَامِ، قال ابن إسحاق: ثم أجاز بهما مَدْلَجَةَ لِقْفٍ ثم استبطن بهما مدلجة مِجَاج ويقال: مَجَاج، فيما قال ابن هشام - ثم سلك بهما مَرْجِحَ مَجَاج، ثم تبطن بهما مرجح من ذي الْغُضْوَيْن، قال ابن هشام: ويقال: الْعَضوَيْن - ثم بطن ذي كَشْرَ، ثم أخذ بهما على الْجَدَاجِد، ثم على الأجرد، ثم سلك بهما ذا سَلَم، من بطن أعدًا مَدْلَجَة تعْهِن، ثم على الْعَبَابِيد.

*** قال ابن هشام:** ويقال: العَبَابِيب، ويقال: الْعَثْيَانَة، يريد: العبابيب، قال ابن إسحاق: ثم أجاز بهما الْفَاجَة، ويقال:(الْقَاحَة، فيما قال ابن هشام)، وقال: ثم هبط بهما الْعَرْجَ، وقد أبطأ عليهما بعض ظهرهم، فحمل رسول الله ﷺ رجل من أسلم، يقال له: أوس بن حجر، على جمل له - يقال له: ابن الرداء - إلى المدينة، وبعث معه غلاما له، يقال له: مسعود بن هُنَيدة، ثم خرج بهما دليلهما من العَرْجَ، فسلك بهما ثَنِيَّة العائر، عن يمين ركوبة (ويقال: ثنية الغائر، فيما قال ابن هشام) حتى هبط بهما بطن رئم، ثم قدم بهما قباء، على بني عمرو بن عوف، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين، حين اشتد الضحاء، وكادت الشمس تعتدل"(١).

٥- أحداث في الطريق للمدينة:

ومضة الجوهرة: لقد تجلت في الطريق للمدينة من محبة الصديق رضي الله عنه وعطفه وحنانه على النبي ﷺ أجمل الصور بمخالصةٍ لا تتباين بها الأرواح

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، طبعة دار المنار: (ج١/ ص٢٦١، ٢٦٢).

والمهج وإن تباينت البلدان والنُّهُج، مخالصة ربت على كل معاني الإخلاص والحرمة، وعُدّت في شواجر الرحم واللُّحمة؛ تراها عندما تقرأ كيف سوَّى الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مكانا للنبي ﷺ لينام عليه وبسط عليه فروة وقال له نم يا رسول الله وأنا أنفض لك ما حولك، وحينما قال عن النبي ﷺ: "فشرب حتى رضيت"، قال ذلك بحال كحال القربى أو أخص، وامتزاج النفوس أو أمس، وكأنه حلَّ منه مَحِلَّ العضو من الجسد واللب من الكبد، وزاد في حبه على ما يبلغه الأخ والعم، والأقربون باللحم والدم، وما رضي بشربه على ذلك النحو إلا لأن المهجة قد مُزِجَت بالمهجة، وذلك يتضح في هذا الحديث:

* عن البراء ابن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: "ابْتاعَ أبو بَكْرٍ مِن عازِبٍ رَحْلًا، فَحَمَلْتُهُ معهُ، قالَ: فَسَأَلَهُ عازِبٌ عن مَسِيرِ رَسولِ اللهِ ﷺ، قالَ: أُخِذَ علَيْنا بالرَّصَدِ، فَخَرَجْنا لَيْلًا فأحْثَثْنا لَيْلَتَنا ويومَنا حتَّى قامَ قائِمُ الظَّهِيرَةِ، ثُمَّ رُفِعَتْ لنا صَخْرَةٌ، فأتَيْناها ولَها شيءٌ مِن ظِلٍّ، قالَ: فَفَرَشْتُ لِرَسولِ اللهِ ﷺ فَرْوَةً مَعِي، ثُمَّ اضْطَجَعَ عليها النبيُّ

ﷺ فانْطَلَقْتُ أنْفُضُ ما حَوْلَهُ، فإذا أنا براعٍ قدْ أقْبَلَ في غُنَيْمَةٍ يُرِيدُ مِنَ الصَّخْرَةِ مِثْلَ الذي أرَدْنا، فَسَأَلْتُهُ: لِمَن أنْتَ يا غُلامُ؟ فقالَ: أنا لِفُلانٍ، فَقُلْتُ له: هلْ في غَنَمِكَ مِن لَبَنٍ؟ قالَ: نَعَمْ، قُلتُ له: هلْ أنْتَ حالِبٌ؟ قالَ: نَعَمْ، فأخَذَ شاةً مِن غَنَمِهِ، فَقُلتُ له: انْفُضِ الضَّرْعَ، قالَ: فَحَلَبَ كُثْبَةً مِن لَبَنٍ، ومَعِي إداوَةٌ مِن ماءٍ عليها خِرْقَةٌ، قدْ رَوَّأْتُها لِرَسولِ اللهِ ﷺ، فَصَبَبْتُ علَى اللَّبَنِ حتَّى بَرَدَ أسْفَلُهُ، ثُمَّ أتَيْتُ به النبيَّ ﷺ، فَقُلتُ: اشْرَبْ يا رَسولَ اللهِ، فَشَرِبَ رَسولُ اللهِ ﷺ حتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ ارْتَحَلْنا والطَّلَبُ في إثْرِنا"(١).

وتأمل معجزة اللبن على يدي رسول الله ﷺ من الشاة العازب التي خلفها الجهد عن الغنم؛ فقد روى حبيش بن خالد: "أنَّ النَّبيَّ ﷺ حِينَ خرَجَ مِن مكَّةَ خرَجَ مِنها مُهاجِرًا إلى المدينةِ هُوَ وأبو بكرٍ رضي الله عنه، ومَوْلًى لأبي بَكرٍ عامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ، ودليلُهما اللَّيثيُّ عبدُ اللهِ بنُ أُرَيْقِطْ، مرُّوا على خيمتَيْ أُمِّ مَعْبَدٍ الخُزاعِيَّةِ، وكانَتْ بَرْزَةً جَلْدَةً تَحْتَبي بفِناءِ القُبَّةِ، ثُمَّ تَسْقي وتُطعِمُ، فسألوها تمرًا ولحمًا

---

(١) صحيح البخاري (٣٩١٧).

يشتروهُ مِنْها، فلَمْ يُصِيبُوا عِندَها مِن ذلكَ شيئًا، وكانَ القومُ مُرْمِلينَ مُسْنِتِينَ، فنظَرَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى شاةٍ في كَسْرِ الخَيمةِ، فقالَ: ما هذِهِ الشَّاةُ يا أُمَّ مَعْبَدٍ؟ قالَتْ: شاةٌ خلَّفَها الجَهْدُ عَنِ الغنَمِ، قالَ: هَلْ بِها مِن لبَنٍ؟ قالَتْ: هِيَ أجهَدُ مِن ذلكَ، قالَ: أتأذَنِينَ لي أنْ أحلِبَها؟ قالَتْ: نعَمْ، بأبي أنتَ وأُمِّي، إنْ رأيتَ بِها حَلْبًا فاحلَبْها، فدَعا رسولُ اللهِ ﷺ، فمسَحَ بيدِهِ ضَرْعَها، وسمَّى اللهَ عزَّ وجلَّ، ودَعا لَها في شاتِها، فتفاجَّتْ عليهِ ودَرَّتْ واجْتَرَّتْ، ثُمَّ دَعا بإناءٍ يُرِيضُ الرَّهْطَ، فحلَبَ ثَجًّا حتَّى علاهُ البهاءُ، ثُمَّ سَقاها حتَّى رَوِيَتْ، ثُمَّ سَقَى أصحابَهُ حتَّى رَوُوا، ثُمَّ شَرِبَ آخِرُهُمْ، ثُمَّ حلَبَ ثانيًا بَعدَ بَدْءٍ حتَّى ملأَ الإناءَ، ثُمَّ غادَرَهُ، وبايَعَها وارتحَلَ عَنْها، فقَلَّ ما لَبِثَتْ حتَّى جاءَ زَوجُها أبو مَعْبَدٍ يَسوقُ أَعْنُزٍ عِجافًا يَتَساوَكْنَ هَزْلًا، مُخُّهُنَّ قليلٌ، فلمَّا رأى أبو مَعْبَدٍ اللَّبنَ عَجِبَ، وقالَ: مِن أينَ لكِ هذا يا أُمَّ مَعْبَدٍ، والشاةُ عازِبٌ حِيالٌ ولا حَلُوبَ في البيتِ؟

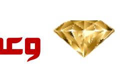
قالَتْ: لا واللهِ، إلَّا أنَّهُ مرَّ بِنا رجُلٌ مُبارَكٌ، مِن حالِهِ كَذا وكَذا، قالَ: صِفِيهِ لي يا أُمَّ مَعْبَدٍ، قالَتْ: رجُلٌ ظاهِرُ الوَضاءةِ، أبلَجُ الوجهِ، حسَنُ الخَلْقِ، لمْ تُعِبْهُ ثُجلةٌ، ولمْ

تُزْرِ بِهِ صَعْلَةٌ، وَسيمٌ قَسيمٌ، في عينَيْهِ دَعَجٌ، وفي أشفارِهِ وَطَفٌ، وفي صوتِهِ صَحَلٌ، وفي عُنُقِهِ سَطَعٌ، وفي لحيتِهِ كثافةٌ، أَزَجُّ أقرَنُ، إنْ صمَتَ فعليهِ الوقارُ، وإنْ تكلَّمَ سَما وعلاهُ البهاءُ، أجملُ النَّاسِ وأبهاهُ مِن بَعيدٍ، وأحلاهُ وأحسنُهُ مِن قريبٍ، حُلْوُ المنطِقِ، فَصْلٌ لا نَزْرٌ ولا هَذَرٌ، كأنَّ منطِقَهُ خَرَزاتٌ نُظِمْنَ يتحدَّرْنَ، رَبْعَةٌ لا تَيْئَسُ مِن طولٍ، ولا تقتحِمُهُ عَينٌ مِن قِصَرٍ، غُصنٌ بَينَ غُصنَيْنِ، فهُوَ أنظَرُ الثلاثةِ مَنظرًا وأحسنُهُمْ قَدْرًا، لَهُ رُفقاءُ يحُفُّونَ بِهِ، إنْ قالَ أنصَتوا لقولِهِ، وإنْ أمَرَ تبادَروا إلى أمْرِهِ، مَحْفُودٌ مَحْشُودٌ، لا عابِسٌ ولا مُفْنِدٌ، قالَ أبو مَعْبَدٍ: فهذا واللهِ صاحِبُ قريشٍ الَّذي ذكَروا مِن أمْرِهِ ما ذكَروا، ولقَدْ همَمْتُ أنْ أَصْحَبَهُ، ولَأَفعَلَنَّ إنْ وجدتُ إلى ذلكَ سبيلًا، وأصبَحَ صوتٌ بمكَّةَ عالٍ، يسمعونَ الصوتَ ولا يدرونَ مَنْ صاحِبُهُ، يقولُ: جَزَى اللهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ رَفِيقَيْنِ قَالَا خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدِ هُمَا نَزَلاهَا بِالْهُدَى وَاهْتَدَتْ بِهِ فَقَدْ فَازَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ فَيَا لَقُصَيٍّ مَا زَوَى اللهُ عَنْكُمُ بِهِ مِنْ فِعَالٍ لا تُجَازَى وَسُؤْدُدِ لِيَهْنَ بَنِي كَعْبٍ مَكَانَ فَتَاتِهِمْ وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ

بِمُرْصَدِ سَلُوا أُخْتَكُمْ عَنْ شَأْنِهَا وَإِنَائِهَا فَإِنَّكُمْ إِنْ تَسْأَلُوا الشَّاةَ تَشْهَدِ دَعَاهَا بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ عَلَيْهِ صَرِيحًا ضَرَّةُ الشَّاةِ مُزْبِدِ فَغَادَرَهَا رَهْنًا لَدَيْهَا لِحَالِبٍ يُرَدِّدُهَا فِي مَصْدَرٍ ثُمَّ مَوْرِدِ فلمَّا سمِعَ بذلكَ حسَّانُ بنُ ثابتٍ الأنصاريُّ رضي الله عنه، شَبَّبَ بجَوابِ الهاتفِ، فقالَ: لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ زَالَ عَنْهُمْ نَبِيُّهُمْ وَقُدِّسَ مَنْ يَسْرِي إِلَيْهِمْ وَيَغْتَدِي تَرَحَّلَ عَنْ قَوْمٍ فَضَلَّتْ عُقُولُهُمْ وَحَلَّ عَلَى قَوْمٍ بِنُورٍ مُجَدَّدِ هَدَاهُمْ بِهِ بَعْدَ الضَّلالَةِ رَبُّهُمْ وَأَرْشَدَهُمْ مَنْ يَتْبَعِ الْحَقَّ يَرْشُدِ وَهَلْ يَسْتَوِي ضَلالُ قَوْمٍ تَسَفَّهُوا عَمَايَتَهُمْ هَادٍ بِهِ كُلَّ مُهْتَدٍ وَقَدْ نَزَلَتْ مِنْهُ عَلَى أَهْلِ يَثْرِبٍ رِكَابُ هُدًى حَلَّتْ عَلَيْهِمْ بِأَسْعَدِ نَبِيٌّ يَرَى مَا لا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ وَيَتْلُو كِتَابَ اللهِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ وَإِنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مَقَالَةَ غَائِبٍ فَتَصْدِيقُهَا فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضُحَى الْغَدِ لِيَهْنَ أَبَا بَكْرٍ سَعَادَةُ جَدِّهِ بِصُحْبَتِهِ مَنْ يُسْعِدِ اللهُ يَسْعَدِ"(١).

---

(١) إثارة الفوائد: (٢/ ٧١٥)، وهو حديث حسن محفوظ من رواية حزام بن هشام كما قال المحدث.

 **وعن هذا الحدث كنتُ قد كتبتُ هذه القصيدة في الديوان المحمدي الثاني:**

حكاية شاة أم معبد

خَلَعَــــتْ ذُكَـــاءُ[1] غُرُورَهَــــا	لَمَّـــا رَأَتْ خَيْـــرَ الْـــوَرَى
وَتَسَـــتَّرَتْ مِـــنْ نُـــورِهِ	لَمَّـــا مَشَـــى فَـــوْقَ الثَّـــرَى
فَـــذَكَرْتُ عَاتِكَـــةٌ وَمَـــا	قَـــدْ حَـــدَّثَتْ وَتَقَـــرَّرَا
وَالـــدَّمْعُ يَهْمِـــي خِلْتُهَـــا	قَـــدْ أَقْبَلَـــتْ كَـــي تُخْبِـــرَا
يَـــا أُمَّ معْبَـــدَ حَـــدِّثِي	كُـــلَّ الْأَنَـــامِ بِمَـــا جَـــرَى
قَالَـــتْ نَعَـــمْ مَـــا كَـــانَ ذَا	أَبَـــدًا حَـــدِيثًا يُفْتَـــرَى
الشَّـــاةُ تَشْـــهَدُ وَالَّـــذِي	خَلَـــقَ الْأَنَـــامَ وَصَـــوَّرَا
خَـــرَجَ الرَّسُـــولُ مُهَـــاجِرًا	وَإِلَـــى الْمَدِينَـــةِ قَـــدْ سَـــرَى
بِـــأَبِي هُنَـــاكَ بِخَيْمَتِـــي	مَـــرَّ الْحَبِيـــبُ وَأَزْهَـــرَا
كَـــي يَشْـــتَرِي مِنِّـــي وَمَـــا	عِنْـــدِي طَعَـــامٌ يُشْـــتَرَى
لَكِـــنْ رَأَى شَـــاةٌ هُنَـــا	عَنْهَـــا تَسَـــاءَلَ هَـــلْ أَرَى
حَلْبًـــا بِهَـــا فَأَجَابَـــهُ	دَاءُ الْهُـــزَالِ وَفَسَّـــرَا
فاسْـــتَأْذَنَ الْهَـــادِي، أَنَـــا	قُلْـــتُ السَّـــمَاحَ وَأَكْثَـــرَا
إِنْ لَاحَ حَلْـــبٌ سَـــرَّنِي	إِنْ شِـــئْتَ فَاحْلِبْهَـــا تَـــرَى

---

(١) ذُكاء: الشمس

مَسَــحَ الْحَبِيــبُ بِضَــرْعِهَا وَهُنَــاكَ سَــمَّى مَــنْ بَــرَا
وَدَعَــا لِشَــاتِي فَــارْتَوَى مِنْهَــا الْجَمِيــعُ وَكَبَّــرَا
وَإِذَا بِزَوجِــي قَــدْ أَتَــى مُتَعَجِّبًــا مُتَحَيِّــرَا
مِــنْ أَيْــنَ جِئْــتِ بِمَــا أَرَى أَوْ مَــا الَّــذِي قَــدْ غُيِّــرَا
شَــاتِي حِيَــالٌ يَــا تُــرَى مَــاذَا عَلَيْهَــا قَــدْ طَــرَا
قُلْــتُ الَّــذِي مِــنْ حُسْــنِهِ فَــاقَ السِّــرَاجَ الْأَنْــوَرَا
وَكَــأَنَّ بَــدرًا بِالسَّــمَا سَــكَنَ الْجَبِــينَ الْأَزْهَــرَا
لَــبِسَ الْبَهَــاءَ، وَحُسْــنُهُ فَــاقَ الصَّــحَابَةَ مَنْظَــرَا
فِــي صَــوْتِهِ صَــهَلٌ لَــهُ قَــدْ أَنْصَــتُوا إِنْ أَخْبَــرَا
ذُو مَنْطِــقٍ خَرَزَاتُــهُ مِــنْ فِيــهِ دُرٌّ حُــدِّرَا
حَــلَّ الْوَقَــارُ رِدَاءَهُ فِــي سَــمْتِهِ فَتَــوَقَّرَا
قَــدْ مَــرَّ يَــا زَوْجِــي؛ حَكَــى: عُرِفَــتْ بِــهِ أُمُّ الْقُــرَى
وَلَأَصْــحَبَنَّ مُحَمَّــدا قَمَــرَ الزَّمَــانِ النَّيِّــرَا
صَــلَّى عَلَيْــهِ اللهُ مَــا ذُكِــرَ اسْــمُهُ أَوْ سُــطِّرَا
وَعَلَيْــهِ سَــلَّمَ مَــا اهْتَــدَى بِهُــدَاهُ عَبْــدٌ حُيِّــرَا
ذَاكَ الَّــذِي لَــوْ أَنَّ لِــي مُلْــكَ الْمَــدِيحِ لَقَصَّــرَا
فِــي حَقِّــهِ حَتَّــى وَإِنْ كَانَــتْ حُرُوفِــي جَــوْهَرَا[1]

---

(١) قصيدة أم معبد بالديوان المحمدي الثاني ل نورا حلمي: (ص٩٥).

* وفي الطريق تبعهما سراقة بن مالك ولاقى من الهوان ما لاقى، قال: "جاءَتْنا رُسُلُ كفَّارِ قُريشٍ يجعَلونَ في رسولِ اللهِ ﷺ وأبي بكرٍ دِيَةَ كلِّ واحدٍ منهما لِمَن قتَلهما أو أسَرهما قال: فبينما أنا جالسٌ في مجلِسٍ مِن مجالسِ قومي بني مُدلِجٍ أقبَل رجُلٌ منها حتَّى قام علينا فقال: يا سُراقةُ إنِّي رأَيْتُ آنفًا أَسوِدَةً بالسَّاحلِ لا أُراها إلَّا محمَّدًا وأصحابَه قال سُراقةُ: فعرَفْتُ أنَّهم هم فقُلْتُ: إنَّهم ليسوا بهم ولكنَّك رأَيْتَ فلانًا وفلانًا انطلَقوا بنا ثمَّ لبِثْتُ في المجلِسِ ساعةً ثمَّ قُمْتُ فدخَلْتُ بيتي فأمَرْتُ جاريتي أنْ تُخرِجَ لي فرَسي وهي مِن وراءِ أكَمَةٍ فتحبِسَها علَيَّ وأخَذْتُ رُمحي فخرَجْتُ به مِن ظَهرِ البيتِ فخطَطْتُ به الأرضَ فأخفَضْتُ عاليةَ الرُّمحِ حتَّى أتَيْتُ فرَسي فركِبْتُها ورفَعْتُها تُقرِّبُ بي حتَّى إذا رأَيْتُ أَسْوِدَتَهم فلمَّا دنَوْتُ مِن حيث يُسمِعُهم الصَّوتُ عثَر بي فرَسي فخرَرْتُ عنها فأهوَيْتُ بيدي إلى كِنانتي فاستخرَجْتُ الأزلامَ فاستقسَمْتُ بها فخرَج الَّذي أكرَهُ فعصَيْتُ الأزلامَ وركِبْتُ فرَسي ورفَعْتُها تُقرِّبُ بي حتَّى إذا سمِعْتُ قراءةَ رسولِ اللهِ ﷺ وهو لا

يلتفتُ وأبو بكرٍ يُكثِرُ الالتفاتَ ساخَتْ يدَا فرَسي في الأرضِ حتَّى بلَغَتا الرُّكبتَيْنِ فخرَرْتُ عنها فزجَرْتُها فنهَضْتُ ولم تكَدْ تُخرِجُ يدَيْها فلمَّا استوَتْ قائمةً إذا عُثَانٌ ساطِعٌ في السَّماءِ قال مَعمَرٌ: قُلْتُ لأبي عمرِو بنِ العَلاءِ: ما العُثَانُ ؟ فسكَت ساعةً ثمَّ قال: هو الدُّخانُ مِن غيرِ نارٍ قال مَعمَرٌ: قال الزُّهريُّ في حديثِه: فاستقسَمْتُ بالأزلامِ فخرَج الَّذي أكرَهُ ألَّا أضُرَّهم فنادَيْتُهما بالأمانِ فوقَفا فركِبْتُ فرَسي حتَّى جِئْتُهم ووقَع في نفسي حتَّى لقِيتُ مِن الحَبْسِ عنهم أنَّه سيظهَرُ أمرُ رسولِ اللهِ ﷺ فقُلْتُ: إنَّ قومَك قد جعَلوا فيك الدِّيَةَ وأخبَرْتُهم مِن أخبارِ أسفارِهم وما يُريدُ النَّاسُ بهم وعرَضْتُ عليهم الزَّادَ والمتاعَ فلَمْ يرزَؤُوني شيئًا ولَمْ يسأَلوني إلَّا أنْ قالوا: أَخْفِ عنَّا فسأَلْتُه أنْ يكتُبَ لي كتابَ مُوادَعةٍ فأمَر به عامرَ بنَ فُهَيرةَ فكتَب لي في رُقعةٍ مِن أَدَمٍ بيضاءَ، ثم مضى رسول الله ﷺ"(١).

(١) تخريج صحيح ابن حبان: (٦٢٨٠).

وفي الطريق إلى المدينة عند كراع الغميم كان بُرَيْدَة بنُ الْحُصَيب الأسلمي في ثمانين نفسا من أهله ولما لقيوا النبي ﷺ أسلموا، وصلى بهم النبي ﷺ صلاة العشاء الآخرة وعلمه ليلتئذٍ صدرا من سورة مريم وظل بريدة في أرض قومه حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة بعد أُحد فشهد معه المشاهد كلها وأقام بالمدينة المنورة، ولما فتحت البصرة نزلها وأقام بها، ثم خرج إلى غزو خراسان ومات في خلافة يزيد بن معاوية.

❈ ومما حدث في الطريق عن أوس بن عبد الله بن حجر الأسلمي قال: "مر بي رسول الله - ﷺ - ومعه أبو بكر بحذوات بين الجحفة وهرشا وهما على جمل واحد، وهما متوجهان إلى المدينة، فحملهما على فحل إبله ابن الرداء، فبعث معهما غلاما له يقال له: مسعود، فقال: اسلك بهما حيث تعلم من محارم الطريق، ولا تفارقهما حتى يقضيا حاجتهما منك ومن جملك، فسلك بهما ثنية الزمحا، ثم سلك بهما ثنية الكوية، ثم سلك بهما المرة، ثم أقبل بهما من شعبة ذات كشط، ثم

سلك بهما المدلجة، ثم سلك بهما الغسانة، ثم سلك ثنية المرة، ثم أدخلهما المدينة، وقد قضيا حاجتهما منه ومن حمله، ثم رجع رسول الله - ﷺ - مسعودا إلى سيده أوس بن عبد الله، وكان مغفلا لا يسم الإبل، فأمره رسول الله - ﷺ - أن يأمر أوسا أن يسمها في أعناقها قيد الفرس.

* **قال صخر بن مالك:** وهو والله يسمها اليوم، وقيد الفرس فيما أرى حلق حلقتين، ومد بينهما مدا. رواه الطبراني" (١).

٦- نزول النبي ﷺ بقباء وتاريخ ذلك كما ورد في الأبيات وبناء أول مسجد أسس على التقوى:

* أقام النبي ﷺ بقباء أربعة أيام: (الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس) حيث نزل فيها يوم الاثنين الثامن من شهر ربيع الأول في السنة الرابعة عشرة من النبوة وهي السنة الأولى للهجرة ووافق ذلك اليوم الثالث والعشرين من شهر سبتمبر في سنة ستمائة واثنين وعشرين من الميلاد، والمشهور والأثبت أنه نزل على كلثوم بن

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: (ج٦، ص٥٥ / ٩٩٠٨).

الهدم، وثاني الأقوال أن النبي ﷺ نزل على سعد بن خَيْثَمَة، وقيل أنه كان يبيت عند كلثوم بن الهدم ثم يكون مجلسه عند سعد بن خَيْثَمَة، ونزل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على خبيب بن إساف، أحد بني الحارث بن الخزرج وقيل على خارجة بن زيد أخي بني بلحارث بن الخزرج.

* وأسس النبي ﷺ مسجد قباء وصلى فيه، وهو أول مسجد أسِّس على التقوى بعد النبوة، ثم سار إلى المدينة في اليوم الخامس وأبو بكر معه بعد أن أرسل إلى بني النجار أخواله الذين جاءوا متقلدين سيوفهم وساروا حوله وكانوا مائة رجل، وأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فجمع بهم في المسجد الذي في بطن الوادي.

* وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد أقام بمكة ثلاث ليال وأيامها ليؤدي عن النبي ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، فلما أدَّاها وفرغ من تلك المهمة لحق بالنبي ﷺ ورحل للمدينة فنزل معه على كلثوم بن هدم.

وإليك بعض الأحاديث والآثار:

"مما روى البخاري، عن الزهري، عن عروة: أن النبي ﷺ دخل المدينة عند الظهيرة، وفي الصحيحين عن البراء بن عازب، عن أبي بكر في حديث الهجرة قال: فقدمنا ليلا فتنازعه القوم أيهم ينزل عليه، فقال رسول الله ﷺ: «أنزل على بني النجار أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك».

* وقال صاحب البداية والنهاية هذا والله أعلم إما أن يكون يوم قدومه إلى قباء فيكون حال وصوله إلى قرب المدينة كان في حر الظهيرة وأقام تحت تلك النخلة ثم سار بالمسلمين فنزل قباء وذلك ليلا، وأنه أطلق على ما بعد الزوال ليلا، فإن العشى من الزوال، وإما أن يكون المراد بذلك لمّا رحل من قباء كما سيأتي فسار فما انتهى إلى بني النجار إلا عشاء.

وذكر البخاري، عن الزهري، عن عروة: أنه نزل في بني عمرو بن عوف بقباء وأقام فيهم بضع عشرة ليلة وأسس مسجد قباء في تلك الأيام، ثم ركب ومعه الناس

حتى بركت به راحلته في مكان مسجده، وكان مربدا لغلامين يتيمين وهما: سهل وسهيل، فابتاعه منهما واتخذه مسجدا، وذلك في دار بني النجار رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

* وقال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة قال: حدثني رجال من قومي من أصحاب النبي ﷺ قالوا: لما بلغنا مخرج النبي ﷺ من مكة وتوكفنا قدومه كنا نخرج إذا صلينا الصبح، إلى ظاهر حرتنا ننتظر النبي ﷺ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال، فإذا لم نجد ظلا دخلنا - وذلك في أيام حارة - حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله جلسنا كما كنا نجلس، حتى إذ لم يبق ظل دخلنا بيوتنا، وقدم رسول الله ﷺ حين دخلنا البيوت فكان أول من رآه رجل من اليهود وقد رأى ما كنا نصنع، وأنا ننتظر قدوم رسول الله ﷺ علينا، فصرخ بأعلا صوته: يا بني قيلة! هذا جدكم قد جاء، فخرجنا إلى رسول الله ﷺ وهو في ظل نخلة، ومعه أبو بكر في مثل سنه، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله ﷺ قبل ذلك، وركبه

الناس وما يعرفونه من أبي بكر، حتى زال الظل عن رسول الله ﷺ، فقام أبو بكر فأظله بردائه، فعرفناه عند ذلك.

* وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم، ثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس بن مالك، قال: إني لأسعى في الغلمان يقولون: جاء محمد، فأسعى ولا أرى شيئا، ثم يقولون: جاء محمد، فأسعى ولا أرى شيئا، قال: حتى جاء رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر، فكمنا في بعض خراب المدينة، ثم بعثنا رجلا من أهل البادية يؤذن بهما الأنصار فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الأنصار حتى انتهوا إليهما فقالت الأنصار: انطلقا آمنين مطاعين، **فأقبل رسول الله ﷺ** وصاحبه بين أظهرهم، فخرج أهل المدينة حتى أن العواتق لفوق البيوت يتراءينه يقلن: أيهم هو؟ أيهم هو؟ فما رأينا منظرا شبيها به.

قال أنس: فلقد رأيته يوم دخل علينا ويوم قبض. فلم أر يومين شبيها بهما.

ورواه البيهقي، عن الحاكم، عن الأصم، عن محمد بن إسحاق الصنعاني، عن أبي النضر هاشم بن القاسم، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس بنحوه - أو مثله -.

* وفي الصحيحين من طريق إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء، عن أبي بكر في حديث الهجرة.

قال: وخرج الناس حين قدمنا المدينة في الطرق وعلى البيوت والغلمان والخدم يقولون: الله أكبر جاء رسول الله، الله أكبر جاء محمد، الله أكبر جاء محمد، الله أكبر جاء رسول الله، فلما أصبح انطلق وذهب حيث أمر.

* **وقال البيهقي:** أخبرنا أبو عمرو الأديب، أخبرنا أبو بكر الإسماعيلي: سمعت أبا خليفة يقول: سمعت ابن عائشة يقول: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان يقلن:

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع[1]

---

(١) البداية والنهاية، الجزء الثالث، فصل في دخوله عليه السلام المدينة وأين استقر بها، وانظر سير أعلام النبلاء، طبعة دار الحديث: (ج ١، ص٣١٩، ٣٢٠).

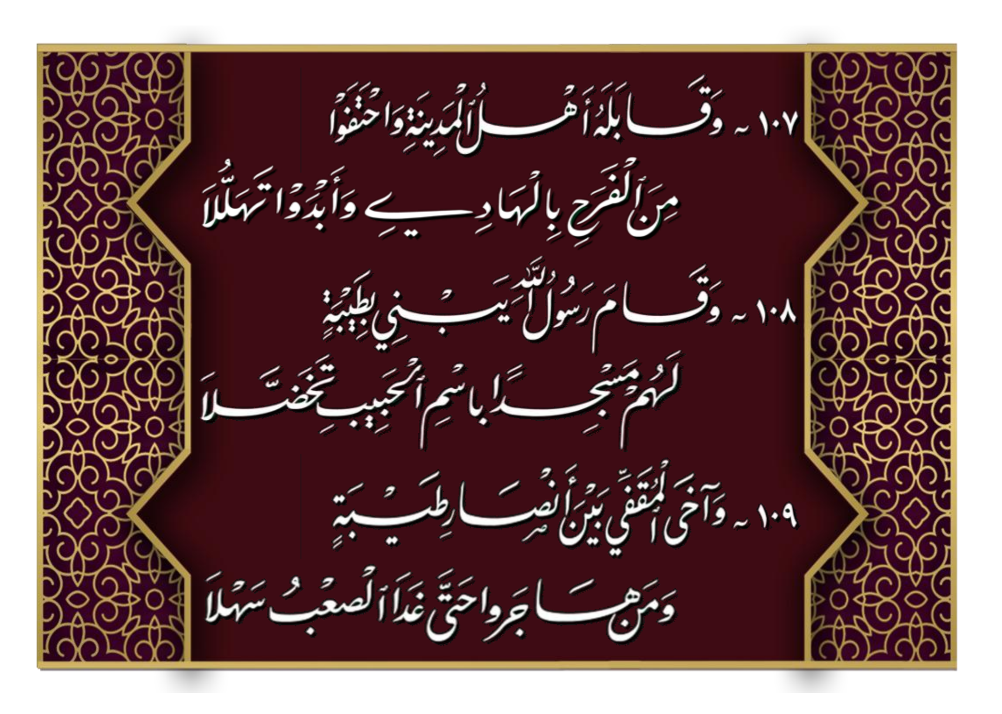
* قال ابن القيم (١): وسُمِعت الوَجْبَةُ والتكبير في بني عمرو بن عوف، وكبر المسلمون فرحًا بقدومه، وخرجوا للقائه، فتلقوه وحيوه بتحية النبوة، فأحدقوا به مطيفين حوله، والسكينة تغشاه، والوحى ينزل عليه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾ [التحريم:٤].

(١) زاد المعاد: (٢/٥٤).



احتفاء الأنصار بالنبي ﷺ



١٠٧ ـ وَقَابَلَهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَاحْتَفَوْا
مِنَ الْفَرَحِ بِالْهَادِي وَأَبْدَوْا تَهَلُّلَا

١٠٨ ـ وَقَامَ رَسُولُ اللهِ يَبْنِي بِطَيْبَةٍ
لَهُمْ مَسْجِدًا بِاسْمِ الْحَبِيبِ تَخَضَّلَا

١٠٩ ـ وَآخَى الْمُقَفِّي بَيْنَ أَنْصَارِ طَيْبَةٍ
وَمَنْ هَاجَرُوا حَتَّى غَدَا الصَّعْبُ سَهْلَا

المعنى: لقد قابل أهلُ المدينة النبي ﷺ بحفاوة شديدة وفرحة عارمة وبنى النبي ﷺ مسجده الشريف ونسب له لذا قلت: بِاسمِ الحبيبِ تَخَضَّلا، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار.

* والمُقَفِّي بكسر الفاء المشددة لقب النبي ﷺ ومعناه خاتم الأنبياء الذي يقتفي أثرهم في تبليغ الرسالة.

 **ومضة الجوهرة في وصف فرحة الأنصار بقدوم النبي ﷺ:**

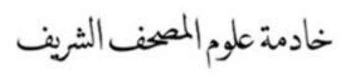
* دخل النبي ﷺ المدينة في يومٍ كشفت فيه الدنيا عن زينتها وجعلت على النواظر في معرض الجمال صورتها، وكأن هذا اليوم كان به عيدا إلا أنه لا فطر ولا نحر، يومٌ تلا الدهر بهجته تلاوة القرآن، وسرد التاريخ دقائقه سرد الفرقان، يوم من أيام الدنيا - من فرح أهل المدينة بالنبي ﷺ - ضاحكُ السن شريفُ الصيت، يوم شكر فيه الأنصار ربهم على مجيء النبي ﷺ شكرا كأنفاس الأحباب والأسحار، وشكرته أنحاء المدينة شكرا كأنفاس الرياض عقب الأمطار.

* ولما دخل النبي ﷺ طيبة بعد الجمعة سُمِّيَت من حينها مدينة الرسول ﷺ وزالت تسمية يثرب وطابت بالنبي ﷺ وصارت طيبةً منذ ذاك اليوم المشهود الذي ارتجت فيه نواحيها وتغنت فيه بناتها:

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع



أول صلاة جمعة بالمدينة للنبي ﷺ:

* **وقال ابن إسحاق:** "فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي - وادي رانوناء - فكان أول جمعة صلاها بالمدينة.

فأتاه عتبان بن مالك وعباس بن عبادة بن نضلة في رجال من بني سالم فقالوا: يا رسول الله، أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة.

قال: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» - لناقته - فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا وازت دار بني بياضة تلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو في رجال من بني بياضة فقالوا: يا رسول الله: هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة؟

قال: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة»، فخلوا سبيلها.

* فانطلقت حتى إذا مرت بدار بني ساعدة اعترضه سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو في رجال من بني ساعدة، فقالوا: يا رسول الله، هلم إلينا في العدد والمنعة.

قال: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة».

❋ فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا وازت دار بني الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة في رجال من بني الحارث بن الخزرج فقالوا: يا رسول الله، هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة.

قال: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة».

فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا مرت بدار عدي بن النجار - وهم أخواله - دنيا أم عبد المطلب، سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم، اعترضه سليط بن قيس وأبوسليط أسيرة بن خارجة في رجال من بني عدي بن النجار فقالوا: يا رسول الله، هلم إلى أخوالك إلى العدد والعدة والمنعة؟

قال: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة».

فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجده عليه السلام اليوم، وكان يومئذٍ مربدا لغلامين يتيمين من بني مالك بن

النجار وهما: سهل وسهيل ابنا عمرو، وكانا في حجر معاذ بن عفراء.

* **وذكر موسى بن عقبة:** أن رسول الله ﷺ مرَّ في طريقه بعبد الله بن أُبيّ بن سلول وهو في بيت، **فوقف رسول الله ﷺ** ينتظر أن يدعوه إلى المنزل - وهو يومئذٍ سيد الخزرج في أنفسهم - **فقال عبد الله:** أنظر الذين دعوك فانزل عليهم، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لنفر من الأنصار.

فقال سعد بن عبادة يعتذر عنه: لقد منَّ الله علينا بك يا رسول الله وإنا نريد أن نعقد على رأسه التاج ونملكه علينا.

* **قال موسى بن عقبة:** وكانت الأنصار قد اجتمعوا قبل أن يركب رسول الله ﷺ من بني عمرو بن عوف فمشوا حول ناقته لا يزال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شحا على كرامة رسول الله ﷺ وتعظيما له، وكلما مرَّ بدار من دور الأنصار دعوه إلى المنزل فيقول ﷺ: «دعوها فإنها مأمورة، فإنما أنزل حيث أنزلني الله».

فلما انتهت الناقة إلى دار أبي أيوب بركت به على الباب فنزل فدخل بيت أبي

أيوب حتى ابتنى مسجده ومساكنه.

قال ابن إسحاق: لما بركت الناقة برسول الله ﷺ لم ينزل عنها حتى وثبت فسارت

غير بعيد ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفتت إلى خلفها

فرجعت إلى مبركها أول مرة، فبركت فيه، ثم تحلحلت ورزمت ووضعت جرانها

فنزل عنها رسول الله ﷺ.

فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته ونزل عليه

رسول الله ﷺ وسأل عن المربد لمن هو؟

فقال له معاذ بن عفراء: هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو وهما يتيمان لي

وسأرضيهما منه فاتخذه مسجدا، فأمر به رسول الله ﷺ أن يُبنى ونزل

رسول الله ﷺ في دار أبي أيوب حتى بني مسجده ومساكنه فعمل فيه

رسول الله ﷺ والمسلمون من المهاجرين والأنصار" (١).

(١) البداية والنهاية، الجزء الثالث، فصل في دخوله عليه السلام المدينة وأين نزل واستقر بها.

* وعن أنس بن مالك ﵁ قال: "أَقْبَلَ نَبِيُّ الله ﷺ إلى المَدِينَةِ وهو مُرْدِفٌ أبا بَكْرٍ، وأَبُو بَكْرٍ شيخٌ يُعْرَفُ، ونَبِيُّ الله ﷺ شابٌّ لا يُعْرَفُ، قالَ: فَيَلْقَى الرَّجُلُ أبا بَكْرٍ فيَقولُ: يا أبا بَكْرٍ، مَن هذا الرَّجُلُ الذي بيْنَ يَدَيْكَ؟ فيَقولُ: هذا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ، قالَ: فَيَحْسِبُ الحاسِبُ أنَّه إنَّما يَعْنِي الطَّرِيقَ، وإنَّما يَعْنِي سَبِيلَ الخَيْرِ، فالْتَفَتَ أبو بَكْرٍ فإذا هو بفارِسٍ قدْ لَحِقَهُمْ، فقالَ: يا رَسولَ الله، هذا فارِسٌ قدْ لَحِقَ بنا، فالْتَفَتَ نَبِيُّ الله ﷺ، فقالَ: اللَّهُمَّ اصْرَعْهُ. فَصَرَعَهُ الفَرَسُ، ثُمَّ قامَتْ تُحَمْحِمُ، فقالَ: يا نَبِيَّ الله، مُرْنِي بما شِئْتَ، قالَ: فقِفْ مَكانَكَ، لا تَتْرُكَنَّ أحَدًا يَلْحَقُ بنا. قالَ: فَكانَ أوَّلَ النَّهارِ جاهِدًا علَى نَبِيِّ الله ﷺ، وكانَ آخِرَ النَّهارِ مَسْلَحَةً له، فَنَزَلَ رَسولُ الله ﷺ جانِبَ الحَرَّةِ، ثُمَّ بَعَثَ إلى الأنْصارِ، فَجاؤُوا إلى نَبِيِّ الله ﷺ وأَبِي بَكْرٍ فَسَلَّمُوا عليهما، وقالوا: ارْكَبا آمِنَيْنِ مُطاعَيْنِ. فَرَكِبَ نَبِيُّ الله ﷺ وأَبُو بَكْرٍ، وحَفُّوا دُونَهُما بالسِّلاحِ، فقِيلَ في المَدِينَةِ: جاءَ نَبِيُّ الله، جاءَ نَبِيُّ الله، ﷺ، فأشْرَفُوا يَنْظُرُونَ ويقولونَ: جاءَ نَبِيُّ الله، جاءَ نَبِيُّ الله، فأقْبَلَ يَسِيرُ حتَّى نَزَلَ جانِبَ دارِ أَبِي

أيُّوبَ، فإنَّه لَيُحَدِّثُ أهْلَهُ إذْ سَمِعَ به عبدُ الله بنُ سَلَامٍ وهو في نَخْلٍ لأهْلِهِ يَخْتَرِفُ لهمْ، فَعَجِلَ أنْ يَضَعَ الذي يَخْتَرِفُ لهمْ فيها، فَجاءَ وهي معهُ، فَسَمِعَ مِن نَبِيِّ الله ﷺ، ثُمَّ رَجعَ إلى أهْلِهِ، فقالَ نَبِيُّ الله ﷺ: أيُّ بُيُوتِ أهْلِنا أقْرَبُ؟ فقالَ أبو أيُّوبَ: أنا يا نَبِيَّ الله، هذِه دارِي وهذا بابِي، قالَ: فانْطَلِقْ فَهَيِّئْ لنا مَقِيلًا، قالَ: قُومَا علَى بَرَكَةِ الله، فَلَمَّا جاءَ نَبِيُّ الله ﷺ جاءَ عبدُ اللهِ بنُ سَلَامٍ فقالَ: أشْهَدُ أنَّكَ رَسولُ الله، وأنَّكَ جِئْتَ بحَقٍّ، وقدْ عَلِمَتْ يَهُودُ أنِّي سَيِّدُهُمْ وابنُ سَيِّدِهِمْ، وأعْلَمُهُمْ وابنُ أعْلَمِهِمْ، فادْعُهُمْ فاسْأَلْهُمْ عَنِّي قَبْلَ أنْ يَعْلَمُوا أنِّي قدْ أسْلَمْتُ؛ فإنَّهُمْ إنْ يَعْلَمُوا أنِّي قدْ أسْلَمْتُ قالُوا فِيَّ ما ليسَ فِيَّ. فأرْسَلَ نَبِيُّ الله ﷺ، فأقْبَلُوا فَدَخَلُوا عليه، فقالَ لهمْ رَسولُ الله ﷺ: يا مَعْشَرَ اليَهُودِ، ويْلَكُمْ! اتَّقُوا الله؛ فَوَاللهِ الذي لا إلَهَ إلَّا هُوَ، إنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أنِّي رَسولُ الله حَقًّا، وأنِّي جِئْتُكُمْ بحَقٍّ، فأسْلِمُوا، قالوا: ما نَعْلَمُهُ، قالُوا للنَّبِيِّ ﷺ، قالَها ثَلاثَ مِرارٍ، قالَ: فأيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عبدُ الله بنُ سَلَامٍ؟ قالوا: ذاكَ سَيِّدُنا وابنُ سَيِّدِنا، وأعْلَمُنا وابنُ أعْلَمِنا، قالَ: أفَرَأَيْتُمْ إنْ أسْلَمَ؟ قالوا: حاشَى

لِله! ما كانَ لِيُسْلِمَ، قالَ: أَفَرَأَيْتُمْ إنْ أسْلَمَ؟ قالوا: حاشَى لِلَّهِ! ما كانَ لِيُسْلِمَ، قالَ: أفَرَأَيْتُمْ إنْ أسْلَمَ؟ قالوا: حاشَى لِله! ما كانَ لِيُسْلِمَ، قالَ: يا ابْنَ سَلامٍ، اخْرُجْ عليهم، فَخَرَجَ فقالَ: يا مَعْشَرَ اليَهُودِ، اتَّقُوا الله؛ فَواللهِ الذي لا إلَهَ إلَّا هُوَ، إنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أنَّه رَسولُ الله، وأنَّهُ جاءَ بحَقٍّ، فقالوا: كَذَبْتَ، فأخْرَجَهُمْ رَسولُ الله ﷺ (١).

* وقد وصلت للنبي ﷺ أم المؤمنين سَوْدَة وبنتاه فاطمة وأم كلثوم، ومعهن أم أيمن وأسامة بن زيد، ومعهم عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر، ومنهم عائشة، لكن ظلت زينب عند أبي العاص؛ لأنه لم يسمح لها بالخروج، ولم تهاجر إلا بعد غزوة بدر.

شدة مناخ المدينة:

وكان حينها مناخ المدينة شديدا، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "لَمَّا قَدِمَ رَسولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ، وُعِكَ أبو بَكْرٍ وبِلَالٌ، فَكانَ أبو بَكْرٍ إذَا أخَذَتْهُ الحُمَّى يقولُ: كُلُّ

(١) صحيح البخاري:(٣٩١١).

امْرِئٍ مُصَبَّحٌ في أَهْلِهِ والمَوْتُ أدْنَى مِن شِرَاكِ نَعْلِهِ وكانَ بلَالٌ إذَا أُقْلِعَ عنْه الحُمَّى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ يقولُ: أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هلْ أبِيتَنَّ لَيْلَةً بوَادٍ وحَوْلِي إذْخِرٌ وجَلِيلُ وَهلْ أرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ وهلْ يَبْدُوَنْ لي شَامَةٌ وطَفِيلُ قالَ: اللَّهُمَّ الْعَنْ شَيبةَ بنَ رَبِيعَةَ، وعُتْبَةَ بنَ رَبِيعَةَ، وأُمَيَّةَ بنَ خَلَفٍ كما أخْرَجُونَا مِن أرْضِنَا إلى أرْضِ الوَبَاءِ، ثُمَّ قالَ رَسولُ الله ﷺ: اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أوْ أشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا في صَاعِنَا وفي مُدِّنَا، وصَحِّحْهَا لَنَا، وانْقُلْ حُمَّاهَا إلى الجُحْفَةِ. قالَتْ: وقَدِمْنَا المَدِينَةَ وهي أوْبَأُ أرْضِ اللهِ، قالَتْ: فَكانَ بُطْحَانُ يَجْرِي نَجْلًا. تَعْنِي مَاءً آجِنًا"(١).

---

(١) صحيح البخاري: (١٨٨٩)، وأخرجه مسلم (١٣٧٦) مختصراً باختلاف يسير.

ومضة الجوهرة في تغير حال المدينة بعد هجرة النبي ﷺ لها:

* ولقد تغير ذاك الحال بعد أن استجاب الله لنبيه ﷺ وأراه في المنام أن امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة ونزلت بالْمَهْيَعَة أي بالجحفة؛ فتجلت عن المهاجرين والأنصار غمة الخطوب ودارت لهم العواقب بالمحبوب، وانقشعت ضبابة محنتهم وبعدت الحمى وزالت كربتهم، فصافحوا الإقلال والإبلال، ورواهم الله من العافية وأسبغ ثوبها عليهم، وأقال سبحانه بالسلامة الفائضة، وأدال من الشكاية العارضة، فانشرحت الصدور وعمَّ السرور، وكست البركة أنحاء المدينة؛ فطابت بسيدنا رسول الله ﷺ .

* ولما نزل النبي ﷺ بالمدينة يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الأول في السنة الأولى للهجرة، ونزل في أرض أمام بيت أبي أيوب الذي انتقل النبي ﷺ إليه بعد ذلك، وحدد المكان الذي بركت فيه ناقته ﷺ، واشتراه من غلامين يتيمين كان ملكا لهما، وكان ﷺ ينقل اللبن والحجارة ويشترك في بناء المسجد فيزداد نشاط

الصحابة رضوان الله عليهم، وكانت هناك قبور للمشركين وخرب ونخل، وشجرة من غَرْقَد، فأمر ﷺ بقبور المشركين فنبشت وبالنخل والشجرة فقطعت، وبالخرب فسويت، ووضعت في قبلة المسجد التي كانت نحو بيت المقدس، وبنى بجانب المسجد بيوتا كان سقفها من الجريد والجذوع وجدرانها من الحجر واللبن لتكون حجرات أزواجه؛ عندئذ انتقل إليها من بيت أبي أيوب رضي الله عنه.

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قَالَ: "قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ فَنَزَلَ أَعْلَى المَدِينَةِ فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ، فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ، وَأَبُو بَكْرٍ رِدْفُهُ وَمَلَأُ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ حَتَّى أَلْقَى بِفِنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ، وَيُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الغَنَمِ، وَأَنَّهُ أَمَرَ بِبِنَاءِ المَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ فَقَالَ: يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا، قَالُوا: لاَ وَاللهِ لاَ نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللهِ، فَقَالَ أَنَسٌ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ قُبُورُ

الْمُشْرِكِينَ، وَفِيهِ خَرِبٌ وَفِيهِ نَخْلٌ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ، فَنُبِشَتْ، ثُمَّ بِالخَرِبِ فَسُوِّيَتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ المَسْجِدِ وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ الحِجَارَةَ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخْرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لاَ خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَهْ"(١).

وصف بناء المسجد:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "أن المسجدَ كان على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ مبنيًّا باللبنِ والجريدِ قال مجاهدٌ: وعَمَدُه من خشبِ النخلِ فلم يزد فيه أبو بكرٍ شيئًا وزاد فيه عمرُ وبناه على بنائِه في عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ باللبنِ والجريدِ وأعاد عَمَدَه قال مجاهدٌ: عُمُدَه خشبًا وغيَّرَه عثمانُ فزاد فيه زيادةً كثيرةً وبنى جدارَه بالحجارةِ المنقوشةِ والقصَّةِ وجعل عَمَدَه من حجارةٍ منقوشةٍ وسقَّفَه بالساجِ قال مجاهدٌ: وسقفُه الساجُ"(٢).

---

(١) صحيح البخاري: (٤٢٠).

(٢) صحيح أبي داود: (٤٥١)، وأخرجه البخاري (٤٤٦) باختلاف يسير.

ومضة للجوهرة:

* وأصبح المسجد النبوي مرتعا للنواظر ومُتَنَفَّسًا للخواطر، فلم يكن لإقامة الصلوات فيه فقط، إنما كان ملتقى المسلمين وجامعة المؤمنين يتلقون فيه تعاليم الإسلام وتتوحد فيه كلمتهم وقلوبهم؛ فاقترن اليمن بيمناه من التعليم والتوجيه والإرشاد، واقترن اليسر بيسراه لإيواء الفقراء فيه وتأليف القلوب والإصلاح بين العباد.

مؤاخاة النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار:

* آخى النَّبيّ ﷺ بعد هجرتِهِ إلى المدينةِ بَيْنَ المهاجِرينَ والأنصارِ، وكان كرمُ الأنصار رِضوانُ الله عليهم معهودًا وجودهم مع إخوانهم المهاجرين مشهودا، فلمْ يَبخَلُوا عليهم بأموالِهِم وبَيوتِهِم وطَعامِهِم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قالتِ الأنْصَارُ للنبيِّ ﷺ: اقْسِمْ بيْنَنَا وبيْنَ إخْوَانِنَا النَّخِيلَ، قالَ: لَا، فَقالَ: تَكْفُونَا المَئُونَةَ ونُشْرِكْكُمْ في الثَّمَرَةِ، قالوا: سَمِعْنَا وأَطَعْنَا" (١).

---

(١) صحيح البخاري: (٢٧١٩).

* وفي هذا الحديثِ روى أبو هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ الأنصارَ رِضوانُ اللهِ عليهم طلبوا أنْ يَقْسِمَ النَّبيُّ ﷺ النَّخيلَ الَّذي يَملكوَنه بيْنهم وبيْن إخوانهم المهاجرِينَ؛ إيثارًا على أنْفُسِهم، فرَفَضَ النَّبيُّ ﷺ اقتراحهم؛ لِعِلْمِهِ ﷺ أنَّ الفُتوحَ ستُفْتَحُ عليهم، فاستغنى عن تضحيةِ الأنصارِ بفضلِ الله القادمِ وحفِظَ لهم أملاكهم، وفَهِمَ الأنصارُ ذلك فامْتَثَلُوا لِمَا أمَرَهم به النَّبِيُّ ﷺ، وأسْرَعُوا بِمُواساةِ إخوانِهم المهاجِرين بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى، "فقالوا: تَكْفُونا المَؤونةَ، ونَشْرَكْكُمْ في الثَّمَرةِ"، وهَذَا الْقَول يحتمِلُ مَعْنَيَيْن، الْأَوَّلُ: أنَّ الْقائِلِينَ ذَلِكَ هُمُ الْأَنْصار لِأَنَّ السَّمَاحَ بِالْإِشْرَاكِ فِي الثَّمَرَة لَا يَصْدُرُ إِلَّا مِنْ أَصْحَابِ الْعَقَار وَبناء على ذَلِك يَقُومُ الْمُهَاجِرُونَ بالزِّراعةِ والسِّقايةِ، وتَظَلُّ ملكيَّة النَّخيلِ للأنصارِ، ويكونُ العملُ من المُهاجرين، ويَشترِكُ كِلَاهُمَا في الثَّمرةِ وليس في ملكيّةِ النَّخيلِ، وهذا ما يُسَمَّى بالمُساقاةِ، وهي سُقْيَا شَجرٍ مُقَابِلَ جُزءٍ مُحَدَّد مِن ثماره.

* **والمعنى الثاني:** «قال: لا، تَكفُون المَؤونةَ، وتَقاسَموا الثَّمَرَ»، باعتبار أن القائلُ هو النَّبيُّ ﷺ، والمقصود: أنَّ الأنصارَ عليهم السقاية والعمل ثم يُقسَم الثمر بين

المهاجرين والأنصار لحداثة عهد المهاجرين بأمور الزراعة والسقاية وعدم خبرتهم بها، وتظل ملكيَّةُ النخيلِ للأنصارِ، ودليل هذا المعنى في قول أنس بن مالك رضي الله عنه: "ما رأَيْنا قومًا أَبْذَلَ من كَثِيرٍ، ولا أَحْسَنَ مُواساةً من قليلٍ: من قومٍ نزلنا بين أَظْهُرِهِم، لقد كَفَوْنا المُؤْنَةَ، وأَشْرَكُونا في المَهْنَإِ، حتى لقد خِفْنا أن يذهبوا بالأجرِ كلِّهِ ! فقال: لا، ما دَعَوْتُمُ اللهَ لهم، وأَثْنَيْتُم عليهم"(١).

مكان عقد المؤاخاة ونَصُّها:

* آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وعدد الصحابة رضوان الله عليهم كان تسعين رجلا، نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار.

معنى الإخاء: تلاشي حمية الجاهلية وعصبياتها بين الصحابة، وزوال فوارق الوطن واللون والنسب، وانعقاد القلوب على الولاء والبراء للإسلام بمحبة وإخاء.

(١) هداية الرواة: (٢٩٦٠) وأخرجه أبو داود (٤٨١٢)، والإمام أحمد (١٣٠٧٥) باختلاف يسير، والترمذي (٢٤٨٧)، والنسائي في (عمل اليوم والليلة) (١٨١).

* وتضمنت بنود المؤاخاة المواساة والتوارث بعد الموت دون الأرحام إلى حين موقعة بدر حيث أذن الله حينها بِرَدِّ التوارث للأرحام دون ميثاق الأخوة بقوله تعالى:

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [سُورَةُ الأَنفَالِ: ٧٥]

* **وقال ابن القيم:** وقيل إنه آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض مؤاخاة ثانية (غير مؤاخاة المهاجرين والأنصار) واتخذ عليًّا أخًا لنفسه. والثبت الأول: ثم عقب علي ذلك بقوله: ... ولو آخى بين المهاجرين كان أحق الناس بأخوته أحب الخلق إليه ورفيقه في الهجرة وأنيسه في الغار وأفضل الصحابة وأكرمهم عليه أبوبكر الصديق، وقد قال: لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام أفضل.(١)

(١) انظر زاد المعاد: (ج٣، ص٥٨).

ومن صور المؤاخاة:

* عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما قال: "لَمَّا قَدِمُوا المَدِينَةَ آخَى رَسولُ اللهِ ﷺ بيْنَ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ، وسَعْدِ بنِ الرَّبِيعِ، قالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: إنِّي أكْثَرُ الأنْصَارِ مَالًا، فأقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ، ولِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أعْجَبَهُما إلَيْكَ فَسَمِّهَا لي أُطَلِّقْهَا، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُها فَتَزَوَّجْهَا، قالَ: بَارَكَ اللَّهُ لكَ في أهْلِكَ ومَالِكَ، أيْنَ سُوقُكُمْ؟ فَدَلُّوهُ علَى سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، فَما انْقَلَبَ إلَّا ومعهُ فَضْلٌ مِن أقِطٍ وسَمْنٍ، ثُمَّ تَابَعَ الغُدُوَّ، ثُمَّ جَاءَ يَوْمًا وبِهِ أثَرُ صُفْرَةٍ، فَقالَ النبيُّ ﷺ: مَهْيَمْ، قالَ: تَزَوَّجْتُ، قالَ: كَمْ سُقْتَ إلَيْهَا؟. قالَ: نَوَاةً مِن ذَهَبٍ، - أوْ وزْنَ نَوَاةٍ مِن ذَهَبٍ"(١).

بعض أسماء الصحابة الذين آخى بينهم النبي ﷺ:

*قال ابن إسحاق: وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال – فيما بلغنا، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل -: تآخوا في الله أخوين

(١) صحيح البخاري: (٣٧٨٠).

أخوين، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب، فقال: هذا أخي(١).

* فكان رسول الله ﷺ سيد المرسلين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين، الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، أخوين، وكان حمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله ﷺ، وعم رسول الله ﷺ، وزيد بن حارثة، مولى رسول الله ﷺ، أخوين، وإليه أوصى حمزة يوم أحد حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت ؛ وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين، الطيار في الجنة، ومعاذ بن جبل، أخو بني سلمة، أخوين.

* **قال ابن هشام:** وكان جعفر بن أبي طالب يومئذ غائبا بأرض الحبشة.

* **قال ابن إسحاق:** وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ابن أبي قحافة، وخارجة بن زهير، أخو الحارث بن الخزرج، أخوين، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعتبان بن مالك، أخو بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج أخوين وأبو عبيدة

---

(١) تم ذكر قول ابن القيم عن مسألة الإخاء بين النبي ﷺ وبين الإمام علي رضي الله عنه، وهذا الحديث عن ابن إسحاق ورد أن الذهبي ضعفه والألباني ولكن الترمذي قال: حسن غريب، والعلم عند الله في هذه المسألة.

بن عبد الله بن الجراح، واسمه عامر بن عبد الله، وسعد بن معاذ بن النعمان أخو بني عبد الأشهل، أخوين.

* وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع، أخو بلحارث بن الخزرج، أخوين. والزبير بن العوام، وسلامة بن سلامة بن وقش، أخو بني عبد الأشهل، أخوين. ويقال: بل الزبير وعبد الله بن مسعود، حليف، بني زهرة، أخوين، وعثمان بن عفان، وأوس بن ثابت بن المنذر، أخو بني النجار، أخوين.

* وطلحة بن عبيد الله، وكعب بن مالك، أخو بني سلمة، أخوين. وسعد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وأبي بن كعب، أخو بني النجار: أخوين ومصعب بن عمير بن هاشم، وأبو أيوب خالد بن زيد، أخو بني النجار: أخوين، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وعباد بن بشر بن وقش، أخو بني عبد الأشهل: أخوين.

* وعمار بن ياسر، حليف بني مخزوم، وحذيفة بن اليمان، أخو بني عبد عبس، حليف بني عبد الأشهل: أخوين . ويقال: ثابت بن قيس بن الشماس، أخو

بلحارث بن الخزرج، خطيب رسول الله ﷺ، وعمار بن ياسر: أخوين . وأبو ذر، وهو برير بن جنادة الغفاري، المنذر بن عمرو، المعنق ليموت، أخو بني ساعدة بن كعب بن الخزرج: أخوين.

* **قال ابن هشام:** وسمعت غير واحد من العلماء يقول: أبو ذر: جندب بن جنادة.

* **قال ابن إسحاق:** وكان حاطب بن أبي بلتعة، حليف بني أسد بن عبد العزى وعويم بن ساعدة، أخو بني عمرو بن عوف، أخوين؛ وسلمان الفارسي، وأبو الدرداء، عويمر بن ثعلبة، أخو بلحارث بن الخزرج، أخوين.

* **قال ابن هشام:** عويمر بن عامر، ويقال: عويمر بن زيد.

* **قال ابن إسحاق:** وبلال، مولى أبي بكر رضي الله عنهما ، مؤذن رسول الله ﷺ، وأبورويحة، عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي، ثم أحد الفزع، أخوين . فهؤلاء من سمي لنا، ممن كان رسول الله ﷺ آخى بينهم من أصحابه."(١)

(١) السيرة النبوية لابن هشام، طبعة دار المنار: (ج١/ ص٢٦٩، ٢٧٠).

 **ومضة الجوهرة في المستفاد من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:**

١- لقد بسط النبي ﷺ لصحابته فراش العدل ورَدَّ إليهم رياش الفضل ووسِعَهم بعدله وفضله حينما أبى أن يُفَرِّطَ الأنصارُ في نخيلهم، ووافق على بذلهم لإخوانهم بطريقة أخرى يحصل بها لهم الأجر وينتفع بها المهاجرون في زهدٍ ورفعة قَدْر؛ فتجلى بذلك عدله بينهم وحرصه عليهم جميعا.

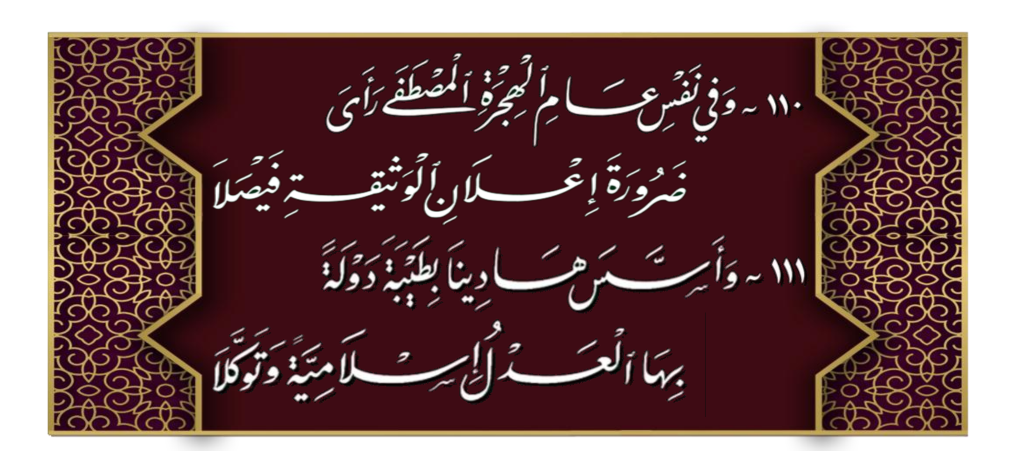
٢- ولقد رأى الأنصارُ أن تحمُّلَ المغارم من أعظم المغانم إيثارا وأضحى كلٌّ منهم في حبل الوفاء حاطبا وعلى فرض الإخاء مواظبا، وثبت عند الشدائد كالركن واهتز عند المكارم كالغصن، وكان لأخيه المهاجر كالنهر الذي لا يظمأ واردُهُ، وبات الأنصار وغنائم كرمهم تفيض ومآثر جودهم تستفيض مذ قالوا للنبي ﷺ سمعًا وطاعة، ووسعوا إخوانهم المهاجرين والجود خليلهم والكرم نزيلهم؛ فتجلّت فضيلة المهاجرين والأنصار بحسن السمع والطاعة للنبي ﷺ .

٣- اتضحت لنا مَشروعيَّةُ عُقود المُساقاة والمُزارَعة التي هي مِن عُقودِ المُشارَكات التي تقومُ على العدْلُ بيْن الطرفين، وصاحب العقار أو الأرض والشجر كصاحبِ النُّقودِ التي يَدفَعُها للمُضارِبِ في التِّجارةِ، والغُنْمُ بيْنهما، والغُرْمُ عليهما، وهي تبعد بذلك عن الضرر والظلم والجَهالة.




إعلان ميثاق التحالف الإسلامي وتأسيس الدولة الإسلامية



المعنى: في نفس عام الهجرة أي في السنة الأولى للهجرة بعد أن آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار رأى ضرورة إعلان ميثاق للتحالف الإسلامي، ولا حلف في الإسلام بعد تكوين الدولة ولكنه لزِم في ذلك الوقت الذي مَثَّل مرحلةً انتقالية قبل تكامل تأسيس الدولة الإسلامية، وساهم في نقل القبائل المتفككة المتناحرة إلى دوحة الوحدة الإسلامية المتماسكة وساعد على تطهيرهم من عصبيتهم الجاهلية إلى أن أرسيت قواعد الأخوة الدينية وتكونت الدولة الإسلامية التي أوجبت حقوقا لم تدع حاجةً بعدها لأي تحالف، وبهذه الخطوات أسس

النبي ﷺ دولة إسلاميّة تقوم على العدل متوكِّلا على الله لبدء مرحلة جديدة من الدعوة في العهد المدني.

الشروط التي جاءت في نص الوثيقة:

* هذا كتاب من محمد النبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم:

١- أنهم أمة واحدة من دون الناس: المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٢- وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٣- وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٤- وبنو الحارث بن الخزرج على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة

تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٥- وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٦- وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٧- وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٨- وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٩- وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

١٠- وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

١١- وأن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة ظلم، أو إثما، أو عدوانا، أو فسادا بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه، جميعا ولو كان ولد أحدهم.

١٢- ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر، ولا ينصر كافر على مؤمن.

١٣- وأن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.

١٤- وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم.

١٥- وأن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم.

١٦- وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا.

١٧- وأن المؤمنين يبيئ بعضهم عن بعض بما نال دماءهم في سبيل الله.

١٨- وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدي وأقومه.

١٩- وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا، ولا يحول دونه على مؤمن.

٢٠- وأنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به، إلا أن يرضى ولي المقتول بالعقل وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه.

٢١- وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا أو يئويه، وأن من نصره، أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.

٢٢- وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ.

٢٣- وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين.

٢٤- وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وإثم، فإنه لا يُوتِغ إلا نفسه وأهل بيته. (يوتغ أي

يهلك أو يفسد).

٢٥- وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف.

٢٦- وأن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف.

٢٧- وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف.

٢٨- وأن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف.

٢٩- وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف.

٣٠- وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وإثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

٣١- وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم.

٣٢- وأن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وأن البر دون الإثم.

٣٣- وأن موالي ثعلبة كأنفسهم.

٣٤- وأن بطانة يهود كأنفسهم.

٣٥- وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ.

٣٦- وأنه لا ينحجز على ثأر جرح، وأنه من فتك فبنفسه وأهل بيته إلا من ظلم وأن الله على أبر هذا.

٣٧- وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

٣٨- وأنه لا يأثم امرؤ بحليفه وأن النصر للمظلوم.

٣٩- وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين.

٤٠- وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

٤١- وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم.

٤٢- وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها.

٤٣- وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله ﷺ، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره.

٤٤- وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها.

٤٥- وأن بينهم النصر على من دهم يثرب.

٤٦- وأنهم إذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وأنهم إذ دعوا إلى مثل ذلك، فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين.

٤٧- على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.

٤٨- وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وأن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره.

٤٩- وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم.

٥٠- وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم.

٥١- وأن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ.

وإليك نص حديث النبي ﷺ:

* **قال ابن إسحاق:** "وكتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي ﷺ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم

تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

* **قال ابن هشام:** المفرح: المثقل بالدين والكثير العيال.

*** قال الشاعر:**

(إذا أنت لم تبرح تودي أمانة ••• وتحمل أخرى أفرحتك الودائع)

* وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه؛ وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة ظلم، أو إثم، أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين؛ وإن أيديهم عليه جميعا، ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر، ولا ينصر كافرا على مؤمن؛ وإن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس؛ وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ؛ وإن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم، وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا، وإن المؤمنين يبئ بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله؛ وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ؛ وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسها، ولا يحول دونه على مؤمن ؛ وإنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه ؛ وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر محدثا ولا يؤويه ؛ وأنه من نصره أو آواه، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا

يؤخذ منه صرف ولا عدل ؛ وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد ﷺ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ؛ وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه، وأهل بيته، وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف ؛ وإن ليهود بني ساعدة ما ليهود بني عوف؛ وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف ؛ وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف ؛ وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته ؛ وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ؛ وإن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وإن البر دون الإثم، وإن موالي ثعلبة كأنفسهم ؛ وإن بطانة يهود كأنفسهم ؛ وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ ؛ وإنه لا ينحجز على ثأر جرح، وإنه من فتك فبنفسه فتك، وأهل بيته، إلا من ظلم ؛ وإن الله على أبر هذا ؛ وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ؛ وإن بينهم النصر على من حارب

أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم ؛ وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ؛ وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ؛ وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد رسول الله ﷺ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره ؛ وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه، فإنهم يصالحونه ويلبسونه ؛ وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم، وإن يهود الأوس، مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة.

* **قال ابن هشام:** ويقال: مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة.

*** قال ابن إسحاق:** وإن البر دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم، وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو أثم ؛ وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ "(١).

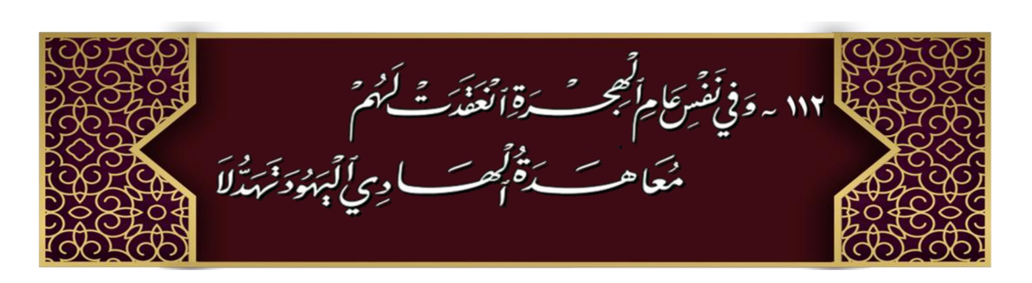
  

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، طبعة دار المنار: (ج١، ص ٢٦٨، ٢٦٧، ٢٦٩).



معاهدة اليهود



المعنى: في نفس العام الذي هاجر فيه النبي ﷺ أي في السنة الأولى للهجرة عقد النبي ﷺ مع اليهود لترسيخ قواعد النصح والخير وإعلامهم بحرية الدين والمال، وقد جاءت بنود هذه المعاهدة في آخر نص الوثيقة السابقة التي تم ذكر بنودها آنفا من كتاب رسول الله ﷺ الذي كتبه بين المهاجرين والأنصار لهدف الوثيقة الأول وهو الوحدة والتحالف الإسلامي بين المهاجرين والأنصار ثم للهدف الثاني وهو موادعة اليهود، وقد اتضحت فيه بنود المعاهدة، كما أن تلك المعاهدة قد لزِمت وتقررت؛ نظرا لحال اليهود الذي سأوضحه الآن في السطور القادمة.

أقسام سكان المدينة وضواحيها:

١ – المسلمون.

٢– المشركون من أهل المدينة الذين لم يسلموا بعد.

٣– اليهود.

أقسام اليهود:

١ – يهود بني قَيْنُقَاع: كانت مساكنهم داخل المدينة وكانوا حلفاء الخزرج.

٢– يهود بني النَّضير: كانت مساكنهم بضواحي المدينة، وكانوا حلفاء الخزرج.

٣– يهود بني قريظة: كانت مساكنهم بضواحي المدينة، وكانوا حلفاء الأوس.

أولاً : أحوال المسلمين:

لقد تعهَّد النبي ﷺ أخلاق المسلمين بالتهذيب وقد آخى بينهم وأرسى أسس البر وقواعد المحبة والعطف والتسامح، وعمل على تزكية النفوس والحث على مكارم الاخلاق مع تعليم العبادات ليصير المجتمع بهم واحةً للمكارم والفضائل، فعن عبد الله بن سلام أنه قال: "لـمَّا قدمَ النَّبيُّ ﷺ المدينةَ، انجَفلَ النَّاسُ قبلَهُ،

وقيلَ: قد قدمَ رسولُ اللهِ ﷺ، قد قدمَ رسولُ اللهِ، قد قدمَ رسولُ اللهِ ثلاثًا، فَجِئْتُ في النَّاسِ، لأنظرَ، فلمَّا تبيَّنتُ وجهَهُ، عرفتُ أنَّ وجهَهُ ليسَ بوَجهِ كذَّابٍ، فكانَ أوَّلُ شيءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ، أن قالَ: يا أيُّها النَّاسُ أفشوا السَّلامَ، وأطعِموا الطَّعامَ، وصِلوا الأرحامَ، وصلُّوا باللَّيلِ، والنَّاسُ نيامٌ، تدخلوا الجنَّةَ بسَلامٍ"(١).

فمن أقوال النبي ﷺ لنشر الفضائل والمكرمات:

* عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه ﷺ قال: "المُسْلِمُ مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسَانِهِ ويَدِهِ، والمُهَاجِرُ مَن هَجَرَ ما نَهَى اللَّهُ عنْه"(٢).

* وعن أبي شريح العدوي خويلد بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "واللهِ لا يُؤْمِنُ، واللهِ لا يُؤْمِنُ، واللهِ لا يُؤْمِنُ. قيلَ: ومَن يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: الذي لا يَأْمَنُ جارُهُ بَوايِقَهُ"(٣).

(١) صحيح ابن ماجه: (٢٦٤٨).

(٢) صحيح البخاري: (١٠).

(٣) صحيح البخاري: (٦٠١٦).

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "لاَ تقاطعوا ولاَ تدابروا ولاَ تباغضوا ولاَ تحاسدوا وَكونوا عبادَ اللهِ إخوانًا ولاَ يحلُّ لمسلمٍ أن يَهجرَ أخاهُ فوقَ ثلاثٍ"(١).

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "ليس المُؤمِنُ بالطَّعَّانِ ولا اللَّعَّانِ ولا الفاحشِ ولا البَذيءِ"(٢).

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وقِتَالُهُ كُفْرٌ"(٣).

* وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: "الرَّاحِمونَ يرحَمُهم الرَّحمنُ تبارَك وتعالى؛ ارحَموا مَن في الأرضِ يرحَمْكم مَن في السَّماءِ"(٤).

---

(١) صحيح الترمذي: (١٩٣٥).

(٢) المعجم الأوسط: (٢/ ٢٢٥)، وأخرجه الترمذي (١٩٧٧)، وأخرجه أحمد (٣٨٣) باختلاف يسير.

(٣) صحيح البخاري:(٤٨)، وأخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).

(٤) الإمتاع لابن حجر:(١/ ٦٢)، وأخرجه أبو داود (٤٩٤١)، وأحمد (٦٤٩٤)، والترمذي (١٩٢٤).

* وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: "المُؤْمِنَ للمؤمنِ كالبُنْيانِ يشدُّ بَعضُهُ بعضًا"(١).

* وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: "مثلُ المؤمنين في تَوادِّهم، وتَراحُمِهم، وتعاطُفِهِمْ . مثلُ الجسَدِ إذا اشتكَى منْهُ عضوٌ تداعَى لَهُ سائِرُ الجسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى"(٢).

* وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: "المسلمُ أخو المسلمِ لا يظلِمُه ولا يُسلِمُه مَن كان في حاجةِ أخيه كان اللهُ في حاجتِه ومَن فرَّج عن مسلمٍ كُربةً فرَّج اللهُ بها عنه كربةً مِن كُرَبِ يومِ القيامةِ ومَن ستَر مسلمًا ستَره اللهُ يومَ القيامةِ"(٣).

* وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: "مَن كانَ يُؤْمِنُ باللهِ والْيومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خيْرًا، أوْ لِيصْمُتْ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللهِ والْيومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جارَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللهِ والْيومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ"(٤).

---

(١) صحيح الترمذي: (١٩٢٨)، وأخرجه البخاري (٦٠٢٦)، ومسلم (٢٥٨٥).

(٢) صحيح الجامع: (٥٨٤٩)، وأخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) واللفظ له.

(٣) صحيح ابن حبان (٥٣٣)، وأخرجه البخاري (٢٤٤٢).

(٤) صحيح مسلم: (٤٧)، وأخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

* وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: "نَهَى رَسولُ اللهِ ﷺ أنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ، ولَا تَنَاجَشُوا، ولَا يَبِيعُ الرَّجُلُ علَى بَيْعِ أخِيهِ، ولَا يَخْطُبُ علَى خِطْبَةِ أخِيهِ، ولَا تَسْأَلُ المَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا لِتَكْفَأَ ما في إنَائِهَا"(١).

* وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: "يقولُ اللهُ أنا ثالثُ الشَّريكَينِ ما لَم يخنْ أحدُهُما صاحبَهُ فإذا خانَ خرجتُ مِن بَينِهِما"(٢).

* وصار خُلُقُ المسلم بإرشاد وتوجيه النبي ﷺ كالماء صفاء وكالمسك ذكاء، وقد جمعت المروءةُ أطراف أخلاق المؤمنين وحرست الفضيلة في رحاب المصطفى ﷺ سلوك المهتدين، حتى صار التعامل معهم أعذب من ماء الغمام وأحلى من ريق النحل ولا يرى المسالم منهم إلا المحبة بالفعل والكلام، وطبائعهم أزكى من حركات النسيم بين الورد والريحان وأبهى من التبر والعقيان في نحور الحسان؛ سمعا وطاعة للنبي ﷺ رسول الرحمة والسلام، وأسوةً واقتداء بسيد الخلق وخير الأنام.

---

(١) صحيح البخاري: (٢١٤٠)، ومسلم (١٤١٣).

(٢) تحفة المحتاج: (٢/ ٢٧١)، وأخرجه أبو داود (٣٣٨٣) باختلاف يسير، والدارقطني (٣/ ٣٥)، والحاكم (٢٣٢٢) واللفظ لهما.

ثانيا: أحوال المشركين:

* المشركون من أهل المدينة منهم من لم يضمر العداوة للنبي ﷺ وللإسلام والمسلمين ولكنه كان مترددا في ترك دين آبائه حتى أسلم بعد فترة وصار مِنَ المخلصين، ومنهم مَن كان يضمر العداوة الشديدة ويظهر المودة نظرا لتوالي أحداث لم تكن في صالحه مثل عبد الله بن أبيّ والذين كان يطمحون في مناصب سياسية في المدينة وعندما دخل الإسلام وتغيرت الأوضاع عكس مخططاتهم ومنافعهم سكن الغيظ صدورهم وأضمروا الشر والعداء، وبعد أن أظهر عبد الله بن أبيّ الإسلامَ ظلت العداوة بداخله وفي باطنه الكفر؛ فكان هو ومَن على شاكلته مِن المنافقين.

ثالثا: أحوال اليهود:

* لم يكن أصل اليهود من العرب، إنما أتوا للحجاز بسبب الاضطهاد الآشوري والروماني، فهم عبرانيون، أصحاب مكر وفساد ومكائد بهدف الحفاظ على كيانهم اليهودي الذي يستكبرون به على العرب ويحتقرونهم تعصُّبًا ليهوديتهم، ويكيدون للعرب بإشعال الحروب بينهم بهدف تأجيج الخلافات بينهم وإثقالهم بالديون والقروض الربوية أثناء تلك الحروب التي تحتاج للنفقة؛ فيعود ذلك على اليهود بتوسعة سوق الربا للتكسب الربوي الذي يعيشون عليه إلى جانب مهارتهم في استيراد الثياب والخمر والحبوب، وتصدير التمور، أما الأمور الدينية فلم يشتهروا إلا بالسحر والفأل والنفث، والرقية؛ وكانوا يختالون بها بين الناس ويظنون أنهم بذلك أصحاب علم وروحانية، ودخول الإسلام في عين اليهود يعني انطفاء الحروب بين العرب التي يستفيد منها اليهود، وانتشار السلام وتحريم الربا الذي يعيشون عليه اليهود إلى جانب تعصبهم لأن النبي ﷺ من العرب وليس من بني جلدتهم؛ لذا حقدهم على النبي ﷺ وبغضهم للإسلام والمسلمين كان أمرًا مُتَوَقَّعا ومفهوما.



ومن صور كراهية اليهود للنبي ﷺ وللإسلام والمسلمين حديث أم المؤمنين صفيه بنت حيي بن أخطب:

* **"قال ابن إسحاق:** وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: حدثت عن صفية بنت حيي بن أخطب أنها قالت: كنت أحب ولد أبي إليه، وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه . قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء، في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي، حيي بن أخطب، وعمي أبو ياسر بن أخطب، مغلسين. قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس. قالت: فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى. قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي واحد منهما، مع ما بهما من الغم . قالت: وسمعت عمي أبا ياسر، وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو ؟ قال: نعم والله ؛ قال: أتعرفه وتثبته ؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه ؟ قال: عداوته والله ما بقيت."(١)

(١) السيرة النبوية لابن هشام، طبعة دار المنار: (ج١/ ص ٢٧٧).



وتأمل غدرهم وكذبهم الذي ظهر في قصة إسلام عبد الله بن سلام:

* **"قال ابن إسحاق:** وكان من حديث عبد الله بن سلام، كما حدثني بعض أهله عنه وعن إسلامه حين أسلم، وكان حبرا عالما، قال: لما سمعت برسول الله ﷺ عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكف له، فكنت مسرا لذلك، صامتا عليه، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلما نزل بقباء، في بني عمرو بن عوف، أقبل رجل حتى أخبر بقدومه، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، وعمتي خالدة ابنة الحارث تحتي جالسة، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله ﷺ كبرت ؛ فقالت لي عمتي، حين سمعت تكبيري: خيبك الله، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما ما زدت، قال: فقلت لها: أي عمة، هو والله أخو موسى بن عمران، وعلى دينه، بعث بما بعث به، قال: فقالت: أي ابن أخي، أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟ قال: فقلت لها: نعم، قال: فقالت: فذاك إذا. قال: ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ، فأسلمت، ثم رجعت إلى أهل بيتي، فأمرتهم فأسلموا،

قال: وكتمت إسلامي من يهود، ثم جئت رسول الله ﷺ، فقلت له: يا رسول الله، إن يهود قوم بهت، وإني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك، وتغيبني عنهم، ثم تسألهم عني، حتى يخبروك كيف أنا فيهم، قبل أن يعلموا بإسلامي، فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني. قال: فأدخلني رسول الله ﷺ في بعض بيوته، ودخلوا عليه، فكلموه وساءلوه، ثم قال لهم: أي رجل الحصين بن سلام فيكم ؟ قالوا: سيدنا وابن سيدنا، وحبرنا وعالمنا. قال: فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم، فقلت لهم: يا معشر يهود، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة باسمه وصفته، فإني أشهد أنه رسول الله ﷺ، وأومن به وأصدقه وأعرفه، فقالوا: كذبت ثم وقعوا بي، قال: فقلت لرسول الله ﷺ ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بهت، أهل غدر وكذب وفجور قال: فأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي، وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث، فحسن إسلامها"(١).

---

(١) نفس المصدر: (ص٢٧٦).

ومضة الجوهرة في التعقيب على معاهدة اليهود:

* بعد بيان ما كان عليه اليهود وتجلي بنود المعاهدة التي تم ذكرها في ميثاق التحالف الإسلامي يتجلى لنا كيف صارت المدينة وضواحيها واحةً للأمن والسلام بقيادة النبي ﷺ وباتت الكلمة والْغَلبة للمسلمين، فقد أضحت في المدينة المنورة المعمورة زهور البشائر منثورة، وأعطت المطالبُ النبيَّ ﷺ قيادَها، ووطأت له المناجح مهادها، وقد دانت له الطوائف وأمِنَ به الضعيف والخائف، والمنافقون وإن أظهروا طاعة وأضمروا خلافها، وإن تربصوا فتنةً لاستدرار أخلافها، وإن أوهموا المسلمين وفاقا وأضمروا نفاقا، وإن تحلَّوْا بموالاة وموافقة، ولبسوها على مداجاة ومنافقة؛ فإن ذلك لحكمة أرادها الله ولأجل معلوم، وكذلك إن وَكَّأَ اليهود على الغش عِيَابَهم وحنت على النكث ضلوعهم وحجابهم، وإن أبْدَوْا بادية وفاق عن خافية نفاق، وإن لم تطلع لهم طالعة وداد إلا عن خبيئة عناد، وإن لم تبرز لهم شيمة تقرُّب وصفاء إلا وهي غطاء على حيلة دهاء، وإن أظهروا تسليما يتخلله لجاج وأبدوا استقامة يكدرها اعوجاج؛

فإن النبي ﷺ قد أخذهم بسنة الإعذار وقدم النصح للأحبار دون الإبعاد والإجبار، وألقى إليهم بالعهود الإنذارَ دون سياسة الخصام والإنكار، فمن أضرم بعد ذلك في الفتنة نارًا ورفع لها بالخيانة منارًا فقد أباح من نفسه المحذور ومن ملكه الحجر المحجور.



إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه

* وفي نفس عام الهجرة أسلم سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وأذن الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ وللمسلمين بالقتال بعدما اشتد أزرهم وقويت شوكة الإسلام، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قال: "لما خرج النبيُّ ﷺ من مكةَ قال أبو بكرٍ: أخرجوا نبيَّهم إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعونَ ليَهْلِكُنَّ فنزلت ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾ [الحج: ٣٩] قال: فعرف أنَّهُ سيكونُ قتالٌ قال ابنُ عباسٍ: هي أولُ آيةٍ نزلت في القتالِ"(١).

(١) تخريج المسند لشاكر: (٣/ ٢٦٢)، وأخرجه الترمذي (٣١٧١)، والنسائي (٣٠٨٥)، وأحمد (١٨٦٥) واللفظ له.

* **وقال ابن القيم رحمه الله(١):** "فلما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة، وأيده الله بنصره بعباده المؤمنين الأنصار، وألف بين قلوبهم بعد العداوة والإحن التي كانت بينهم، فمنعته أنصار الله وكتيبة الإسلام من الأسود والأحمر، وبذلوا نفوسهم دونه، وقدموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج، وكان أولى بهم من أنفسهم، رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة، وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة، وصاحوا بهم من كل جانب، والله سبحانه يأمرهم بالصبر والعفو والصفح حتى قويت الشوكة، واشتد الجناح، فأذن لهم حينئذ في القتال، ولم يفرض عليهم، فقال تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾ [الحج: ٣٩].

(١) زاد المعاد: (٣/ ٦٣).

 **وإليك قصة إسلام سيدنا سلمان الفارسي** رضي الله عنه لِمَن أراد أن يطلع عليها، وهي قصة طويلة لكن في آخرها ما يؤثر في كل قلب مؤمن وتدمع له عيون المحبين فلم أرض بفوات ذكره:

* عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ حَدِيثَهُ مِنْ فِيهِ قَالَ (كُنْتُ رَجُلا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ، مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا جَيٌّ، وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَ قَرْيَتِهِ (أي رئيسها)، وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللهِ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ، أَيْ مُلازِمَ النَّارِ، كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ، وَأَجْهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ حَتَّى كُنْتُ قَطَنَ النَّارِ (أي خادمها) الَّذِي يُوقِدُهَا لا يَتْرُكُهَا تَخْبُو سَاعَةً، قَالَ وَكَانَتْ لأَبِي ضَيْعَةٌ (أي بستان) عَظِيمَةٌ، قَالَ فَشُغِلَ فِي بُنْيَانٍ لَهُ يَوْمًا فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُنْيَانٍ هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضَيْعَتِي فَاذْهَبْ فَاطَّلِعْهَا، وَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ، فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَهُ، فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَكُنْتُ لا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ لِحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ،

فَلَمَّا مَرَرْتُ بِهِمْ وَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُونَ، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبَنِي صَلاَتُهُمْ وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ، وَقُلْتُ هَذَا وَاللهِ خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتْ الشَّمْسُ، وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي وَلَمْ آتِهَا، فَقُلْتُ لَهُمْ: أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ ؟ قَالُوا: بِالشَّامِ . قَالَ ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلَبِي وَشَغَلْتُهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ، قَالَ فَلَمَّا جِئْتُهُ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ ! أَيْنَ كُنْتَ ؟ أَلَمْ أَكُنْ عَهِدْتُ إِلَيْكَ مَا عَهِدْتُ ؟ قَالَ قُلْتُ: يَا أَبَتِ ! مَرَرْتُ بِنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ لَهُمْ، فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ، فَوَاللهِ مَازِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتْ الشَّمْس، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ ! لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ، دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ، قَالَ قُلْتُ: كَلا وَاللهِ إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ دِينِنَا. قَالَ: فَخَافَنِي، فَجَعَلَ فِي رِجْلَيَّ قَيْدًا، ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ، قَالَ وَبَعَثْتُ إِلَى النَّصَارَى فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ مِنْ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنْ النَّصَارَى فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ . قَالَ: فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنْ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنْ النَّصَارَى، قَالَ فَأَخْبَرُونِي بِهِمْ، قَالَ فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلادِهِمْ

فَآذِنُونِي بِهِمْ، قَالَ فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ أَخْبَرُونِي بِهِمْ، فَأَلْقَيْتُ الْحَدِيدَ مِنْ رِجْلَيَّ ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ، فَلَمَّا قَدِمْتُهَا قُلْتُ: مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ ؟ قَالُوا: الأَسْقُفُّ فِي الْكَنِيسَةِ. قَالَ فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ أَخْدُمُكَ فِي كَنِيسَتِكَ وَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ وَأُصَلِّي مَعَكَ، قَالَ: فَادْخُلْ . فَدَخَلْتُ مَعَهُ، قَالَ فَكَانَ رَجُلَ سَوْءٍ، يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهَا فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ مِنْهَا أَشْيَاءَ اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِهِ الْمَسَاكِينَ، حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ، قَالَ وَأَبْغَضْتُهُ بُغْضًا شَدِيدًا لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ، ثُمَّ مَاتَ فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النَّصَارَى لِيَدْفِنُوهُ، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلَ سَوْءٍ، يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُكُمْ فِيهَا فَإِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا . قَالُوا: وَمَا عِلْمُكَ بِذَلِكَ ؟ قَالَ قُلْتُ: أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَنْزِهِ . قَالُوا: فَدُلَّنَا عَلَيْهِ . قَالَ فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ، قَالَ فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرِقًا، قَالَ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا: وَاللهِ لا نَدْفِنُهُ أَبَدًا . فَصَلَبُوهُ ثُمَّ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ، ثُمَّ جَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ فَجَعَلُوهُ

بِمَكَانِهِ، قَالَ يَقُولُ سَلْمَانُ: فَمَا رَأَيْتُ رَجُلا لا يُصَلِّي الْخَمْسَ أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا وَلا أَرْغَبُ فِي الآخِرَةِ وَلا أَدْأَبُ لَيْلا وَنَهَارًا مِنْهُ . قَالَ فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَهُ، وَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا، ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ ! إِنِّي كُنْتُ مَعَكَ، وَأَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللهِ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي ؟ وَمَا تَأْمُرُنِي ؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ ! وَاللهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ وَبَدَّلُوا وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ إِلا رَجُلا بِالْمَوْصِلِ وَهُوَ فُلانٌ، فَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، فَالْحَقْ بِهِ. قَالَ فَلَمَّا مَاتَ وَغَيَّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ الْمَوْصِلِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلانُ ! إِنَّ فُلانًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلْحَقَ بِكَ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَلَى أَمْرِهِ . قَالَ فَقَالَ لِي: أَقِمْ عِنْدِي . فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ خَيْرَ رَجُلٍ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلانُ! إِنَّ فُلانًا أَوْصَى بِي إِلَيْكَ وَأَمَرَنِي بِاللُّحُوقِ بِكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مِنْ اللهِ مَا تَرَى، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي ؟ وَمَا تَأْمُرُنِي ؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ ! وَاللهِ مَا أَعْلَمُ رَجُلًا عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ

إلا بِنصِّيبِينَ، وَهُوَ فُلَانٌ، فَالْحَقْ بِهِ . وَقَالَ فَلَمَّا مَاتَ وَغَيَّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ نِصِّيبِينَ، فَجِئْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِي وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبِي، قَالَ: فَأَقِمْ عِنْدِي . فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ عَلَى أَمْرِ صَاحِبَيْهِ، فَأَقَمْتُ مَعَ خَيْرِ رَجُلٍ، فَوَاللهِ مَا لَبِثَ أَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ ! إِنَّ فُلانًا كَانَ أَوْصَى بِي إِلَى فُلانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي ؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ ! وَاللهِ مَا نَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ عَلَى أَمْرِنَا آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ إِلا رَجُلا بِعَمُّورِيَّةَ، فَإِنَّهُ بِمِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَأْتِهِ قَالَ فَإِنَّهُ عَلَى أَمْرِنَا، قَالَ فَلَمَّا مَاتَ وَغَيَّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ عَمُّورِيَّةَ وَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي، فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي. فَأَقَمْتُ مَعَ رَجُلٍ عَلَى هَدْيِ أَصْحَابِهِ وَأَمْرِهِمْ، قَالَ وَاكْتَسَبْتُ حَتَّى كَانَ لِي بَقَرَاتٌ وَغُنَيْمَةٌ، قَالَ ثُمَّ نَزَلَ بِهِ أَمْرُ اللهِ فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلانُ ! إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلانٍ، فَأَوْصَى بِي فُلانٌ إِلَى فُلانٍ، وَأَوْصَى بِي فُلانٌ إِلَى فُلانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي ؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ ! وَاللهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكَ

زَمَانُ نَبِيٍّ، هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ، يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ (الحرة: الأرض ذات الحجارة السود)، بَيْنَهُمَا نَخْلٌ، بِهِ عَلامَاتٌ لا تَخْفَى: يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ وَلا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلادِ فَافْعَلْ. قَالَ ثُمَّ مَاتَ وَغَيَّبَ، فَمَكَثْتُ بِعَمُّورِيَّةَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَمْكُثَ، ثُمَّ مَرَّ بِي نَفَرٌ مِنْ كَلْبٍ تُجَّارًا، فَقُلْتُ لَهُمْ: تَحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ وَأُعْطِيكُمْ بَقَرَاتِي هَذِهِ وَغُنَيْمَتِي هَذِهِ ؟ قَالُوا: نَعَمْ . فَأَعْطَيْتُهُمُوهَا وَحَمَلُونِي، حَتَّى إِذَا قَدِمُوا بِي وَادِي الْقُرَى ظَلَمُونِي فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ يَهُودَ عَبْدًا، فَكُنْتُ عِنْدَهُ، وَرَأَيْتُ النَّخْلَ، وَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ الْبَلَدَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، وَلَمْ يَحِقْ لِي فِي نَفْسِي، فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَهُ قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنْ الْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَابْتَاعَنِي مِنْهُ، فَاحْتَمَلَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلا أَنْ رَأَيْتُهَا فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي، فَأَقَمْتُ بِهَا، وَبَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ فَأَقَامَ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ، لا أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرٍ مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُغْلِ الرِّقِّ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللهِ إِنِّي لَفِي رَأْسِ عَذْقٍ لِسَيِّدِي أَعْمَلُ فِيهِ بَعْضَ

الْعَمَلِ وَسَيِّدِي جَالِسٌ إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ فُلانٌ: قَاتَلَ اللهُ بَنِي قَيْلَةَ، وَاللهِ إِنَّهُمْ الآنَ لَمُجْتَمِعُونَ بِقُبَاءَ عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ، قَالَ فَلَمَّا سَمِعْتُهَا أَخَذَتْنِي الْعُرَوَاءُ (برد الحمى) حَتَّى ظَنَنْتُ سَأَسْقُطُ عَلَى سَيِّدِي، قَالَ: وَنَزَلْتُ عَنْ النَّخْلَةِ فَجَعَلْتُ أَقُولُ لابْنِ عَمِّهِ ذَلِكَ: مَاذَا تَقُولُ مَاذَا تَقُولُ؟ قَالَ فَغَضِبَ سَيِّدِي فَلَكَمَنِي لَكْمَةً شَدِيدَةً ثُمَّ قَالَ: مَا لَكَ وَلِهَذَا ؟! أَقْبِلْ عَلَى عَمَلِكَ . قَالَ قُلْتُ: لا شَيْءَ، إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَثْبِتَ عَمَّا قَالَ . وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُهُ، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ أَخَذْتُهُ ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِقُبَاءَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذَوُو حَاجَةٍ، وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ، فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ، قَالَ فَقَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: كُلُوا . وَأَمْسَكَ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ، قَالَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي هَذِهِ وَاحِدَةٌ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ عَنْهُ فَجَمَعْتُ شَيْئًا، وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ جِئْتُ بِهِ، فَقُلْتُ إِنِّي رَأَيْتُكَ لا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا،

قَالَ فَأَكَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهَا، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ، قَالَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي هَاتَانِ اثْنَتَانِ، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ، قَالَ: وَقَدْ تَبِعَ جَنَازَةً مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ شَمْلَتَانِ لَهُ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَدَرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ اسْتَدَرْتُهُ عَرَفَ أَنِّي أَسْتَثْبِتُ فِي شَيْءٍ وُصِفَ لِي، قَالَ فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ فَانْكَبَبْتُ عَلَيْهِ أُقَبِّلُهُ وَأَبْكِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: تَحَوَّلْ. فَتَحَوَّلْتُ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ فَأَعْجَبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ، ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرِّقُّ حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَدْرٌ وَأُحُدٌ، قَالَ ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ. فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثِ مِائَةِ نَخْلَةٍ أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ (حفرة الفسيلة التي تغرس فيها) وَبِأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَصْحَابِهِ: أَعِينُوا أَخَاكُمْ. فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ، الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً (أي صغار النخل)، وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ، وَالرَّجُلُ بِخَمْسَ

عَشْرَةَ، وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ، يَعْنِي الرَّجُلَ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلاثُ مِائَةِ وَدِيَّةٍ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقِّرْ لَهَا (أي احفر لها موضع غرسها)، فَإِذَا فَرَغْتَ فَأْتِنِي أَكُونُ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدَيَّ، فَفَقَّرْتُ لَهَا وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي حَتَّى إِذَا فَرَغْتُ مِنْهَا جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعِي إِلَيْهَا: فَجَعَلْنَا نُقَرِّبُ لَهُ الْوَدِيَّ، وَيَضَعُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، فَأَدَّيْتُ النَّخْلَ وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ، مِنْ بَعْضِ الْمَغَازِي، فَقَالَ: مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتَبُ؟ قَالَ فَدُعِيتُ لَهُ فَقَالَ: خُذْ هَذِهِ فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ. فَقُلْتُ: وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللهِ مِمَّا عَلَيَّ. قَالَ: خُذْهَا فَإِنَّ اللهَ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ. قَالَ فَأَخَذْتُهَا فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا، وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ، وَعُتِقْتُ، فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْخَنْدَقَ، ثُمَّ لَمْ يَفُتْنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ(١).

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٤٤١).

* وفي نفس عام الهجرة الأول حقِّق تشريع الأذان.

* **حديث الأذان:** عن عمومة أبي عمير بن أنس ﵁ قال: "اهتمَّ النبيُّ ﷺ للصلاة كيف يجمع الناسَ لها فقيل له انصُب رايةً عند حضور الصلاةِ فإذا رأوها آذنَ بعضُهم بعضًا فلم يعجبْه ذلك قال فذكر له القنعُ يعني الشبورَ وقال زياد شبورُ اليهودِ فلم يعجبْه ذلك وقال هو من أمرِ اليهودِ قال فذُكر له الناقوسُ فقال هو من أمرِ النصارى، فانصرف عبدُ اللهِ بنُ زيدٍ بنِ عبدِ ربِّه وهو مهتمٌّ لهمِّ رسولِ اللهِ ﷺ فأريَ الأذانَ في منامِه قال فغدا على رسولِ اللهِ ﷺ فأخبره، فقال له يا رسولَ اللهِ إني لبين نائمٍ ويقِظانٍ إذ أتاني آتٍ فأراني الأذانَ، قال وكان عمرُ بنُ الخطابِ ﵁ قد رآهُ قبل ذلك فكتمهُ عشرينَ يومًا قال ثم أخبر النبيَّ ﷺ فقال له ما منعك أن تخبرَني، فقال سبقني عبدُ اللهِ بنُ زيدٍ فاستحييتُ فقال رسولُ اللهِ ﷺ يا بلالُ قمْ فانظرْ ما يأمرُك به عبدُ اللهِ بنُ زيدٍ فافعله، قال فأذَّن بلالٌ، قال أبو بشرٍ فأخبرني أبو عميرٍ أنَّ الأنصارَ تزعم أنَّ عبدَ اللهِ بنَ زيدٍ لولا أنه كان يومئذٍ مريضًا لجعله رسولُ اللهِ ﷺ مؤذنًا"(١).

---

(١) صحيح أبي داود: (٤٩٨) واللفظ له، والبيهقي (١٩٠٨) باختلاف يسير.

وقد رافق تشريع الأذان اكتمالُ عدد الصلوات فقد كانت الصلاة ركعتين في الصباح وركعتين في المساء قبل الإسراء والمعراج، وبعد الإسراء والمعراج صارت ركعتين في كل صلاة من الصلوات الخمس، ثم زادت بعد الهجرة في الحضر ركعتين في صلاة الظهر وفي العصر والعشاء، وزيدت المغرب ركعة واحدة لأنها وتر النهار، وتركت صلاة الفجر ركعتين لطول القراءة، ثم خففت الصلوات الرباعية في السفر فقط.

* **عن عائشةَ قالت:** "فُرِضَتِ الصلاةُ ركعتينِ ركعتينِ في الحضَرِ والسَّفَرِ فأُقِرَّتْ صلاةُ السَّفرِ وزيدَ في صلاةِ الحضَرِ"(١).

* وتكرار كلمة ركعتين ركعتين يفيد العموم قبل الهجرة.

* وفي كتاب الهجرة(٢) من طريق معمر عن الزهري عن عروة عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: " فرضت الصلاة ركعتين، ثم هاجر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففرضت أربعا " فعين في هذه الرواية أن الزيادة هنا " وزيد في صلاة الحضر " وقعت بالمدينة.

---

(١) سنن أبي داود:(١١٩٨)، وفي حكمه سكت عنه المحدث، وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح.

(٢) وروى ذلك ابن خزيمة وابن حبان والبيهقي من طريق الشعبي عن مسروق عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وانظر الهجرة للبخاري: (٧/٣١٤)، وانظر فتح الباري:(ج١/ ٥٥٣).



فرض الجهــاد



١١٧ - وَفِي ثَانِيَ ٱلْأَعْوَامِ لِلْهِجْرَةِ ٱكْتَسَى
ٱلْجِهَادُ بِثَوْبِ ٱلْفَرْضِ فِيهِ وَأُصِّلَا

١١٨ - مِنَ ٱلْقُدْسِ لِلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ فَوَجْهُنَا
لِأَمْرٍ ٱتِّجَاهِ ٱلْقِبْلَةِ ٱلْهَامُّ حُوِّلَا

١١٩ - وَفَرْضُ زَكَاةٍ مَعْ صِيَامٍ لِفِطْرِهِ
زَكَاةٌ ، وَصَلَّى ٱلْعِيدَ مَنْ قَدْ تَنَفَّلَا

المعنى: في العام الثاني للهجرة اكتسى الجهاد بثوب الفرض أي أصبح فرضا لأن الله أذن به عند هجرة النبي ﷺ ثم فرضه تدريجيا، وهذه هي مراحله:

١ – عند الهجرة: لما خرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر رضي الله عنه: "أخرَجُوا نبيَّهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، لَيَهْلِكُنّ، فأنزل الله عز وجل: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾ [الحج: ٣٩].

٢- في العام الثاني للهجرة: فرض الله قتال المسلمين للمعتدي الذي يقاتلهم فقط،

قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٩٠]

٣- بعد بدء عدوان المشركين لاعتبارهم محاربين: فرض الله قتالَ المشركين كافة، ومسألة أن ذلك فرض عين أو فرض كفاية فيها خلاف، والمشهور أنه فرض كفاية.

مبادئ القتال وقوانينه عند المسلمين في العام الثاني من هجرة النبي ﷺ:

١- بدء المشركين للعدوان يعني أنهم صاروا محاربين للمسلمين وعليه يتوجب القتال إن لم تكن هناك هدنة.

٢- مساعدة أي قبيلة عربية لقريش في العدوان على المسلمين يعني أنها معادية ويقاتلها المسلمون.

٣- مَن عادَى مِن أهل الكتاب المسلمين يقاتَل حتى يدخل في الإسلام أو يدفع

الجزية، ومَن أسلم فقد عصم دمه وماله إلا بالحق، والإسلام يجب ويقطع ما قبله.

٤- خيانة اليهود للمسلمين تُحِل قتالهم حتى تنتفي الخيانة عنهم بمعاهدتهم أو يقتلوا.

تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة

وفي العام الثاني للهجرة تم تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وكان في ذلك اختبار للمسلمين والمنافقين والمشركين، واليهود تباينت فيه أقوالهم أمام ذلك الحدث كالتالي:

١- **قال المسلمون:** سمعنا وأطعنا ولم تكن كبيرة عليهم لأن الله هداهم وقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ آية ٧ آل عمران.

٢- **قال المنافقون:** ما يدري محمد أين يتوجه إن كانت الأولى حق فقد تركها، وإن كانت الثانية هي الحق فقد كان على باطل.

٣- **قال المشركون:** كما رجع إلى قبلتِنا يوشك أن يرجع إلى ديننا وهذا يدل على أن دين الآباء هو الحق.

٤- قالت اليهود: لقد خالف قِبْلَة الأنبياء قبله، ولو كان نبيا لكان يصلي إلى قبلة الأنبياء.

وكانت في تغيير القبلة حكمة ليختبر الله عز وجل مدى اتباعهم للنبي ﷺ ويرينا مَن يتبع رسوله ممن ينقلب على عقبيه، ويمحص ما في قلوبهم جميعا.

* عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "بينما الناسُ بقباءٍ في صلاةِ الصبحِ، جاءَهمْ آتٍ، فقالَ: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قدْ أُنزلَ عليهِ الليلةَ قرآنٌ، وقدْ أمرَ أنْ يستقبلَ القبلةَ. فاستقبلُوها، وكانتْ وجوههمْ إلى الشامِ، فاستداروا إلى الكعبةِ"(١).

* وفي هذا الحَديثِ يُخبِرُ سيدنا عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ رضي الله عنهما أنّ الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يُصلُّونَ صَلاةَ الصُّبحِ في المَسجِدِ بقُباءٍ، فأتاهم آتٍ - سيدنا عبَّادُ بنُ بِشرٍ رضي الله عنه - وقال: إنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قدْ أُنزِلَ عليه اللَّيلةَ قُرْآنٌ، وهو قولُه تعالى:

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ

(١) صحيح النسائي:(٧٤٤)، وأخرجه البخاري (٤٠٣)، وأحمد (٥٩٣٤)، ومسلم (٥٢٦)، والنسائي (٧٤٥) واللفظ له.

ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [البقرة: ١٤٤]، وقد أمر أنْ تستقبلوا الكَعْبَةَ، فاستَقبِلوها، وكان ذلك أثناء ركوعهم في الصَّلاة، كما في حديث البَراءِ بنِ عازِبٍ رضي الله عنه ، فاتجه الصحابة رضوان الله عليهم ناحيةِ الكَعْبةِ بعد أنْ كانوا يستقبلون بَيتَ المَقدِسِ في الشَّام.

* فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: "أنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم صَلَّى إلى بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وكانَ يُعْجِبُهُ أنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ البَيْتِ، وأنَّهُ صَلَّى، أوْ صَلَّاهَا، صَلَاةَ العَصْرِ وصَلَّى معهُ قَوْمٌ فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ كانَ صَلَّى معهُ فَمَرَّ علَى أهْلِ المَسْجِدِ وهُمْ رَاكِعُونَ، قالَ: أشْهَدُ باللهِ، لقَدْ صَلَّيْتُ مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كما هُمْ قِبَلَ البَيْتِ، وكانَ الذي مَاتَ علَى القِبْلَةِ قَبْلَ أنْ تُحَوَّلَ قِبَلَ البَيْتِ رِجَالٌ قُتِلُوا، لَمْ نَدْرِ ما نَقُولُ فيهم، فأنْزَلَ اللهُ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾﴾" (١).

(١) صحيح البخاري: (٤٤٨٦)

فرض زكاة المال والصوم وزكاة الفطر

لقد فرض الله صوم شهر رمضان في شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة وفرض زكاة الفطر كما قلت في البيت: (مَعَ صيامٍ لفطره زكاة) وكان قبل فرض الصوم يصوم النبي ﷺ ثلاثة أيام من كل شهر.

صوم رمضان ركن من أركان الإسلام، وأدلته:

١- قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣]

٢- وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]

ومن السُّنَّة الشريفة: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "بُنِيَ الإِسْلَامُ علَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ، وإقَامِ الصَّلَاةِ، وإيتَاءِ الزَّكَاةِ، والحَجِّ، وصَوْمِ رَمَضَانَ"(١).

---

(١) أخرجه البخاري(٨)، ومسلم (١٦).

وفي زكاة الفطر: عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: "فَرَضَ رَسولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِن تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِن شَعِيرٍ علَى العَبْدِ والحُرِّ، والذَّكَرِ والأُنْثَى، والصَّغِيرِ والكَبِيرِ مِنَ المُسْلِمِينَ، وأَمَرَ بهَا أنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إلى الصَّلَاةِ"(١).

وقد فرض الله في نفس السنة زكاة المال ليكفي بها الفقراء والمساكين ويزكي بها الأغنياء ويملأ قلوبهم بالرحمة تجاه الفقراء وليتكامل بها المجتمع الإسلام، وتكون ببلوغ الدراهم مائتين والدنانير عشرين بشرط أن يحول عليها الْحَوْل؛ فتؤدَّى ربع عشرها أي بمقدار اثنين ونصف في كل مائة، وعلى هذا يحسب ما يزيد.

* والدليل من قول الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]

(١) صحيح البخاري: (١٥٠٣)، وأخرجه مسلم (٩٨٤، ٩٨٦) مفرقًا باختلاف يسير.

ومن السُّنَّة الشريفة:

* عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ لِمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إلى اليَمَنِ: إنَّكَ سَتَأْتي قَوْمًا أهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إلى أنْ يَشْهَدُوا أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ، فإنْ هُمْ أطَاعُوا لكَ بذلكَ، فأخْبِرْهُمْ أنَّ اللهَ قدْ فَرَضَ عليهم خَمْسَ صَلَوَاتٍ في كُلِّ يومٍ ولَيْلَةٍ، فإنْ هُمْ أطَاعُوا لكَ بذلكَ، فأخْبِرْهُمْ أنَّ اللهَ قدْ فَرَضَ عليهم صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِن أغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ علَى فُقَرَائِهِمْ، فإنْ هُمْ أطَاعُوا لكَ بذلكَ، فَإِيَّاكَ وكَرَائِمَ أمْوَالِهِمْ، واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فإنَّه ليسَ بيْنَهُ وبيْنَ اللهِ حِجَابٌ"(١).

(١) صحيح البخاري: (١٤٩٦).

صلاة العيد:

* وقولي: (وصلَّى العيد من قد تنفَّلا) معناه سنّ صلاة العيد وأنها نافلة صلَّاها مَن أتى السنة.

* وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قال: "سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، قيلَ له: أَشَهِدْتَ العِيدَ مع النبيِّ ﷺ ؟ قالَ: نَعَمْ، ولَوْلَا مَكَانِي مِنَ الصِّغَرِ ما شَهِدْتُهُ حتَّى أَتَى العَلَمَ الذي عِنْدَ دَارِ كَثِيرِ بنِ الصَّلْتِ، فَصَلَّى، ثُمَّ خَطَبَ، ثُمَّ أَتَى النِّسَاءَ ومعهُ بلَالٌ، فَوَعَظَهُنَّ، وذَكَّرَهُنَّ، وأَمَرَهُنَّ بالصَّدَقَةِ، فَرَأَيْتُهُنَّ يَهْوِينَ بأَيْدِيهِنَّ يَقْذِفْنَهُ في ثَوْبِ بلَالٍ، ثُمَّ انْطَلَقَ هو وبِلَالٌ إلى بَيْتِهِ"(١).

* وفي هذا الحديث أخبر سيدنا عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه حضر العيد صغيرا مع النبي ﷺ، وكاد من صغر سنه ألا يحضر ولكنه حضر لقربه من النبي ﷺ، وأخبر أنه ذهب مع النبي ﷺ إلى مصلى النساء حيث أنه لصغر سنه أتيح له ذلك، وخرج حينها النبي ﷺ إلى مصلى النساء عند دار كثير بن الصَّلت، وهي دار كبيرة كانت قبلة مصلى العيدين في المدينة، وهي تطل على بطن بُطْحان، وهو الوادي الذي في وسط المدينة، وصلى النبي ﷺ صلاة العيد ركعتين بغير أذان ولا إقامة، وبغير

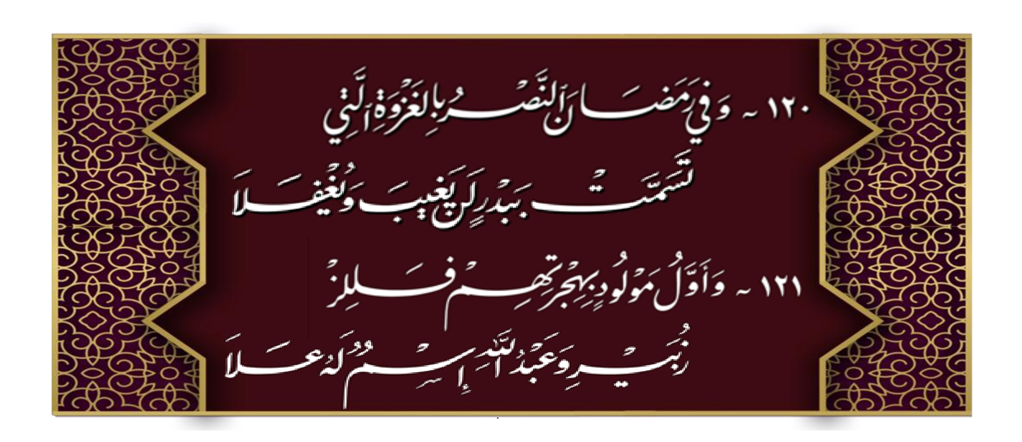
---

(١) صحيح البخاري: (٩٧٧)، وأخرجه مسلم (٨٨٤) باختلاف يسير.

صلاة قبلها أو بعدها، وخطب خطبة العيد من خطبتين واستراحة بينهما كخطبة الجمعة، لكن الفرق بينها وبين خطبة الجمعة أنها تكون بعد صلاة العيد أما خطبة الجمعة تكون قبل صلاة الجمعة، وأتى بعدها النبي ﷺ النساء ومعه بلال رضي الله عنه ؛ ليتولى بلال قبض الصدقة، ووعظ النبي ﷺ النساء وأمرهن بالصدقة، فسارعت النساء بالتصدق وكنّ يأخذن الحليّ من رقابهن وأيديهن ويقذفنه في ثوب بلال رضي الله عنه ؛ ليوزعها النبي ﷺ على الفقراء والمحتاجين.

وصلاة العيد لها أهمية ودلالة عظيمة؛ لأنها تبرز وحدة المسلمين وقوتهم حال تجمعهم وتآلفهم في هذه اللحظة الشريفة وهم في عز وفرحة وحب للدين، وظهر من الحديث عدة فوائد منها وعظ الإمام للنساء في حال عدم تمكنهن من سماع الخطبة، وفصل مصلى النساء عن مصلى الرجال، وظهرت فيه مكانة سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما من النبي ﷺ، وشرف نساء الصحابة وحظهن في وعظ النبي واستماع خطبته، وظهر فضلهن في المسارعة بالتصدق وحسن الاستجابة لأمر الله ورسوله ﷺ، كما ظهر من الحديث خروج المسلمين لصلاة العيد في المصلى، وجواز حضور النساء والأطفال.

أحداث سبقت غزوة بدر



المعنى: هنا نأتي للحديث عن تاريخ غزوة بدر وقد سبقتها في هذه الفترة بعض الأحداث، مثل: وفاة الأنصاري كُلْثُوم بن الْهِدْم - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - الذي نزل عليه النبي ﷺ بقباء وقت الهجرة، ومن المهاجرين تُوفِّي الصحابي عثمان بن مظعون رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وكان أخًا للنبي ﷺ في الرضاعة، كما توفي أحد النقباء الاثني عشر لبيعة العقبة الثانية وهو الصحابي الأنصاري: أسعد بن زُرَارَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

* ومن الأحداث الجلية في هذه الفترة مولد عبد الله بن الزبير بن العوام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وعن والديه وعن الصحابة أجمعين، وكان أول مولود في المدينة المنورة بعد الهجرة.

* وأراح الله المسلمين من شر العاص بن وائل السهمي والوليد بن المغيرة بموتهما.

مرض أبي بكر وبلال وعامر بن فهيرة رضي الله عنهم:

* وفي هذه الفترة وقبل خروج النبي ﷺ للغزوات كان أبو بكر وبلال وعامر بن فهيرة مَوْليا أبي بكر في بيت واحد وأصابتهم الحمى، ودخلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قبل أن يضرب الحجاب، وسألتهم عن حالهم لما رأتهم في سقم وبلاء ثم ذكرت للنبي ﷺ ما سمعت منهم لشدة الحمى؛ فدعا النبي صلى الله عليه أن يصرف الحمى عن المدينة إلى مَهْيَعَة وهي الْجُحْفَة.

* **عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت:** "لَمَّا قَدِمَ رَسولُ اللهِ ﷺ وُعِكَ أبو بَكْرٍ وبِلَالٌ، قَالَتْ: فَدَخَلْتُ عليهمَا، فَقُلتُ: يا أبَتِ كيفَ تَجِدُكَ؟ ويَا بلَالُ كيفَ تَجِدُكَ؟ قَالَتْ: وكانَ أبو بَكْرٍ إذَا أخَذَتْهُ الحُمَّى يقولُ: كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ في أهْلِهِ... والمَوْتُ أدْنَى مِن شِرَاكِ نَعْلِهِ وَكانَ بلَالٌ إذَا أُقْلِعَ عنْه يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ فيقولُ: أَلَا لَيْتَ

شِعْرِي هلْ أبِيتَنَّ لَيْلَةً... بوَادٍ وحَوْلِي إذْخِرٌ وجَلِيلُ وَهلْ أرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مِجَنَّةٍ...

وهلْ تَبْدُوَنْ لي شَامَةٌ وطَفِيلُ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجِئْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ فأخْبَرْتُهُ،

فَقَالَ: اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أوْ أشَدَّ، وصَحِّحْهَا، وبَارِكْ لَنَا في صَاعِهَا

ومُدِّهَا، وانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بالجُحْفَةِ."(١)

وكانت في تلك الفترة للنبي ﷺ سياسة بعد نزول الإذن بالقتال، وذلك لإحكام الحماية والسيطرة على الطريق الذي تسلكه قريش في رحلات التجارة من مكة إلى الشام، وخلاصة تلك السياسة والخطة هي إرسال البعوث إلى هذه الطريق للاستطلاع وإنذار قريش لتتوقف عن قتال المسلمين وتعذيبهم، ولإظهار القوة للمشركين واليهود، وعقد معاهدات الحلف والسلام مع القبائل المجاورة لهذه الطريق.

---

(١) صحيح البخاري: (٥٦٧٧)، ومسلم (١٣٧٦).

 **فترة مكوث النبي ﷺ في المدينة بدون حرب:**

* **قال ابن إسحاق:** "ورسول الله ﷺ يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة، وذلك بعد أن بعثه الله عز وجل بثلاث عشرة سنة، فأقام بها بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر وجُمَادَيَيْن، ورجبًا، وشعبان، وشهر رمضان، وشوَّالًا، وذا القعدة، وذا الحجة، وولى تلك الحجة المشركون، والمحرم"(١).

غزوة الأبواء

* وَفي شَهْرِ صَفَر مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ، الْمُوَافِق أغسطس من سنة ستمائة وثلاثة وعشرين من الْمِيلَاد كَانَتْ أَوَّلُ غَزوة للنَّبيّ ﷺ وَهي الأَبْواءَ ثَمَّ بُواطَ ثَمَّ العُشَيْرَةَ. وهي قريةٌ مِن عَمَلِ الفُرْعِ، بينها وبين الجُحْفَةِ مِن جِهَةِ المدينةِ ثلاثةٌ وعِشرون مِيلًا. ووَرَدَت تَسْمِيَتُهَا بذلك حَسْبَمَا قِيلَ لِما كان فيها مِنَ الوَباءِ، وهي غَزوةُ وَدَّانَ بِتَشديدِ الدَّالِ، وخرج حِينَهَا النَّبيُّ ﷺ بِنَفْسِهِ غازِيًا فِي سَبْعِين رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ

(١) السيرة النبوية لابن هشام، طبعة دار المنار: (ج ١-٢ / ص٣٢٥).

يَعْتَرِضُ عِيرًا لِقُرَيْش حتَّى انتَهى إلى وَدَّانَ، وهي الأَبْواءُ، وَكَانَ قَدِ اسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ.

* وَقِيلَ إن النَّبِيَّ ﷺ خرج مِنَ المدينةِ على رأسِ اثنيْ عشرَ شهرًا مِن مَقْدَمِهِ المدينةَ يُرِيدُ قُرَيشًا، فَوادَعَ بني ضَمْرَةَ بنِ بكرِ بنِ عبدِ مَنَاةَ، مِن كِنانةَ، وادَعَهُ رَئِيسُهم مَجْدِيُّ بنُ عَمرِو بْن مَخْشِيّ الضَّمْرِيّ، وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي ضَمْرَة حِينَهَا، ولَمْ يَلْقَ النَّبِيُّ ﷺ كَيْدًا وَعَادَ بغيرِ قِتالٍ بَعْدَ أَنْ كَتَبَ بَيْنَهَ وَبَينهم كِتابًا نَصُّهُ:

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة فإنهم آمنون على أموالِهم وأنفسِهم، وأن لهم النصرة على مَنْ رامهم إلا أن يحاربوا دين الله، ما بَلَّ بَحْرٌ صُوفَةٌ.(١)، وأنَّ النبيَّ إذا دعاهم لنصره أجابوه، عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله، ولهم النصر على من بر منهم واتقى».(٢)

* وكَانَتْ غَيْبَةُ النَّبِيّ ﷺ خَمْسَ عشرة لَيْلَة.

---

(١) ما بَلَّ بحرٌ صُوفة: أي ما دام في في البحر ما يبل الصوفة.

(٢) نص كتاب النبي ﷺ لبني ضمرة ذكره صاحب سبيل الهدى والرشاد: (ج٤ / ص١٥) عن ابن حزم في الجمهرة، وذكره صاحب الرحيق المختوم: (ص١٨٦) عن الزرقاني في شرحه للمواهب اللدنية: (١ / ٧٥).

سَرِيَّة سيف البحر

* بَعْدَمَا عَادَ النبيُّ ﷺ مِن غَزْوَةِ الْأَبْوَاءِ أَقَامَ فِي الْمَدِينَةِ بَقِيَّةَ شَهْرِ صَفَر وَرَبِيعِ الْأَوَّل وقليلا من شهر رَبيع الآخر وفِي تِلْكَ الْمُدَّةِ أَرْسَلَ ﷺ سَرِيَّةً إلى سِيفِ (ساحِلِ) البحرِ، وَبَعَثَ عليها حمزةَ بنَ عبد المطلب - رضي الله عنه - في ثلاثين راكبًا مِن المُهاجِرين، وكان لِواءُ حَمزةَ أولَ لواءٍ عَقَده رسولُ الله ﷺ، وكان أبيضَ، وكان حامِلُه أبا مِرثَدٍ كَنَّازَ بنَ حُصينٍ الغَنويَّ رضي الله عنه ، وكانت خطّةُ هذه السَّرِيَّةِ هِي اعتِراض عِيرٍ لقُريشٍ قادِمة من الشامِ، وكان فيها أبو جهلِ بنُ هشامٍ في ثلاثمائةِ راكبٍ مِن كفار مكة، فبَلَغوا سِيفَ البحرِ من ناحيةِ العيصِ -اسمُ موضِعٍ قُربَ المدينةِ على ساحِلِ البحرِ- فالْتَقَوا وتجهّزَت صفوفهم للقتالِ، فقام للتهْدِئةِ والْحَجْزِ بينهم مَجْديُّ بن عَمرٍو الجُهنيُّ حيث كان حليفًا للفَريقَينِ أي بين هؤلاءِ وهؤلاءِ؛ فَحَجَز بينهم، وتوادع الفريقان على يديه، فلم يَقتَتِلوا، وكانتْ سريَّةُ حمزةَ رضي الله عنه في آنٍ واحدٍ مع سريَّةِ عُبيدةَ بنِ الحارثِ رضي الله عنه إلى رابغٍ، وَفَرّ في ذلك اليوم من

الكفَّارِ إلى المسلمين: المقدادُ بنُ عمرٍو، وعُتْبَة بنُ غَزْوَان، وكانا قد أسلما قبل ذلك لكن لم يجدا سبيلا للحاق بالمسلمين وبالنبي ﷺ قبل ذلك اليوم.

سَرِيَّةُ عُبيدة بن الحارثِ رضي الله عنه

* عِنْدَمَا وَصَلَ النَّبيُّ ﷺ لِلْأَبْواءِ بَعَثَ عُبيدةَ بنَ الحارثِ في سِتِّينَ رجلًا فَلَقوا جمعًا مِن قُريشٍ فتَرَامَوْا بالنَّبْلِ، فَرَمَى سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ بِسَهمٍ، وكان أوَّلَ مَن رَمى بِسَهمٍ في سَبيلِ اللهِ.

* وسميت سرية عبيدة بن الحارث بسرية رابغ، وكانت بالسنة الأولى من الهجرة، قيل كانت في شوال وقيل كانت في آن واحد مع سرية سيف البحر في رمضان، ولقى فيها أبوعبيدة أبا سفيان - وهو في مائتين- على بطن رابغ، وترامى الفريقان بالنبل لكن لم يقع قتال، وكان لواء أبو عبيدة أبيض وحمله مِسْطَح بنُ أُثَاثة بن المطلب بن عبد مناف.

سَرِيَّة الْخَرَّار

* وبعث النبي ﷺ في شهر ذي القعدة من السنة الأولى للهجرة سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عشرين رجلا يعترضون عيرا لقريش، وكان لواء سعد أبيض وحمله المقداد بن عمرو، وكان النبي ﷺ قد عهد إلى سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ألا يجاوز الْخَرّار، وكانوا مشاة يكمنون بالنهار ويستكملون السير بالليل، وفي صبيحة خمس بلغوا الخرّار ولكن وجدوا العير قد مرت أمس ذلك اليوم.

غزوة بواط

* ومن الأحداث التي سبقت غزوة بدر هي غزوة بُواط، وبواط اسم جبل من جبال جهينة بينه وبين المدينة ثمانية وأربعين ميلا، وقد وقعت هذه الغزوة في شهر ربيع الأول في السنة الثانية للهجرة في عام ستمائة وثلاثة وعشرين، وخرج فيها النبي ﷺ في مائتين من أصحابه، يعترضون عيرا لقريش، ولقوا أمية بن خلف الْجُمحي ومائة رجل من قريش، ومعهم ألفان وخمسمائة بعير، فبلغ النبي ﷺ بواطا من ناحية

جبل رضوى؛ فبواط ورضوى جبلان متفرعان من أصل واحد، ولم يلق النبي ﷺ كيدا من قريش.

❋ وعن جابر بن عبد الله أنه قال: "سِرْنَا مع رَسولِ اللهِ ﷺ في غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاطٍ، وَهو يَطْلُبُ المَجْدِيَّ بنَ عَمْرٍو الجُهَنِيَّ، وَكانَ النَّاضِحُ يَعْتَقِبُهُ مِنَّا الخَمْسَةُ وَالسِّتَّةُ وَالسَّبْعَةُ، فَدَارَتْ عُقْبَةُ رَجُلٍ مِنَ الأنْصَارِ علَى نَاضِحٍ له، فأنَاخَهُ فَرَكِبَهُ، ثُمَّ بَعَثَهُ فَتَلَدَّنَ عليه بَعْضَ التَّلَدُّنِ، فَقالَ له: شَأْ، لَعَنَكَ اللهُ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: مَن هذا اللَّاعِنُ بَعِيرَهُ؟ قالَ: أَنَا، يا رَسولَ اللهِ، قالَ: انْزِلْ عنْه، فلا تَصْحَبْنَا بمَلْعُونٍ، لا تَدْعُوا علَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا علَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا علَى أَمْوَالِكُمْ، لا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ."(١).

---

(١) صحيح مسلم: (٣٠٠٩).

غزوة ذي الْعُشَيْرَة (العشيراء)

* سميت هذه الغزوة بهذا الاسم نسبة لموقع حدوثها حيث نزل النبي ﷺ في الْعُشَيْرة من بَطْن يَنْبُع بين مكة والمدينة، وقيل العُشَيرة ـ بضم العين مصغَّرًا بالشين وقيل العشيراء بالمد والهمز، وقيل بالسين المهملة آخرها هاء:(العسيرة) – بخلاف العسرة؛ فالعسرة هي غزوة تبوك – وأشهر الأقوال هو العُشَيْرة، وفي البخاري أن قتادة سُئِل فقال: العُشَيْرَة، قال ابن حجر: "وقول قتادة هو الذي اتفق عليه أهل السِّير، وهو الصواب"، وقد وقعت في جمادي الأولى وبعض الليالي من جمادى الآخرة من السنة الثانية للهجرة، وقد غزا فيها رسول الله ﷺ لطلب قافلة لقريش تبعا للسياسة والخطة كي تتوقف قريش عن تعذيب المسلمين وللتمكين لدين الله بإظهار قوة المسلمين لتتوقف قريش عن محاربة الإسلام والمسلمين، ولكسب القبائل على الطريق بين مكة والمدينة بتحالفها على النصرة والسلام.

* وكان عدد المسلمين في هذه الغزوة مائة وخمسين من المهاجرين ومعهم نحو ثلاثين بعيرا، وقد حمل اللواءَ عمُّ النبي ﷺ حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه ، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي رضي الله عنه وهو أخو النبي من الرضاعة وابن عمته برّة، ولما وصل النبي ﷺ وأصحابه وجد العير قد فاتتهم بأيام، ولكنها كانت سببا لغزوة بدر الكبرى.

نتيجة الغزوة:

* لم يحدث في غزوة العشيرة قتال، كما وادع النبيُّ ﷺ فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، وعقد ميثاقا معهم للحلف والسلام وعدم محاربة الإسلام والمسلمين، والنصرة؛ لتكون هذه المعاهدة مكسبا عسكريا وسياسيا للمسلمين.

تكنية الرسول ﷺ للإمام علي رضي الله عنه بأبي تراب:

* وفي غزوة العشيرة كنَّى النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأبي تراب، فعن عمَّار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال: "كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة، فلما

نزلها رسول الله ﷺ وأقام بها، رأينا أناسا من بني مدلج يعملون في عين لهم وفي نخل، فقال لي علي بن أبي طالب: يا أبا اليقظان (كُنْيَة عمَّار)، هل لك في أن تأتي هؤلاء القوم، فننظر كيف يعملون؟ قال: قلتُ: إن شئتَ، قال: فجئناهم، فنظرنا إلى عملهم ساعة، ثم غشينا النوم. فانطلقت أنا وعلي حتى اضطجعنا في صور (صغار) من النخل، وفي دقعاء من التراب (التراب اللين) فنمنا، فو الله ما أهبنا (أيقظنا) إلا رسول الله ﷺ يحركنا برجله، وقد تتربنا من تلك الدقعاء التي نمنا فيها، فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: ما لك يا أبا تراب؟ لما يرى عليه من التراب.. قال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض أهل العلم: أن رسول الله ﷺ إنما سمَّى عليًّا أبا تراب، أنه كان إذا عتب على فاطمة في شيء لم يكلمها، ولم يقل لها شيئا تكرهه، إلا أنه يأخذ ترابا فيضعه على رأسه. قال: فكان رسول الله ﷺ إذا رأى عليه التراب عرف أنه عاتب على فاطمة، فيقول: ما لك يا أبا تراب؟ فالله أعلم أي ذلك كان"(١)

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، طبعة دار المنار: (ج١، ٢/ ص ٣٢٩، ٣٣٠).

* وذِكرُ ابن اسحاق لهذا الحديث مع الحديث الصحيح الذي ورد في البخاري والذي وردت فيه هذه التكنية للإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المسجد - يشير لاحتمال أن النبي ﷺ قد كناه بها مرتين، مرة في غزوة العشيرة ومرة في المسجد والله أعلم كما ذكر ابن حجر رحمه الله، فعن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "ما كانَ لِعَلِيٍّ اسْمٌ أحبَّ إلَيْهِ مِن أَبِي تُرَابٍ، وإنْ كانَ لَيَفْرَحُ به إذَا دُعِيَ بهَا، جَاءَ رَسولُ اللهِ ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا في البَيْتِ، فَقَالَ: أيْنَ ابنُ عَمِّكِ فَقَالَتْ: كانَ بَيْنِي وبيْنَهُ شيءٌ، فَغَاضَبَنِي فَخَرَجَ فَلَمْ يَقِلْ عِندِي، فَقَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ: انْظُرْ أيْنَ هو فَجَاءَ فَقَالَ: يا رَسولَ اللهِ هو في المَسْجِدِ رَاقِدٌ، فَجَاءَ رَسولُ اللهِ ﷺ وهو مُضْطَجِعٌ، قدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عن شِقِّهِ فأصَابَهُ تُرَابٌ، فَجَعَلَ رَسولُ اللهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عنْه وهو يقولُ: قُمْ أبَا تُرَابٍ، قُمْ أبَا تُرَابٍ."(١)

---

(١) صحيح البخاري: (٦٢٨٠).

 الخلاف في وقت غزوة العشيرة وفي أنها أول غزوة:

* بعد ذكري لوقت غزوة العشيرة لا تفوتني مسألة الخلاف في كون هذه الغزوة أول غزوة؛ هذا الخلاف سببه أن سرد أحد الصحابة رضوان الله عليهم للغزوات لربما يجيء حسب رؤيته لذكر أشهر الغزوات وإغفال الغزوات البسيطة التي لم تكن ذات أحداث كبيرة، ويذكر غيره كل الغزوات والأحداث بالتفصيل والترتيب مهما صغرت الأحداث، فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه: "أنَّ عَبْدَ اللهِ بنَ يَزِيدَ، خَرَجَ يَسْتَسْقِي بالنَّاسِ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ اسْتَسْقَى، قالَ: فَلَقِيتُ يومَئذٍ زَيْدَ بنَ أَرْقَمَ، وَقالَ: ليسَ بَيْنِي وبيْنَهُ غيرُ رَجُلٍ، أَوْ بَيْنِي وبيْنَهُ رَجُلٌ، قالَ: فَقُلتُ له: كَمْ غَزَا رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ؟ قالَ: تِسْعَ عَشْرَةَ، فَقُلتُ: كَمْ غَزَوْتَ أَنْتَ معهُ؟ قالَ: سَبْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً، قالَ: فَقُلتُ: فَما أَوَّلُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا؟ قالَ: ذَاتُ العُسَيْرِ أَوِ العُشيرِ."(١)

* وفي هذا الحديثِ أَخبَرَ زَيدُ بنُ أرْقَمَ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم غَزا تِسعَ عَشْرةَ غَزْوةً، وهذا يعني أمرا من اثنين، إمَّا: أنَّه غَزا تِسعَ عَشْرةَ غَزْوةً وهو معَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، أو أنَّ

(١) صحيح مسلم: (١٢٥٤).

زَيدَ بنَ أرْقَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُخبر بحسبِ عِلمِه فقط أنّ للنَّبيِّ ﷺ تِسعَ عَشْرةَ غَزْوةً؛ لأنَّ غَزَواتِ النبيِّ ﷺ قيلَ: كانت خَمسًا وعِشْرينَ، وقيلَ: سَبعًا وعِشْرينَ، وقيلَ غيرُ ذلك، وكذلك ذكر العشيرة كأول غزوة؛ وكَما قلتُ الخلاف بين الصحابة رضوان الله عليهم إن ورد في مسألة كهذه يكون سببه إما تخصيص الصحابي للواقعة لحضوره مع النبي ﷺ فيها وتغيُّبه عن غيرها، أو لاعتبارها أشهر وأكبر واعتماده على ذكر الأحداث الأكثر شهرة.

غزوة سَفَوان (بدر الصغرى أو الأولى)

* وبعدما عاد النبيُّ ﷺ من غزوة العُشَيرة وقبل أقل من عشرة أيام خَرج إلى غزوةَ بدرٍ الأولَى حتى بَلَغ واديَ سَفَوانَ، وقد خَرَج لِتلك الغزوةِ على رأسِ ثلاثةَ عَشَرَ شهرًا من مُهاجَرِه يَطلُب كُرزَ بنَ جابرٍ الفِهريَّ الذي أغار على سَرحِ المدينةِ -الإبلِ والمَواشي التي تَسرَحُ للرَّعيِ بالغَداةِ- فاستاقَه، وكان يَرعَى بالحِمَى، وفِي ذلك اليوم حَمَل اللواءَ عليُّ بنُ أبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكان أبيضَ، واستَخلَفَ النبي ﷺ

على المدينةِ زيدَ بنَ حارِثةَ، وَبَلَغ النبيُّ ﷺ واديًا يُقالُ له: "سَفَوانُ" من ناحيةِ بَدرٍ، وفاتَه كُرزٌ ولم يَلحَقْه، فرَجَع النبيُّ ﷺ وأصحابه إلى المَدينةِ من غير قتال.

سرية نخلة (سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه)

* وفي شهر رجب من السنة الثانية للهجرة بَعثَ النبيُّ ﷺ رسولَه عبدَ الله بنَ جَحشٍ الأسَديَّ إلى نَخلةَ على رأسِ سَبعةَ عَشَرَ شَهرًا من الهِجرةِ في اثنَيْ عَشَرَ رَجلًا من المُهاجِرين، كلُّ اثنَينِ يَعتَقِبان على بَعيرٍ إلى بَطنِ نَخلةَ لِيَرصُدوا عيرًا لقُريشٍ لإشعار المشركين بقوة المسلمين ليفيقوا ويتوقفوا عن تعذيبِ المسلمين المستضعفين ومحاربةِ الدين، وفي هذه السَّريَّةِ سُمِّيَ عبدُ الله بنُ جَحشٍ أميرَ المؤمنين، وكان النبيُّ ﷺ قد كَتَب له كِتابًا، وأمرَه ألَّا يَنظُرَ فيه حتى يَسيرَ يومَين ثم يَنظُرَ فيه، فَسَار عبد الله رضي الله عنه ولمَّا فَتَح الكِتابَ بعد يومين وجد فيه: "إذا نَظَرْتَ في كِتابي هذا، فامْضِ حتى تَنزِلَ نَخلةَ بينَ مكَّةَ والطَّائِفِ فتَرصُدَ بها قُريشًا، وتَعلَمَ لنا من أخبارِهِم"، فقال: سَمعًا وطاعةً، وأخبَرَ أصحابَه بذلك، وبأنَّه لا يَستكرِهُهم، فمَن أحبَّ الشَّهادةَ فليَنهَض، ومَن كَرِهَ الموتَ فليَرجِع، وأمَّا أنا فناهِضٌ. فنهضوا

كلُّهم، لكن في أثناء الطَّريقِ أضلَّ سعدُ بن أبي وقَّاصٍ وعُتبةُ بن غَزوانَ بعيرًا لهما كانا يَعتَقِبانِه، فتَخَلَّفا في طَلَبِه، وانطَلَق عبدُ الله بنُ جَحشٍ حتَّى نزل بنخلةَ، فمَرَّت به عيرٌ لقُرَيشٍ تَحمِلُ زَبيبًا وأُدمًا وتجارةً فيها عَمرُو بنُ الحَضرَميِّ، وعُثمانُ ونَوفَلُ بنُ عبدِ الله بن المُغيرةَ، والحَكَمُ بنُ كَيسانَ مَولَى بني المُغيرةِ فتَشاوَرَ المسلمون، وقالوا: نحنُ في آخِرِ يَومٍ من رَجَبِ الشَّهرِ الحَرامِ، فإنْ قاتلناهم، انتَهَكْنا الشَّهرَ الحرامَ، وإن تَرَكناهمُ اللَّيلةَ دَخَلوا الحرمَ، ثمَّ اتَّفَقُوا على مُلاقاتِهم؛ فرَمَى أحدُهم عمرَو بنَ الحَضرَميِّ فقَتَلَه، وأسَروا عُثمانَ والحَكَمَ، وأفلتَ نَوفَلٌ، ثم قَدِموا بالعيرِ والأسيرَينِ إلى المدينة، وقد عَزَلوا من ذلك الخُمُسَ، وهو أوَّلُ خُمُسٍ كان في الإسلامِ، وأوَّلُ قتيلٍ في الإسلامِ وأوَّلُ أسيرَينِ في الإسلامِ، وأنكرَ رسولُ الله ﷺ عليهم ما فعلوه، وقال ﷺ: "ما أمَرْتُكُم بقتالٍ في الشهر الحرام"، وتوقف عن التصرف في العير والأسيرين، وأطلق سراح الأسيرين وأدى دية المقتول إلى أولياء الدم، لكن وَجَدت قريش في ذلك الحدث فرصة لاتهام المسلمين بأنهم أحلُّوا ما حرم الله بالقتال في الشهر الحرام، اشتَدَّ تَعنُّتُ قريشٍ، وقَال المشركون: قد أحلَّ مُحمَّدٌ الشَّهرَ الحرامَ، وأحزن ذلك المسلمين واشتدَّ عليهم، حتى نزل الوحي مُبَيِّنًا

أنّ ما فعله المشركون أكبر مما فعله المسلمون؛ وذلك بانتهاك المشركين لكل المحرَّمات المقدسة باضطهاد وتعذيب المسلمين المستضعفين ومحاربة الدين، وذلك في قول الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

* وعندما تتساءل مَن الذي أنصَفَ المؤمنين ورد عنهم الكيد هكذا ؟! ويرد عقلك وقلبك ولسانك: الله سبحانه وتعالى، وتتأمل بهدوء وبطء هذا الموقف والآية والأسلوب القرآني البليغ والمعجز الذي يأسر قلبك ستقف وقفة محبة طويلة تنسيك السَرِيَّة والأحداث قليلا؛ لِتُعرِّفَك ربك أكثر.

* وبعد هذه الأحداث والسرايا والغزوات التي سبقت غزوة بدر الكبرى لم ترتدع قريش برغم تحققها من قوة المسلمين التي سعى النبيُّ صلى لإيصال مداها لهم بتلك الغزوات والسرايا ليكفوا عن الاعتداء، لكن لم يتوقف المشركون عن قتل المسلمين ومحاربة الدين وزادت قريش في غيها وبطشها.





ومضة الجوهرة في وصف موقف قريش بعد السرايا والغزوات التي سبقت غزوة بدر الكبرى:

* لقد تحقق الهدف من سياسة النبي ﷺ الحكيمة وخطته التي دَلَّت على حنكته في قيادة الجيش الإسلامي وحسن إدارته للموقف عسكريا وسياسيا بتلك الغزوات والسرايا التي لم يحدث في أيٍّ منها سلب للأموال أو قتل للمشركين إلا بعد الذي بدأ به المشركون بقيادة كُرز بن جابر الفهري وما سبق ذلك من مكائد، ولقد علمت قريش من بسالة المسلمين في تلك السرايا والغزوات أن فجر الإسلام عال ساطع، وسيف الإيمان ماض قاطع، وأن المدينة في أَوْجِ التيقظ وغاية التربص، وأدركت مدى قوة المسلمين لكن أبى لصناديد الكفر ضعف العقل والنحيزة ولؤم الطبع والغريزة إلا إصرارا على ضلالهم وطيشهم وازديادا في غيهم وعمههم حتى كأن قوة المسلمين التي تجلت في تلك السرايا والغزوات قد أغرتهم، ومواضع الوعظ والحكمة بشتى وسائل الدعوة قد أغوتهم، وطمسَ الضلالُ والخذلانُ على أسماعهم وأبصارهم وحال بين قلوبهم وصدورهم، وملك الشيطانُ مساربَ

أمرِهم ومساري فكرِهم، بجهالة - عموا بها - عمياء، وغشاوة مدّت على دهمائهم دهماء؛ فأخذت العزة بسمعهم وأبصارهم واقتطعهم الكبر والعناد عن تدبرهم وتبصرهم؛ فلم يكف إظهار القوة غرب جهالتهم ولم يُقِلَّ الإعذار والإنذار من ضلالتهم ووحشيتهم وكأن قريش تصغي إلى الرشاد بمسمع أصم وتعطس في العناد بأنف أشم؛ فكانت غزوة بدر الكبرى هي الرد الأمثل على موقفهم المعادي والمعانِد وبدئهم الشر والمكائد

غزوة بدر الكبرى

* تسمّى غزوة بدر بغزوة الفرقان؛ فهي المعركة الأولى الفاصلة في الإسلام، وتسمى غزوة بدر الكبرى وسبق أن أشرت إلى أن غزوة سَفَوان هي بدر الأولى.

* بعد أن أفلتت العير في غزوة الْعُشَيْرَة من النبي ﷺ ومن صحابته رضوان الله عليهم أثناء ذهاب الرحلة من مكة إلى الشام وبعد أن اقترب رجوع القافلة من الشام إلى مكة أرسل النبي ﷺ طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد رضي الله عنهما إلى الشمال ليكتشفا أمر رجوعها؛ فوصلا إلى الْحَوْرَاء، وانتظرا حتى مرت العير وكان يرأسها أبو سفيان، فأسرعا إلى المدينة وأخبرا النبي ﷺ بذلك؛ فقرّر مهاجمتها؛ لأن في ذلك فرصة عظيمة لهزيمة قريش وإبعادها بألم ومرارة الخسارة عن طريق الدعوة للدين والمسلمين بهذه الضربة القاصمة والوسيلة التي تناسب محاربة واضطهاد المشركين للمسلمين، وكانت تلك القافلة مُحمَّلة بأموالٍ لقريش، لا تقل عن خمسين ألف دينار ذهبي، وكانت محمَّلة على ألف بعير وليس معها من الحرس

إلا نحو أربعين رجلا، وخرج النبي ﷺ مع ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا، وكان معهم من البعير سبعون بعيرًا، يعتقب الرجلان والثلاثة على بعير واحد، وكان النبي ﷺ وعليّ ومَرْثَد بن أبي مرثَد الْغَنَوِيّ يعتقبون بعيرًا واحدا، وكان معهم مِن الخيل فَرَسان؛ الأوّل للزبير بن العوّام، والثاني للمقداد بن الأسود الكندي.

تجهيز النبي ﷺ للمسلمين وتنظيم الجيش الإسلامي والشورى بينهم:

* قبل شروع النبي ﷺ بالإعداد التربوي والنفسي للمسلمين في هذه الغزوة كانت قد أنزلت آيات بينات قبلها تدل على قرب المعركة وتبشر المسلمين بالنصر؛ وجهَّزَ اللهُ المسلمين بهذه الآيات الكريمة قبل بدء النبي ﷺ في تحضيرهم للقتال؛ ففي شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة بعد سريّة نخلة أنزل الله تعالى قوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ

فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٩٠- ١٩٣]

كما علمهم طريقة القتال وبشرهم بالنصر وتثبيت الأقدام، وذمَّ الخوفَ من القتال لإعدادهم نفسيا لما هو قادم، وحثَّهم على الشجاعة والإقدام، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَۖ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٤﴾ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ﴿٥﴾ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾﴾ [سُورَةُ مُحَمَّدٍ: ٤-٧]

* وفي قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠﴾ [سُورَةُ مُحَمَّدٍ: ٢٠]

وبدأ النبي ﷺ بناء على ذلك في هذه الغزوة يجهز أصحابه رضوان الله عليهم ويُعَلّمهم أنّ قتالهم لا يكون إلّا في سبيل الله سبحانه وتعالى؛ لتسمو الهمم والأنفس وينبض الإخلاص في عروقهم وتظلّ روح التفاني في الجهاد حيَّة في الحرب بين الحق والباطل لنصرة دين الله.

واهتمّ النبي ﷺ بالاستعداد للمواجهة؛ وذلك بتنظيم وإعداد الجيش وتقسيم المهام، وإرسال العيون؛ لاستطلاع أخبار العير وأخبار قريش، ووزَّع المهام على صحابته رضوان الله عليهم؛ فاستخلف ابنَ أم مكتوم على المدينة، وعلى الصلاة بداية، كما أعاد أبا لبابة بن المنذر إلى المدينة، واستخلفه عليها عندما وصل إلى الروحاء. وعَيّن مصعبَ بن عُمير قائدًا للواء المسلمين، وكانت

راية اللواء بيضاء اللون. قسّم جيشَه إلى كتيبتَين: مهاجرين، وأنصار، وكلّف عليّاً بن أبي طالب بحمل علم المهاجرين، وكلَّف سعدًا بن معاذ بحمل علم الأنصار، وعَيّن الزبيرَ بن العوّام قائداً لميمنة الجيش، والمقدادَ قائدًا لميسرته.

وسلك النبي ﷺ طريقه من المدينة إلى مكة على نَقْبِ المدينة، ثم على العقيق، ثم على ذي الْحُلَيْفَة، ثم على أولات (ذات) الجيش، ثم مر على تُرْبَان ثم على مَلَلَ، ثم على غَميس الْحَمام من مَرَيَيْن، ثم على صُخَيْرات اليمام، ثم على السيَّالة، ثم على فجِّ الرَّوحاء، ثم على شَنُوكة، وهي الطريق المعتدلة.(١)

وعندما نزل النبي ﷺ مكان اسمه سَجْسَجَ وهي بئر الروحاء ارتحل منها حتى إذا كان بالْمُنْصَرَف ترك طريق مكة بيسار، وسلك ذات اليمين على النازية، يريد بدرا، وقبل وصوله إليها، في منطقة الصفراء بَعث بسبس بن عمرو الجهنيّ، وعديّ بن أبي الزغباء الجهنيّ إلى بدر يتحسّسان أخبار القافلة، وظل في

(١) السيرة النبوية لابن هشام، طبعة دار المنار: (ج١، ج٢/ ص٣٣٨).

طريقه حتى وصل واديًا اسمه ذَفَرَان ونزل فيه، وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فعقد النبي -ﷺ- مجلسًا للشورى مع صحابته رضوان الله عليهم؛ ليستشيرهم بالخروج لاعتراض عير أبي سفيان، وليخبرهم عن قريش؛ فقام أبوبكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - موافقـًا ومؤيّداً ذلك، وقال وأحسن القول، وقام بعده عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وأيده وأحسن القول، وقال المقداد بن عمرو - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "يَا رَسُولَ اللهِ، امْضِ لِمَا أَرَاكَ الله فَنَحْنُ مَعَكَ، وَالله لاَ نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ٢٤﴾ [المائدة: ٢٤]، وَلَكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ سِرْتَ بِنَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ لَجَالَدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ حَتَّى تَبْلُغَهُ"، فقال له النبي ﷺ خيرًا، ودعا له به، ثم استشار النبي ﷺ الأنصار بقوله: "أشيروا عليّ أيها الناس" لأنهم وعدوه بالنصرة وأنه في ذمتهم حينما قالوا له: (يا رسول الله إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا)، ولكن

النبي ﷺ أراد أن يعرف منهم هل نصرتهم له في المدينة فقط أم ستكون نصرتهم له إذا عودي خارج المدينة؛ فقام سعد بن معاذ - رضي الله عنه - وقال: "لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ ... فَوالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوِ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ وما نكره أن تلقى بنا عدوَّنا غدا إنا لصُبُرٌ في الحرب صُدقٌ في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقرُّ به عينُك، فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ الله"، فُسُرَّ النبي ﷺ بكلام سعد، وعندئذٍ قام -ﷺ - مبشّرًا أصحابه ورافعًا لعزائمهم، وقال لهم: "سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأنّي أنظر الآن إلى مصارعِ القوم"، ثم ارتحل من ذَفَران فسلك على ثنايا يقال لها: الأصافر، ونزل بعدها لبلد يقال لها الدَّبَّة، وترك كثيب الحنَّان بيمين (وكان هذا الكثيب كالجبل الكبير)، ونزل بعدها النبي ﷺ قريبا من بدر، فركب هو ورجل من أصحابه، وقال ابن هشام أن هذا الرجل هو الصديق رضي الله عنه.

* وقد وصلت الأخبار إلى أبي سفيان المسئول عن العير بأنّ رسول الله ﷺ خرج مع أصحابه رضوان الله عليهم قاصدين القافلة؛ فقد كان يتحسس الأخبار لعلمه بالمخاطر، وعندما علم أبو سفيان بما ينتظره استأجر ضمضمَ بن عمرو إلى مكة يستغيث ويستصرخ أهلها؛ لحماية العير وبذل أقصى ما لديه وكان حذرا متيقظا حريصا على الهروب من جيش النبي ﷺ، وعندما اقتربت قافلته من بدر تقدّم عيره حتى لَقِيَ مجدي بن عمر وسأله عن جيش المدينة، وعَلِم منه بمرور راكبين بالقُرب من بدر وبالمكان الذي أناخا فيه بعيرهما، فسارع أبو سفيان لذلك المكان وأخذ بعض فضلات بعيرَيهما، ووجد فيها نوى التمر، فقال هذه والله علائف يثرب، وأدرك أنّ جيش النبيّ ﷺ قريب من بدر، ممّا جعله يسارع إلى القافلة وغيَّر اتّجاهها نحو الساحل غربا تاركًا بدرًا يساره على الطريق الرئيسي، فنجا بالقافلة.



خروج المشركين من أهل مكة لغزوة بدر:

* سمع أهل مكّة بما جاء به رسول أبي سفيان ضمضمُ حينما أتى مكة وصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره، وقد جَدَع أنفه، وحوَّل رحْلَه، وشَقَّ قميصه، وهو يقول: "يا معشر قريش، اللَّطيمة اللَّطيمة(١)، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث ... الغوث".

* فتحفز المشركون وتجهّزوا، وحشروا وحشدوا، واستعدوا واستمدوا واستنجدوا، واستنفذوا قواهم في تكثير العدد وتوفير المدد، لتقديم المراصد وتقديم المكائد، وجمعوا شوكهم وشجرهم، وجرُّوا مَدرهم ووبرهم، حتى نفضت مكة أحرارها وعبيدها وأخرجت عدتها وعديدها ورمت بأفلاذ كبدها، وأخرجت أرضها أثقالها، وخرج المشركون سراعا في نحو ألف وثلاثمائة مقاتل في بداية السير، ولم يتخلف من أشرافهم سوى أبي لهب وعوض عنه رجلا كان له عليه دين، أمّا البعير والخيل فكانت معهم جمال كثيرة لا يعرف عددها وقيل

---

(١) اللطيمة هي الإبل التي تحمل الطيب.

سبعمائة، ومائة فرس، ومعهم ستمائة درع، بالإضافة إلى القِيان معهم يُغنِّين بذَمّ المسلمين، وعلى الرغم من أنّ أبا سفيان أرسل إليهم خبر نجاة القافلة، وطلب منهم العودة، وقال لهم:" إنكم إنما خرجتم لتحرزوا عيركم ورجالكم وأموالكم، وقد نجاها الله فارجعوا"، لكنَّ أبا جهل رفض العودة، وكان هو القائد العام لجيش المشركين، فقال: " والله لا نرجع حتى نرد بدرًا، فنقيم بها ثلاثًا، فننحر الجزور، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف لنا القِيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدا"، وعزم بهذا على المسير بالجيش إلى أن يصل بدرًا؛ لكي يقيموا هناك ثلاثة أيام ليأكلوا، ويشربوا، ويُغنّوا؛ حتى تسمع بهم قبائل العرب جميعها؛ بغرض فرض السيطرة وخلق هَيبة لقريش، وتعزيز مكانتها وقوتها، وكان القائمون بتموينه تسعة رجال من أشراف قريش، وكانوا ينحرون يومًا تسعا ويومًا عشرًا من الإبل.

 **وقوع الانشقاق في جيش المشركين:**

* بعد إصرار أبي جهل على مواصلة السير إلى بدر أرادت بنو هاشم العودة ولكن رفض أبو جهل، وقال: "لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع"، كما أن الأخْنَس بن شَريق أشار بالرجوع فعصوه، ولكنه عاد ومعه بنو زهرة حيث كان رئيسهم وحليفا لهم؛ لذا لم يشهد بدرًا أي زهري وكان عددهم ثلاثمائة زهري سرَّهُم رأي الأخنس بن شريق بعد ذلك وظلت كلمته مسموعة فيهم بعدها؛ وبهذا قلَّ عدد جيش المشركين وواصل المسير بألف مقاتل بعد انشقاق بني زهرة وعودتهم مع الأخنس.

 **موقف المسلمين بعد خبر تغيير مسار القافلة:**

* عندما بلغ رسول الله ﷺ خبر تغيير مسار القافلة، وأنّ جيش مكّة خرج لبدر وواصل مسيره بالرغم من نجاة القافلة وعودتها، رأى أنّ عودة المسلمين ستزيد من سيطرة وطغيان قريش وتدعم المكانة العسكريّة لها في المنطقة، وتُضعِف موقف المسلمين، وسيشجع ذلك قريش على مواصلة مسيرهم إلى المدينة وعلى

غَزو المسلمين فيها، وقد بيّن النبي ﷺ لصحابته خطورة الموقف؛ لأنهم أمام أمر لم يستعِدُّوا له الاستعداد الأمثل، فقد كان خروجهم في بادئ الأمر للإيقاع بالعير وليس لهذه المعركة الفاصلة والقتال الكبير، وعندئذ لم يكن من المهاجرين والأنصار إلّا أن وقفوا وقفة رجل واحد إلى جانب النبي ﷺ بقلب يسع الرمال ويرجح الجبال وبميامن تضمنت اليمن ومياسر اتبعت اليسر؛ فصاروا جميعا وأيديهم قد بسطها التمكين قلبا مغمورا باليقين قالبا لما قالبه ناكسا لما واجهه بفضل رب العالمين.

صور استكشاف النبي ﷺ قبل الغزوة:

كان من استكشاف النبي ﷺ أنه وقف يسأل شيخا من العرب عندما ارتحل من ذفران، وسلك على الثنايا التي يقال لها الأصافر، كما ذكرتُ آنفا، ثم انحط منها إلى البلد التي يقال له: الدبة، وترك الحنان بيمين وهو الكثيب الكبير، ثم نزل قريبا من بدر، وركب هو ورجل من أصحابه وقيل أن صاحبه الذي ركب معه هو الصديق رضي الله عنه.

* **قال ابن إسحاق:** كما حدثني محمد بن يحيى بن حبان: "حتى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما ؟ فقال رسول الله ﷺ : إذا أخبرتنا أخبرناك.

* **قال:** أذاك بذاك ؟ قال: نعم، قال الشيخ فإنه بلغني أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به رسول الله ﷺ ؛ وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي فيه قريش . فلما فرغ من خبره، قال: ممن أنتما ؟ فقال رسول الله ﷺ : نحن من ماء، ثم انصرف عنه، وقال الشيخ: ما من ماء، أمن ماء العراق ؟ قال ابن هشام: يقال: ذلك الشيخ: سفيان الضمري، قال ابن إسحاق: ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه، فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، في نفر من أصحابه، إلى ماء بدر، يلتمسون الخبر له عليه – كما حدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن

الزبير - فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم، غلام بني الحجاج، وعريض أبو يسار، غلام بني العاص بن سعيد، فأتوا بهما فسألوهما، ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فقالا: نحن سقاة قريش، بعثونا نسقيهم من الماء . فكره القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان، فضربوهما. فلما أذلقوهما قالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما . وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدتيه، ثم سلم، وقال: إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا، والله إنهما لقريش، أخبراني عن قريش ؟ قالا: هم والله وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى - والكثيب: العقنقل - فقال لهما رسول الله ﷺ : كم القوم ؟ قالا: كثير، قال: ما عدتهم ؟ قالا: لا ندري ؛ قال: كم ينحرون كل يوم ؟ قالا: يوما تسعا، ويوما عشرا، فقال رسول الله ﷺ : القوم فيما بين التسع مئة والألف. ثم قال لهما: فمن فيهم من أشراف قريش ؟ قالا: عُتْبة بن ربيعة، وشَيبة بن ربيعة، وأبو الْبَخْتَري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطُعَيمة بن عدي بن نَوْفَل، والنضر بن

الحارث، وزَمْعَة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، ونُبَيْه، ومنبه ابنا الحجاج، وسُهَيْل بن عمرو، وعمرو بن عبد وُد. فأقبل رسول الله ﷺ على الناس، فقال: "هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها".

❋ **قال ابن إسحاق:** وكان بَسْبَس بن عمرو، وعديٌّ بن أبي الزَّعباء قد مضيا حتى نزلا بدرا، فأناخا إلى تل قريب من الماء، ثم أخذا سَنًّا لهما يستقيان فيه، ومَجْديٌّ بن عمرو الجهني على الماء. فسمع عدي وبَسْبَس جاريتين من جواري الحاضر، وهما يتلازمان على الماء، والملزومة تقول لصاحبتها: إنما تأتي العير غدا أو بعد غد، فأعمل لهم، ثم أقضيك الذي لك. قال مجدي: صدقت، ثم خلص بينهما. وسمع ذلك عدي وبسبس، فجلسا على بعيريهما، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ، فأخبراه بما سمعا، وأقبل أبو سفيان بن حرب، حتى تقدم العير حذرا، حتى ورد الماء، فقال لمجدي بن عمرو: هل أحسست أحدا، فقال: ما رأيت أحدا أنكره، إلا أني قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل، ثم استقيا في

شَنَّ لهما، ثم انطلقا. فأتى أبو سفيان مناخهما، فأخذ من أبعار بعيريهما، فَفَتَه، فإذا فيه النوى ؛ فقال: هذه والله علائف يثرب. فرجع إلى أصحابه سريعا، فضرب وجه عيره عن الطريق، فساحل بها، وترك بدرا بيسار، وانطلق حتى أسرع."(١)

خطَّة المسلمين في الغزوة:

* لقد حرص النبي ﷺ أن يصل بجيشه قبل المشركين إلى مياه بدر؛ ليمنعَهم من الاستيلاء عليها، وعندما وصل لأقرب مكان لماء بدر نزل به، وحينها سأل الحبّابُ بنُ المنذر رضي الله عنه النبيَّ ﷺ سؤالا مفاده: هل المَنزل الذي نزله الجيش من باب الرأي والحرب والمكيدة أم أن المكان قد اختاره الله ولا مجال فيه للرأي، فأجابه النبي ﷺ، بقوله:" بل هو الرأي والحرب والمكيدة"، فقال المنذر رضي الله عنه: يا رسول الله، إن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم (قريش) فننزله ونغوّر (نخرّب) ما وراءه من الْقُلُب (الآبار)، ثم نبني عليه حوضًا،

(١) السيرة النبوية لابن هشام، طبعة دار المنار: (ج١، ٢/ ص٣٤٠، ٣٤١).

فنملؤه ماءً، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: "لقد أشرت بالرأي"، وأخذ بالمشورة ونهض بالجيش ونفذُّوا الخطة المحكمة.

* ونزل النبي ﷺ بالجيش في المَنزل الذي أشار إليه الحبّابُ بنُ المنذر رضي الله عنه ، وأشار سعدُ بن معاذ رضي الله عنه ببناء مَقرّ للقيادة؛ للحفاظ على حياة النبي ﷺ بعودته إلى الصحابة في المدينة إن قَدَّر الله هزيمة المسلمين، وذلك من باب أخذ الْحَيْطَة واستعدادًا للطوارئ، حيث قال: "يا نبي الله، ألا نبني لك عريشًا تكون فيه، ونعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزّنا الله وأظهرنا على عدوّنا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بِمَن وراءنا من قومنا، فقد تخلّف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبًّا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربًا ما تخلّفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك".

* وقد نال اقتراحه رضا النبي ﷺ وأثنى عليه النبي ﷺ، وبُنِي العريش على تَلٍّ مُرتفع يقع في الشمال الشرقي لساحة القتال، وقام سعد بن معاذ مع فرقة من شباب الأنصار بحراسة النبي ﷺ وحمايته.

آية نزول المطر بِشِدَّة تعوق الكافرين، وبحكمة ورحمة لتثبيت جيش المسلمين:

* لقد سكنت السكينة بقلوب المسلمين بثقتهم ويقينهم بالله، وباتوا مستبشرين بعطائه وتهب عليهم نسائم التأييد والنصرة وتؤيدهم بهم أيدي العناية والقدرة، والنبي ﷺ يسير بينهم مشجعًا ومُثبِّتا لقلوبهم ومنظِّمًا لصفوهم متضرعا إلى الله بقوله: (اللهمَّ أين ما وعَدتَني؟ اللهمَّ أنجِزْ ما وعَدتَني، اللهمَّ إنْ تَهلِكْ هذه العِصابةُ مِن أهلِ الإسلامِ فلا تُعبَدُ في الأرضِ أبدًا).

* عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض فما زال يهتف بربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه

فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين فأمده الله بالملائكة قال أبو زميل فحدثني ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين قال أبوزميل قال ابن عباس فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر ما ترون في هؤلاء الأسارى فقال أبو بكر يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام فقال رسول الله ﷺ ما ترى يا ابن الخطاب قلت لا والله يا رسول الله ما

أرى الـــذي رأى أبـــو بكـــر ولكنـــي أرى أن تمكنـــا فنضـــرب أعنـــاقهم

فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكني من فلان نسيبا لعمر فأضرب عنقه

فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولـم يهـو ما

قلت فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان قلت يا

رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن

لـم أجـد بكـاء تباكيـت لبكائكما فقال رسـول الله ﷺ أبكـي للـذي عـرض علـي

أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هـذه الشـجرة شـجرة

قريبة من نبي الله ﷺ وأنزل الله عز وجل ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن

في الأرض إلى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فأحل الله الغنيمة لهم"(١)

* وكما تبين من الحديث فقد أنزل الله تلك الليلة مطرًا واحدًا طهّر به أفئدة

المسلمين من وساوس الشيطان وربط عليها؛ فثبتت به القلوب والأقدام؛ حيث

صَلُب به الرمل تحت أقدامهم، مُتَبَلِّدًا بالماء، فمهد المنزل وسَهُل السير عليه،

(١) صحيح مسلم: (ص: ١٣٨٤، ١٣٨٥).

ووطأ بـه الأرض، قـال الله تعـالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ۝١١﴾ **[الأنفال: ١١]**

* وكان ذلك المطر نفسه وابلًا شديدا على المشركين سبَّب تعثُّرهم ومنع تقدُّمَهم.

ليلة القتال:

* في ليلة الجمعة، السابعة عشرة من رمضان في السنة الثانية من الهجرة مشى النبي ﷺ في موضع المعركة وجعل يشير بيده لمصارع القوم.

* **وعن أنس - رضي الله عنه - قال:** كنا مع عمر بين مكة والمدينة، فتراءينا الهلال، وكنت رجلا حديد البصر، فرأيته وليس أحد يزعم أنه رآه غيري، فجعلت أقول لعمر: أما تراه ؟ فجعل لا يراه، قال: يقول عمر: سأراه وأنا مستلق على فراشي، ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر قال: إن رسول الله - ﷺ - كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس، يقول: (هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله، وهذا مصرع فلان كذا

إن شاء الله). قال عمر: والذي بعثه بالحق ما أخطأوا الحدود التي حدها رسول الله – ﷺ – قال فجعلوا في بئر، بعضهم على بعض، فانطلق رسول الله حتى انتهى إليهم، قال: "يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان ! هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا ؟ فإني قد وجدت ما وعدني الله حقا". فقال عمر: يا رسول الله ! كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها ؟ قال: "ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا علي شيئا"(١).

التقاء الجيشين:

* وفي اليوم السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة تراءى الجمعان وأفضى قرب العيان إلى قرب العنان، وبرقت الأبصار بأشعة السيوف، وسفرت رسل الحتوف بين الصفوف، وبدأت الحرب تكشف ساقها وتصرف نابها، والتهبت جمرة الضراب والطعان ودنا العنان من العنان، وسارت الجموع إلى الجموع وبرق البصر بوميض الدروع.

* ولقد كان ذلك بعد أن بدأ المشركون بالهجوم في أول وقود للمعركة عن طريق الأسود بن عبدالأسد الذي أقسم أن يشرب من حوض المسلمين أو ليهدمنه أو ليموتن دونه، وكان رجلا وحشيًّا سيء الطبع والخلق؛ فتصدّى له حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى أطار قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض، فوقع على ظهره ثم حبا إلى الحوض لتبر يمينه ولكن حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ضربه ضربةً ثانية داخل الحوض وقتله؛ فاشتعلت نار المعركة، وخرج ثلاثة من خيرة فرسان قريش، وكانوا من عائلة واحدة، وهم: عتبة وأخوه شيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، وطلبوا المبارزة، فخرج لهم ثلاثة من الأنصار، إلّا أنّ فرسان قريش طلبوا من رسول الله فُرسانًا من قومهم وبني عمّهم لمُبارزتهم، فأخرج لهم رسول الله عبيدة بن الحارث، وحمزة بن عبدالمُطّلب، وعليًّا بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ؛ فبارز حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شيبةَ وقتله، وبارز عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الوليدَ فقتله، وأما عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – وكان أسن الفرسان – ضرب عتبه وضربه عتبه فكَرّ علي وحمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وقتلا عتبة وحملا عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وقد قطعت رجله وظل مصابًا حتى مات بالصفراء أثناء رجوع المسلمين للمدينة بعد خمسة أيام أو أقل من معركة بدر.

ذروة القتال والهجوم الْكُلِّي:

* عندئذ بَلغ الغيظ منتهاه والغضب أَوجَه لدى المشركين مشارع السيوف ومراتع الحتوف لشؤم هذه البداية عليهم بعد فقدهم لثلاثة من أفضل فرسانهم، وتوجهت تلك الجنود المخذولة يسوقها راهن ضلالها إلى انتهاء آجالها ويقودها حاضر دمارها إلى انقضاء أعمارها، وهجموا هجمة رجل واحد على المسلمين وقد أحيط بهم كالمأخوذ بناصيته بعد دعاء النبي ﷺ: (اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك)، وقد اتَّبع المشركون أسلوب الكَرّ والفَرّ في قتالهم؛ وهو أسلوب يتمثّل بهجوم جميع المحاربين بأنواعهم: فرسان، ومشاة، ونشّابة بالسيوف، والرماح، فإن صمد المسلمون فرّوا؛ لِيُعيدوا تنظيمهم، ثمّ يعودوا ثانية إلى القتال، وهكذا إلى أن يَظفروا بالنصر إذا تصورت لهم المنايا في صور الأماني، أو تلحق بهم الهزيمة وقد جذبتهم كواذب الأطماع بمقاود نفوسهم إلى مقاطع رؤوسهم ونقلهم الله بأقدامهم إلى مصارع حِمَامِهم.

* ولقد قاتل المسلمون بأسلوب اختلف عن أسلوب المشركين؛ فقد سار النبي ﷺ والسماء تحسد الأرض لسيره والنجوم تود لو سرت مع سنابك خيله قاصدا

ترتيب المقاتلين صفوفًا والسعود تواكبه والمناجح تصاحبه ومعونة الله تقدمه، وصوائب العزمات تخدمه؛ فجعل الصفوف الأمامية تُقاتل بالرماح؛ لمواجهة فرسان العدو، أمّا سائر الصفوف فكانت ترمي العدوَّ بالنِّبال، مع رباط الصفوف جميعها في مواقعها؛ لكي يَفقِد المشركين الزخم في العدد، فتتقدّم الصفوف كلّها مُهاجمةً العدوَّ، وبذلك يكون الرسول ﷺ قد اتّبع أسلوبًا مختلفا وجديدا في القتال للدفاع والهجوم معا؛ مما مكّنه من إدارة قوى الجيش الإسلامي، وتأمين قوّة احتياطية للطوارئ، فأضحى مرتبا الجيش رابطا الجأش، أصيل الرأي والحزم، ملتئم التدبير والعزم، يقدمه جند من الرعب والذعر، ويتبعه مدد من التوفيق والنصر.

نزول الملائكة:

* وواصل المسلمون قتالهم بحماس ترجف له الأرض وتباهي بها مناكبها ذات الطول والعرض، وتابعوا بشجاعة تتسع لها الأنظار وتخشع لها الأقدار، والنبي ﷺ يزيد من حَثِّهم وتشجيعهم على القتال ليصيروا كالأسود إقداما وكالنيران

اضطرامًا؛ لصعوبة الموقف وشدة المعركة؛ فكان يُلهب عزائمهم بقوله: "قُومُوا إلى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأرْضُ" فباتت آحادهم نفرًا وأفرادهم زمرا، والنصر طعمهم والعدو غنمهم، وصاروا على العدو بلاءً واقعا وسُمًّا ناقعا، وواصل النبي ﷺ الدعاء لهم والتّضرع إلى الله؛ فأنزل الله سبحانه وتعالى قوله: (إِذ تَستَغيثونَ رَبَّكُم فَاستَجابَ لَكُم أَنّي مُمِدُّكُم بِأَلفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُردِفينَ) الأنفال ٩، وأمر جنده من الملائكة، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ١٢﴾ [الأَنفَالِ: ١٢]

❋ وقد جاء المَدد من الله بأعداد من الملائكة؛ لكي يستبشر المؤمنون برغم قدرة ملك واحد على إنجاز المهمة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡ﴾ [الأنفال: ١٠]

* وبهذا التأييد من الله أقبلت ريح الإقبال على أولياء الله، ودبرت ريح الإدبار على أعداء الله؛ فكانت للأولياء الأثرة وعلى الأعداء الدبرة.

* ولم يَكتفِ النبيّ ﷺ بالتحفيز وإيقاد الهمم والدعاء، بل قاتل مع صحابته وجيشه؛ فقد كان يهاجم العدوَّ وهو يقول: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾ حتى بدأت أعداء الله تنثلم مواكبها وتضعف مناكبها، وتنخفض أعلامها وتنتقض أبرامها، ودارت كأس الموت دهاقا وعاد القرن للقرن عناقا، وبلغت القلوب الحناجر، وشافهت السيوف المناحر، وهاجت الهيجاء، وعزّ النجاء، ورأى المشركون بأسلحتهم أغلالا توثقهم وتوبقهم، وأنكالا ترهقهم وتزهقهم، كما أخذ النبي ﷺ حفنة من التراب، وألقاها على أعداء الله، فلم يَسلَم أحد من تلك الحفنة إلّا وقد أصابت عينه وفمه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]

* وكان في هذه الحفنة التي ألقاها النبي ﷺ على المشركين سِرٌّ وعجب؛ لأنها بيده ﷺ وقد رمى بها الله –جلّ في علاه– وجعل نبيه ﷺ سببا كامل الأوصاف لِرَمْيٍ لا

يخطئ الأهداف؛ فاستعرت الملحمة وعلت الغمغمة وضاق المجال وتحكمت الآجال، وشارفت المعركة على النهاية إذ تزعزت صفوف المشركين بعدما خطبت الصوارم على منابر الأعناق وسفرت السهام بين القسى والأحداق، وبدأوا بالانسحاب والفرار وكأن مهابة المسلمين أضحت سيوفًا خواطر في قلوبهم، وراحت المخافة رماحًا خواطف لنفوسهم، وتمثل لهم الأجل وملكهم الوجل، وأخذ المسلمون بالقتل والأسر حتى ألحقوا الهزيمة الفادحة بأعداء الله، وأخذت مباني المشركين تنتقص ودعائمهم تتقوص، وزنادهم تصلد ورياحهم تركد، فلم يطوِ المسلمون إليهم منزلا إلا تضاعفوا ضعفا وتخلخلا، ولم يدنوا منهم منهلا إلا ازدادوا وَهنا وتزلزلا، وما ألقوا للمسلمين حبلا إلا أُوثِقوا بقواه وخُنِقُوا بعراه، وما أشعلوا نارًا إلا أحْرِقوا بضررها وأبيدوا بشررها؛ فتطايرت بيد المسلمين فرقًا أرواحهم، ومَن لم يُقتلوا تيقَّنُوا بقرب اجتياحهم، وأشعرت نفوسهم التلاقي وبلغت التراقي، واستبدلوا بالتطاول تضاؤلا وتردُّدا وبالتجرؤ تخاذلا وتباعدا، وتقدمت أسراهم راياتُ نصر المسلمين وهم يتأخرون كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون.

أحداث مُفَصَّلة وأقوال تضمنتها غزوة بدر الكبرى:

١- من أقوال النبي ﷺ لتحريض وتشجيع الجيش الإسلامي:

* قال: "والذي نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا، مقبلا غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة. فقال عمير بن الحمام، أخو بني سلمة، وفي يده تمرات يأكلهن: بخ بخ، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء، ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه، فقاتل القوم حتى قتل.

* **وقال ابن إسحاق:** وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن عوف بن الحارث، وهو ابن عفراء قال: يا رسول الله، ما يضحك الرب من عبده ؟ قال: "غَمْسُهُ يده في العدو حاسِرا". فنزع درعا كانت عليه فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل"(١).

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، طبعة دار المنار: (ج١، ٢/ ص٣٤٧).

٢- نهي النبي ﷺ عن قتل بعض المشركين:

* إليك هنا خبر نهي النبي ﷺ عن قتل بعض المشركين مروءةً لما لهم من قديم إحسان وحسن عهد، ومنهم رجل يدعى أبا الْبَخَتَري بن هشام بن الحارث، وقد أخبره الصحابة بنهي النبي ﷺ عن قتل فأبى أن يسلم من القتل دون زميله وأصرّ على القتال.

قال ابن إسحاق: وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد، عن بعض أهله، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال لأصحابه يومئذ: إني قد عرفت أن رجالا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث ابن أسد فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب، عم رسول الله ﷺ فلا يقتله، فإنه إنما أخرج مستكرها.

* **قال:** فقال أبو حذيفة: أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخوتنا وعشيرتنا ونترك العباس، والله لئن لقيته لألحمنه السيف - قال ابن هشام: ويقال: لألجمنه (السيف) - قال: فبلغت رسول الله ﷺ، فقال لعمر بن الخطاب: يا أبا حفص - قال عمر: والله إنه لأول يوم كناني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص - أيضرب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف؟ فقال عمر: يا رسول الله، دعني فلأضرب عنقه بالسيف، فوالله لقد نافق. فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ، ولا أزال منها خائفا، إلا أن تكفرها عني الشهادة. فقتل يوم اليمامة شهيدا.

* **قال ابن إسحاق:** وإنما نهى رسول الله ﷺ عن قتل أبي البختري لأنه كان أكف القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة، وكان لا يؤذيه، ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطلب، فلقيه المجذر بن زياد البلوي، حليف الأنصار، ثم من بني سالم بن عوف، فقال المجذر لأبي البختري: إن رسول الله ﷺ قد نهانا عن قتلك - ومع أبي

البختري زميل له، قد خرج معه من مكة، وهو جنادة بن مليحة بنت زهير بن الحارث بن أسد، وجنادة رجل من بني ليث . واسم أبي البختري: العاص - قال: وزميلي ؟ فقال له المجذر: لا والله، ما نحن بتاركي زميلك، ما أمرنا رسول الله ﷺ إلا بك وحدك، فقال: لا والله، إذن لأموتن أنا وهو جميعا، لا تتحدث عني نساء مكة أني تركت زميلي حرصا على الحياة. فقال أبو البختري حين نازله المجذر وأبى إلا القتال، يرتجز:(لن يسلم ابن حرة زميله حتى يموت أو يرى سبيله) فاقتتلا، فقتله المجذر بن زياد.

٣- مصرع أمية بن خلف:

* **قال ابن إسحاق:** حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال ابن إسحاق: وحدثنيه أيضا عبد الله بن أبي بكر وغيرهما، عن عبد الرحمن بن عوف قال: كان أمية بن خلف لي صديقا بمكة، وكان اسمي عبد عمرو، فتسميت، حين أسلمت، عبد الرحمن، ونحن بمكة، فكان يلقاني إذ نحن بمكة فيقول: يا عبد

عمرو، أرغبت عن اسم سماكه أبواك؟ فأقول: نعم، فيقول: فإني لا أعرف الرحمن، فاجعل بيني وبينك شيئا أدعوك به، أما أنت فلا تجيبني باسمك الأول، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف، قال: فكان إذا دعاني: يا عبد عمرو، لم أجبه. قال: فقلت له: يا أبا علي، اجعل ما شئت، قال: فأنت عبد الإله، قال: فقلت: نعم، قال: فكنت إذا مررت به قال: يا عبد الإله فأجيبه، فأتحدث معه. حتى إذا كان يوم بدر، مررت به وهو واقف مع ابنه، علي بن أمية، آخذ بيده، ومعي أدراع، قد استلبتها، فأنا أحملها. فلما رآني قال لي: يا عبد عمرو، فلم أجبه، فقال: يا عبد الإله؟ فقلت: نعم، قال: هل لك في، فأنا خير لك من هذه الأدراع التي معك؟ قال: قلت: نعم، ها الله ذا. قال: فطرحت الأدراع من يدي، وأخذت بيده ويد ابنه، وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط، أما لكم حاجة في اللبن ؟ **(قال):** ثم خرجت أمشي بهما.

* **قال ابن هشام:** يريد باللبن، أن من أسرني افتديت منه بإبل كثيرة اللبن. قال ابن إسحاق: حدثني عبد الواحد بن أبي عون، عن سعد بن إبراهيم عن أبيه عبد

الرحمن بن عوف، قال: قال لي أمية بن خلف، وأنا بينه وبين ابنه، آخذ بأيديهما: يا عبد الإله، من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره ؟ قال: قلت: ذاك حمزة بن عبد المطلب، قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل، قال عبد الرحمن: فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال معي - وكان هو الذي يعذب بلالا بمكة على ترك الإسلام، فيخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت، فيضجعه على ظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد، فيقول بلال: أحد أحد. قال: فلما رآه، قال: رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا . قال: قلت: أي بلال، أبأسيري قال: لا نجوت إن نجا.

* **قال:** قلت: أتسمع يا ابن السوداء، قال: لا نجوت إن نجا. قال: ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا. قال: فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة وأنا أذب عنه . قال: فأخلف رجل السيف، فضرب رجل ابنه فوقع، وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط. قال: فقلت: انج بنفسك،

ولا نجاء بك فوالله ما أغني عنك شيئا. قال: فهبروهما بأسيافهم، حتى فرغوا منهما. قال: فكان عبد الرحمن يقول: يرحم الله بلالا، ذهبت أدراعي وفجعني بأسيري.

٤- قصة سيف عكاشة:

* انقطع سيف عُكَّاشة بن مِحْصَن الأسدي، فأعطاه النبي ﷺ جِذْلًا من حطب وقال ﷺ: "قاتل بهذا يا عكاشة"، فإذا به يصير سيفا في يده شديد المتن وقاتل به وظل عنده يقاتل به بعدها حتى قُتِل عكاشة في حروب الردة، وسُمِي هذا السيف: (الْعَوْن).

* **قال ابن إسحاق:** وقاتل عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي، حليف بني عبد شمس بن عبد مناف، يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده، فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جذلا من حطب، فقال: قاتل بهذا ياعكاشة فلما أخذه من رسول الله ﷺ هزه، فعاد سيفا في يده طويل القامة، شديد المتن، أبيض الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله

تعالى على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى: العون. ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتل في الردة، وهو عنده، قتله طليحة بن خويلد الأسدي.

* **قال ابن هشام:** حبال: ابن طليحة بن خويلد. وابن أقرم: ثابت بن أقرم الأنصاري. قال ابن إسحاق: وعكاشة بن محصن الذي قال لرسول الله ﷺ حين قال رسول الله ﷺ: يدخل الجنة سبعون ألفا من أمتي على صورة القمر ليلة البدر، قال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: إنك منهم، أو اللهم اجعله منهم، فقام رجل من الأنصار. فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: سبقك بها عكاشة وبردت الدعوة.

* **وقال رسول الله ﷺ،** فيما بلغنا عن أهله: منا خير فارس في العرب، قالوا: ومن هو يا رسول الله؟ قال: عكاشة بن محصن، فقال ضرار بن الأزور الأسدي: ذاك رجل منا يا رسول الله، قال: ليس منكم ولكنه منا للحلف.

٥- خبر الفتية الذين نزل فيهم قول الله:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾:

*** هم فتية قتلوا ببدر، ونزل فيهم قول الله تعالى:**

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ٩٧-٩٩]

* هؤلاء الفتية من بني أسد بن عبد العزى بن قصي: الحارث بن زمعة بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد، ومن بني مخزوم: أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ومن بني جمح: علي بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، ومن بني سهم: العاص بن منبه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم.

* وقصتهم أنهم كانوا قد أسلموا، والنبي ﷺ بمكة، وبعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة حبسهم آباؤهم بمكة وفتنوهم فافتتنوا، ثم ساروا إلى بدر مع قومهم، فأصيبوا جميعا هناك.

٦- مقتل أبي جهل:

* وإليك خبر البحث عن أبي جهل في القتلي والمجيء برأسه للنبي ﷺ وحمد النبي ﷺ لله عندما رآها:

* **قال ابن إسحاق:** فلما فرغ رسول الله ﷺ من عدوه، أمر بأبي جهل أن يلتمس في القتلى. وكان أول من لقي أبا جهل، كما حدثني ثور بن يزيد، عن عكرمة، عن ابن عباس، وعبد الله بن أبي بكر أيضا قد حدثني ذلك، قالا: قال معاذ ابن عمرو بن الجموح، أخو بني سلمة: سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة - قال ابن هشام: الحرجة: الشجر الملتف.

* **وفي الحديث عن عمر بن الخطاب:** أنه سأل أعرابيا عن الحرجة؛ فقال: هي شجرة من الأشجار لا يوصل إليها - وهم يقولون: أبو الحكم لا يخلص إليه. قال:

فلما سمعتها جعلته من شأني، فصمدت نحوه، فلما أمكنني حملت عليه، فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه، فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها، قال: وضربني ابنه عكرمة على عاتقي، فطرح يدي، فتعلقت بجلدة من جنبي، وأجهضني القتال عنه، فلقد قاتلت عامة يومي، وإني لأسحبها خلفي، فلما آذتني وضعت عليها قدمي، ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها.

* **قال ابن إسحاق:** ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمان عثمان. ثم مر بأبي جهل وهو عقير، معوذ بن عفراء، فضربه حتى أثبته، فتركه وبه رمق. وقاتل معوذ حتى قتل.

* فمر عبد الله بن مسعود بأبي جهل، حين أمر رسول الله ﷺ أن يلتمس في القتلى، وقد قال لهم رسول الله ﷺ - فيما بلغني - انظروا، إن خفي عليكم في القتلى، إلى أثر جرح في ركبته، فإني ازدحمت يوما أنا وهو على مأدبة لعبد الله بن جدعان، ونحن غلامان، وكنت أشف منه بيسير، فدفعته فوقع على ركبتيه، فجحش في إحداهما جحشا لم يزل أثره به. قال عبد الله بن مسعود: فوجدته بآخر رمق فعرفته،

فوضعت رجلي على عنقه - قال: وقد كان ضبث بي مرة بمكة، فآذاني ولكزني، ثم قلت له: هل أخزاك الله يا عدو الله ؟ قال: وبماذا أخزاني، أعمد من رجل قتلتموه، أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ قال: قلت: لله ولرسوله.

* قال ابن هشام: ضبث: قبض عليه ولزمه. قال ضابئ بن الحارث البرجمي:

فأصبحت مما كان بيني وبينكم من الود مثل الضابث الماء باليد.

* **قال ابن هشام:** ويقال: أعار على رجل قتلتموه، أخبرني لمن الدائرة اليوم؟ قال ابن إسحاق: وزعم رجال من بني مخزوم، أن ابن مسعود كان يقول: قال لي: لقد ارتقيت مرتقى صعبا يا رويعي الغنم قال: ثم احترزت رأسه ثم جئت به رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، هذا رأس عدو الله أبي جهل، قال: فقال رسول الله ﷺ: آلله الذي لا إله غيره - قال: وكانت يمين رسول الله ﷺ - قال: قلت نعم، والله الذي لا إله غيره، ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله ﷺ فحمد الله.

إلقاء قتلى المشركين في الْقَلِيب:

* عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: "لَمَّا سمِع المسلمونَ النبيَّ ﷺ وهو ينادي على قَليبِ بدرٍ يا أبا جهلٍ يا عُتبةَ بنَ ربيعةَ يا شيبةَ بنَ ربيعةَ يا أميةَ بنَ خلفٍ هل وجدتُم ما وعدَكم ربُّكم حقًّا؟ فإني وجدتُ ما وعدني ربِّي حقًّا قالوا يا رسولَ اللهِ تنادي قومًا قد جيَّفوا قال ما أنتم بأسمعَ لِمَا أقولُ منهم، ولكنَّهم لا يستطيعونَ أنْ يجيبوا"(١).

* **وقال ابن إسحاق:** "وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير عن عائشة، قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يطرحوا في القليب، طرحوا فيه، إلا ما كان من أمية بن خلف، فإنه انتفخ في درعه فملأها، فذهبوا ليحركوه، فتزايل لحمه، فأقروه، وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة. فلما ألقاهم في القليب، وقف عليهم رسول الله ﷺ، فقال: يا أهل القليب، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا.

---

(١) أحمد (١٢٠٢٠) واللفظ له، وفي شرح ثلاثيات المسند: (١/ ٦٦٣)، وأخرجه مسلم (٢٨٧٤)، والنسائي (٢٠٧٥).

قالت: فقال له أصحابه: يا رسول الله، أتكلم قوما موتى؟ فقال لهم: لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حقا.

قالت عائشة: والناس يقولون: لقد سمعوا ما قلت لهم، وإنما قال لهم رسول الله ﷺ: لقد علموا

قال ابن إسحاق: وحدثني حميد الطويل. عن أنس بن مالك، قال: سمع أصحاب رسول الله ﷺ، رسول الله ﷺ من جوف الليل وهو يقول: يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا أمية بن خلف، ويا أبا جهل بن هشام، فعدد من كان منهم في القليب: هل وجدتم ما وعد ربكم حقا، فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا؟ فقال المسلمون: يا رسول الله، أتنادي قوما قد جيفوا؟ قال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني.

* **قال ابن إسحاق:** وحدثني بعض أهل العلم: أن رسول الله ﷺ قال يوم هذه المقالة: يا أهل القليب، بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس، ثم قال: هل وجدتم ما

وعدكم ربكم حقا؟ للمقالة التي قال"(١).

* **وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال:** "كُنَّا مع عُمَرَ بيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَتَرَاءَيْنَا الهِلَالَ، وَكُنْتُ رَجُلًا حَدِيدَ البَصَرِ، فَرَأَيْتُهُ وَليسَ أَحَدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَآهُ غيرِي، قالَ: فَجَعَلْتُ أَقُولُ لِعُمَرَ: أَمَا تَرَاهُ؟ فَجَعَلَ لا يَرَاهُ، قالَ: يقولُ عُمَرُ: سَأَرَاهُ وَأَنَا مُسْتَلْقٍ علَى فِرَاشِي، ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا عن أَهْلِ بَدْرٍ؛ فَقالَ: إنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ كانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ بالأمْسِ، يقولُ: هذا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا، إنْ شَاءَ اللهُ. قالَ: فَقالَ عُمَرُ: فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بالحَقِّ، ما أَخْطَؤُوا الحُدُودَ الَّتي حَدَّ رَسولُ اللهِ ﷺ، قالَ: فَجُعِلُوا في بئْرٍ بَعْضُهُمْ علَى بَعْضٍ، فَانْطَلَقَ رَسولُ اللهِ ﷺ حتَّى انْتَهَى إليهِم، فَقالَ: يا فُلَانَ بنَ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانَ بنَ فُلَانٍ، هلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَكُمُ اللهُ وَرَسولُهُ حَقًّا؟ فإنِّي قدْ وَجَدْتُ ما وَعَدَنِي اللهُ حَقًّا. قالَ عُمَرُ: يا رَسولَ اللهِ، كيفَ تُكَلِّمُ أَجْسَادًا لا أَرْوَاحَ فِيهَا؟! قالَ: ما أَنْتُمْ بأَسْمعَ لِما أَقُولُ منهمْ، غيرَ أنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شيئًا"(٢).

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، طبعة دار المنار: (ج١، ٢/ ص٣٥٣).

(٢) صحيح مسلم: (٢٨٧٣).

 ما جاء في الغنائم والفيء ببدر والأسارى:

* اختلف المسلمون فيمن أحق بالغنائم وكان مصير هذا الخلاف أن جعل الله النبي ﷺ يقسم تلك الغنائم على السَّواء، وذلك حينما أمر رسول الله ﷺ أمر بما في العسكر، مما جمع الناس، فجمع، واختلف المسلمون فيمن يأخذ الغنائم، فقال مَن جَمَعَهُ: هو لنا، وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونه: والله لولا نحن ما أصبتموه لنحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم، وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ مخافة أن يخالف إليه العدو: والله ما أنتم بأحق به منا، والله لقد رأينا أن نقتل العدو إذ منحنا الله تعالى أكتافه، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه ولكنا خفنا على رسول الله ﷺ كَرَّة العدو، فقمنا دونه، فما أنتم بأحق به منا.

* قال ابن إسحاق: "وحدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا عن سليمان ابن موسى، عن مكحول، عن أبي أمامة الباهلي - واسمه صدي بن

عجلان فيما قال ابن هشام – قال: سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال، فقال: فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل، وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا، فجعله إلى رسوله، فقسمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن بواء يقول: على السواء.

❋ قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، قال: حدثني بعض بني ساعدة عن أبي أسيد الساعدي مالك بن ربيعة، قال: أصبت سيف بني عائذ المخزوميين الذي يسمى المرزبان يوم بدر، فلما أمر رسول الله ﷺ الناس أن يردوا ما في أيديهم من النفل، أقبلت حتى ألقيته في النفل. قال: وكان رسول الله ﷺ لا يمنع شيئا سئله، فعرفه الأرقم بن أبي الأرقم، فسأله رسول الله ﷺ، فأعطاه إياه"(١).

(١) السيرة النبوية لابن هشام، طبعة دار المنار: (ج١، ٢/ ص٣٥٥، ٣٦٦).

إرسال ابن رواحة وزيد بشيرين بالنصر إلى أهل المدينة:

* أرسل النبي ﷺ عبد الله بنَ رَوَاحة وزيد بن حارثة لإخبارهم ببشرى النصر ووافق وصولُهما وصولَ السيدة رقية رضي الله عنها لأول منازل دار الحق والانتهاء من دفنها، وسيأتي بيان الإشارة لهذا الحدث في أبيات المنظومة المنورة في الصفحات التالية.

* **وفي هذا الحدث قال ابن إسحاق:** ثم بعث رسول الله ﷺ عند الفتح عبد الله ابن رواحة بشيرا إلى أهل العالية، بما فتح الله عز وجل على رسوله ﷺ وعلى المسلمين، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة.

* **قال أسامة بن زيد:** فأتانا الخبر - حين سوينا التراب على رقية ابنة رسول الله ﷺ، التي كانت عند عثمان بن عفان. كان رسول الله ﷺ خلفني عليها مع عثمان - أن زيد بن حارثة قد قدم. قال: فجئته وهو واقف بالمصلى قد غشيه الناس، وهو يقول: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وزمعة بن الأسود، وأبو البختري العاص بن هشام، وأمية بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج. قال: قلت: يا أبت، أحق هذا؟ قال: نعم، والله يا بني.

عودة النبي ﷺ من بدر ومعه الأسرى:

* أقبل النبي ﷺ من بدر إلى المدينة، ومعه الأسارى من المشركين، وفيهم عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، ومعه الأنفال التي تمت غنيمتها من المشركين، وجعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار، وخرج النبي ﷺ من مضيق الصفراء ونزل على كثيب بين المضيق وبين النازية - يقال له: سير - إلى سرحة به، فقسم هنالك النفل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء، ثم ارتحل حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين، فقال لهم سلمة: ما الذي تهنئوننا به؟ فوالله إن لقينا إلا عجائز صلعا كالبدن المعقلة، فنحرناها، فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: "أي ابن أخي، أولئك الملأ".

* وقال ابن هشام في المقصود بالملأ: الأشراف والرؤساء.

 **ومضة الجوهرة في دخول النبي ﷺ المدينة منتصرا:**

لقد لاحت غرة النصر ووضحت وضوح البدر، وأشرقت صفحة الفتح إشراق الشمس في أول الصبح، وانجلت غبرة المعركة بعدما أحاطت بالكفار يد المهلكة؛ فكان النصر ببدر فتحًا للمسلمين تفتحت له أبواب الشرف والتمكين، والعزِّ والتأييد المبين.

* ودخل النبي ﷺ المدينة منصورا والثرى يُقَبِّل خطاه ويحتضن عطرها لينبت زهورا، والأرض ريا ضاحكة والدنيا خضراء ناضرة، وفجر الإسلام عال ساطع، وسيف الإيمان ماض قاطع، والمدينة ملأى تهاني وبشارات، والمسلمون شورى بين أفراح ومسرات لِمَا كان من نصرٍ نطقت به ألسنة الشكر؛ فخاف بعد هذا النصر كل عدو وأسلم عدد كبير من أهل المدينة بصدق، كما دخل عبد الله بن أبي وبعض المنافقين ظاهرا في الإسلام بعد نصرٍ جَلَّ عن تطلب نعوته بتصريف الأقوال وتفخيم شؤونه بضرب الأمثال، ذلك النصر الذي أصبح به الإسلام متسعَ النطاق، والعدل ممدود الرواق، والتوحيد ساطع الإشراق محروسا من عدُوِّه المراق ومن نزعة الشقاق.



موقف الصحابة الذين لم يشهدوا بدرًا لعدم علمهم بالمعركة:

* لم يكن لدى الصحابة الذين لم يذهبوا مع النبي ﷺ علم بالمعركة، ويتضح ذلك في قول أسيد بن حضير - رضي الله عنه - عند وصول النبي ﷺ: "الحمد لله الذي أظفرك، وأقر عينك، والله يا رسول الله ما كان تخلفي عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدوا، ولكن ظننت أنها عير، ولو ظننتُ أنه عدو ما تخلفت، فقال رسول الله ﷺ: "صدقت".

وصول الأسرى ووصية النبي ﷺ عليهم لأصحابه:

* بعد وصول النبي ﷺ للمدينة بيوم وصل الأسرى؛ فقسّم الأسرى على الصحابة رضوان الله عليهم، وأوصى النبي ﷺ بالأسرى خيرًا فأحسن الصحابة الأخذ بالوصية والعمل بها فكانوا يؤثرون الأسرى على أنفسهم ويقدمون لهم الخبز بينما يأكل الصحابة التمر فقط.

* واستشار النبي ﷺ الصحابة - رضي الله عنهم - في أمر الأسرى، فرأى أبو بكر - رضي الله عنه - أن يتم أخذ الفدية لتكون قوة للمسلمين على الكفار وتكون في ذلك فرصة لهداية هؤلاء الأسرى ونشر الدين، ورأى الفاروق عمر - رضي الله عنه - أن هؤلاء الأسرى هم

من صناديد وأئمة الكفر وأعداء الدين، وضرب أعناقهم يُخلص المسلمين من شرهم ويكون إعلاما للجميع بمدى قوة المسلمين وأنه ليست في قلوبهم هوادة لأعداء الدين؛ فاختار النبي ﷺ رأي أبي بكر - رضي الله عنه - وأخذ منهم الفداء، وكان من أربعة آلاف درهم إلى ثلاثة آلاف درهم إلى ألف درهم، وهناك مَن تم إطلاق سراحهم بغير فداء، وهناك مَن كان فداؤه أن يُعَلِّم عشرة غلمان من غلمان المدينة؛ وذلك لأن أهل مكة كانوا يكتبون نظرا لتعلمهم الكتابة أثناء رحلاتهم التجارية ولم يكن أهل المدينة أهل كتابة.

ومضة الجوهرة ببعض الدروس والعبر المستفادة من غزوة بدر الكبرى:

١- التقاء الأبناء بالآباء وأولاد العم بأولاد عمهم والإخوة بالإخوة في ساحة المعركة لاختلاف العقيدة يبرز مدى ثبات المؤمنين وقوة عقيدتهم، وإخلاص وصدق الصحابة - رضي الله عنهم - في موالاة المؤمنين، ومعاداة الكافرين، وتجلى ذلك عندما قتل عمر بن الخطاب خاله العاص بن هشام بن المغيرة، وكاد أبو بكر أن يقتل ابنه عبد الرحمن، وقتل حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث أبناء عمهم عتبة

وشيبة والوليد بن عتبة في المبارزة التي سبق ذكرها، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].



٢- بيان وجوب الجنة لمن استشهد في سبيل الله، ففي الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: "فَانْطَلَقَ رَسولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حتَّى سَبَقُوا المُشْرِكِينَ إلى بَدْرٍ، وَجَاءَ المُشْرِكُونَ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: لا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنكُم إلى شيءٍ حتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ، فَدَنَا المُشْرِكُونَ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: قُومُوا إلى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأرْضُ، قالَ: يقولُ عُمَيْرُ بنُ الحُمَامِ الأنْصَارِيُّ: يا رَسولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأرْضُ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: ما يَحْمِلُكَ علَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟ قالَ: لا وَاللهِ يا رَسولَ اللهِ، إلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِن أَهْلِهَا، قالَ: فإنَّكَ

مِن أَهْلِهَا، فأخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِن قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ منهنَّ، ثُمَّ قالَ: لَئِنْ أنَا حَيِيتُ حتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هذِه إنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قالَ: فَرَمَى بما كانَ معهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حتَّى قُتِلَ"(١)



٣- استجابة دعاء النبي ﷺ على مشركي قريش: "اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بأبي جهل".

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يُصَلِّي عِنْدَ البَيْتِ، وأَبُو جَهْلٍ وأَصْحَابٌ له جُلُوسٌ، إذْ قالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بسَلَى جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ، فَيَضَعُهُ علَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أشْقَى القَوْمِ فَجَاءَ به، فَنَظَرَ حتَّى سَجَدَ النبيُّ ﷺ، وضَعَهُ علَى ظَهْرِهِ بيْنَ كَتِفَيْهِ، وأَنَا أنْظُرُ لا أُغْنِي شيئًا، لو كانَ لي مَنَعَةٌ، قالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ ويُحِيلُ بَعْضُهُمْ علَى بَعْضٍ، ورَسولُ اللهِ ﷺ سَاجِدٌ لا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ، فَطَرَحَتْ عن ظَهْرِهِ، فَرَفَعَ رَسولُ اللهِ ﷺ رَأْسَهُ ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بقُرَيْشٍ. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَشَقَّ عليهم إذْ دَعَا عليهم، قالَ: وكَانُوا يَرَوْنَ أنَّ

---

(١) صحيح مسلم:(١٩٠١).

الدَّعْوَةَ في ذلكَ البَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ سَمَّى: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بأَبِي جَهْلٍ، وعَلَيْكَ بعُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، وشيبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، والوَلِيدِ بنِ عُتْبَةَ، وأُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ، وعُقْبَةَ بنِ أَبِي مُعَيْطٍ - وعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ يَحْفَظْ -، قالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ، لقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسولُ اللهِ ﷺ صَرْعَى، في القَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ"(١).

* فاتضح من ذلك أن الدعاء من أعظم أسباب النصر والفتح، قال تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ۝٩﴾ [الأنفال: ٩].

* وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ۝١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦].

٤- تجلي عطف الصديق - رضي الله عنه - وعطفه وإشفاقه على النبي ﷺ من شدة الإلحاح في الدعاء، وحكمة الصديق في تثبيت النبي ﷺ التي تجلي بها مقام الرجاء الذي نطق به يقينُه في نصر الله للنبي ﷺ إلى جانب مقام الخوف الذي نطق به لسان

---

(١) صحيح البخاري: (٢٤٠).

إلحاح النبي ﷺ حال دعائه وخوفه ألا يعبد الله في الأرض إن هُزِم المسلمون؛ فَكَمَّل كل مقام الآخر وتساوى معه في الأهمية والأثر في بناء الفهم وتكوين العظة في نفوس المسلمين.



٥- تربية الله سبحانه وتعالى للمؤمنين عندما وجههم أن لا يجعلوا حب المال يسيطر عليهم عند النظر في الأمور التي يخدمون بها الدين مهما ضاقت بهم الحال، وهو سبحانه مَن قَدَّر الله وجود الغنائم مع شدة الحاجة إليها، وشاء أن يختلفوا فيها، وكذلك قضية الأسارى؛ ليعلمهم الإخلاص في الجهاد ويقوِّمَهم بتجريد نفوسهم من المطامع ويوجههم لما يحب ويرضى بتربية إسلامية تتزكى بها نفوسهم وترتقي، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾ [الأنفال: ١].

* وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال: ٦٧].

* ومعنى يُثْخن أي يكثر القتل وقيل أن معناها: يغلب، وقيل في هذه الآية الكريمة أن كلمة (لنبي) جاءت على التنكير تلطُّفا من المولى عز وجل برغم أن المقصود هو النبي ﷺ، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد ألا يكون العتاب مباشرا، والعتاب هنا له حكمة، والمعنى بناء على ذلك أنه لا ينبغي لنبي أن يكون له أسرى إلا بعد أن يكثر القتل ويذل الكافرين ويَعز بالنصر والغلبة المسلمون، أما المعنى الذي أرجحه -والله أعلم- أن تكون الآية بيان للفرق بين الأمم السابقة وبين الأمة الإسلامية، وليست عتابا؛ وذلك لبيان السعة في هذا الدين ومغفرة الله لأهل بدر ورحمته بهم فقول الله تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ أي ما كان من مغفرة وسعة لأهل بدر أو ما كان في علم الله من

إحلال الغنائم للأمة الإسلامية، وقيل أن الكتاب الذي سبق هو إذن الله للمسلمين بأخذ الفدية من الأسرى بقوله الله تعالى: (فإما منًّا بعد وإما فداء).

٦- الطاعة والإيمان والعمل الصالح من أعظم أسباب النصر والتمكين؛ ولذلك وعد الله الرسل والمؤمنين بالنصر في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١].

٧- مِن أسباب النصر حسن التوكل على الله، قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٠].

❁ ولقد أحسن الصحابة -رضوان الله عليهم- التوكل على الله؛ لذا مع قلة عددهم وعُددهم مقابل عدوهم أيدهم الله ونصرهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣].

٨- الجهاد من أعظم الأعمال، وفيه قربى وشفاعة وبه قدم صدق لا يخيب صاحبها أبدا لنصرته لدين الله وإعلاء كلمته وإخراج الناس من ظلمات الجهل والشرك لأنوار الهداية والتوحيد بالجهاد الذي هو ذروة سنام الدين، وسبيل المؤمنين للجنة ودليل صلاحهم وفوزهم بإذن الله، فعن جابر بن عبد الله: "أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ جَاءَ رَسولَ اللهِ ﷺ يَشْكُو حَاطِبًا، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، لَيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ النَّارَ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: كَذَبْتَ؛ لا يَدْخُلُهَا؛ فإنَّه شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ"(١).



٩- تأليف الله للقلوب وجمع الشمل من أسباب النصرة؛ فالنزاع والعداوة التي كانت بين الأنصار من الأوس والخزرج أزالها الله بوصول النبي -ﷺ- المدينة، فأعز الله الإسلام بجمع كلمتهم وصفهم وصاروا – رضي الله عنهم – يدًا واحدة ضد أعداء الدين من اليهود والمشركين، قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٣].

(١) صحيح مسلم: (٢٤٩٥).

١٠- الاغترار بالشجاعة والمهارة والكثرة من أسباب الفشل عياذا بالله؛ ولقد حمى الله المؤمنين من ذلك بقلة عددهم أمام العدو فامتلأت نفوسهم توكلا ووجلا وحَسُنَ إقبالهم على الله؛ فترسخت بالنصر الحكمة في نفوسهم وتيقنوا أنه وما النصر إلا من عند الله، وأنه هو الذي أمدهم بالمعونة ونصرهم وأيدهم، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ [سُورَةُ الأَنفَالِ: ٩]

١١- السمع والطاعة، وتجنب المعصية مع التَّرفع عن الجدال والخصومات من أعظم أسباب النصر والعز والتمكين؛ لذا كان النبي -ﷺ- يرشد الصحابة لضرورة المشورة قبل الإقدام على أي شيء، كما في حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "فَانْطَلَقَ رَسولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حتَّى سَبَقُوا المُشْرِكِينَ إلى بَدْرٍ، وَجَاءَ المُشْرِكُونَ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: لا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنكُم إلى شيءٍ حتَّى أَكُونَ أَنَا

دُونَهُ"(١)، وما كان من الصحابة – رضي الله عنهم – إلا السمع والطاعة.

١٢– تجلت في غزوة بدر حسن خلال وروعة مزايا النبي ﷺ من شجاعة وحكمة وقوة قيادته العسكرية، وعدله بين أصحابه رضي الله عنهم.

١٣– حسن طاعة القائد من أكبر أسباب النصر، وقد تجلى ذلك في غزوة بدر بطاعة الصحابة للنبي والقائد والرسول سيدنا محمد ﷺ ؛ فكان النصر والفتح المبين.

١٤– الخلافات والنزاع سبب للفرقة والهزيمة أمام العدو، ففي غزوة بدر قبل بدء المشركين القتال اختلفت قادتهم وحدث نزاع بينهم أدى لضعف عزائمهم وفشلهم؛ وقد حذر الله المؤمنين من هذه الآفة، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ

(١) صحيح مسلم: (١٩٠١).

وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ [الأنفال: ٤٦].



١٥- نصرة الدين بكل نية وقول صادق وفعل خالص من أسباب النصر على العدو، والتأييد من الله، قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ [الحج: ٤٠].

* وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: "جَاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، ما القِتَالُ في سَبيلِ اللهِ؟ فإنَّ أحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَبًا، ويُقَاتِلُ حَمِيَّةً، فَرَفَعَ إلَيْهِ رَأْسَهُ، قالَ: وما رَفَعَ إلَيْهِ رَأْسَهُ إلَّا أنَّه كانَ قَائِمًا، فَقالَ: مَن قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هي العُلْيَا، فَهو في سَبيلِ اللهِ عزَّ وجلَّ"(١)

١٦- ثبوت عذاب القبر ونعيمه عندما وقف النبي -ﷺ- عند القليب ونادى قتلى المشركين كما ورد بالحديث؛ ففي ذلك دليل على سماع القتلى له، وأن الميت إذا

---

(١) أخرجه البخاري: (١٢٣).

وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، أنه يسمع قرع نعالهم مما يؤكد عذاب القبر ونعيمه.



١٧- يدبر الله تعالى أمور المؤمنين من غير علمهم وترتيبهم، لنصرة الدين ولتأييدهم ومحق الباطل وخذلان أهله؛ ففي غزوة بدر جمع الله المؤمنين بأعدائهم الكافرين من دون علم مسبق للمؤمنين ولا ترتيب لحكمته سبحانه وتدبيره بالنصر والتمكين.



١٨- الشيطان يزين لأوليائه الباطل والمعاصي ثم يتخلى عنهم كما حدث في غزوة بدر وزين لقريش الخروج لحرب النبي ﷺ، ثم خذلهم وتولى عنهم، قال تعالى:

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

١٩- نزول الملائكة، وسقوط المطر، وغلبة النعاس أمنة للمؤمنين، وقذف الرعب في قلوب المشركين، وغير ذلك من المعجزات التي حدثت في غزوة بدر تدل على إمكانية حدوث الكرامات للمؤمنين الصادقين في كل زمان.



٢٠- بيان مكانة الصحابة -رضوان الله عليهم - من الكرامات التي حصلت لبعضهم في غزوة بدر ففيما حدث من معجزات إشارة لفضل مَن حدثت معهم ورضا الله عنهم.



٢١- طباع المنافقين واحدة في كل الأزمان يخادعون الله وهو خادعهم، ويسخرون من المؤمنين ويكيدون لهم، ويمكرون ويستهزئون ويدبرون المكائد، ويحاربون الدين، قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنفال: ٤٩].

* وفعالهم في غزوة بدر تُعْطِي للمؤمنين والمؤمنات في كل زمان ومكان درسًا وعظة وتوعية بهذا النوع من البشر والأعداء، وفهما لطباعهم الماكرة الخبيثة.



٢٢- لقد أخلف الله على العباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فيما دفعه من الفداء وذلك في قضية الأسارى في غزوة بدر، وهذا يدل على تعويض الله للمؤمنين الصادقين، وأنه يخلف عليهم في أموالهم ويكرمهم، ويغفر لهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾ [الأنفال: ٧٠].



٢٣- المعصية والكفران سبب لزوال النعمة، ونزول النقمة، فقد كفرت قريش بنعمة إرسال النبي ﷺ إليهم فكذبوه وحاربوه حتى عاقبهم الله في غزوة بدر بالقتل والأسر والهزيمة، قال تعالى: ﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨﴾ [إبراهيم: ٢٨].

* وجاء في تفسير الطبري لهذه الآية عن القاسم بن أبي بزّة، قال: سمعت أبا الطفيل يحدّث، قال: سمعت عليا يقول في هذه الآية ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ قال: كفار قريش يوم بدر.

* وعن عمرو بن دينار، أن ابن عباس قال في قوله ﴿وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ قال: هم المشركون من أهل بدر.



٢٤- قد نزلت بقريش عقوبات كثيرة إنذارًا لهم قبل غزوة بدر، منها أنه أصابهم قحط حتى أكلوا العظام، لكنهم استمروا على عنادهم وضلالهم وعدوانهم، حتى أذن الله بغزوة بدر الكبرى وبالعقاب الأكبر لهم.

٢٥- أعداء الإسلام من المشركين والمنافقين، لا يتوقفون باللين ولا بالمسالمة لهم، بل لا يدخرون جهدًا في قتال المسلمين وإبادتهم، والكيد لهم، وقد بَيَّن لنا الله

سبحانه وتعالى هذا بقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧].



٢٦- إن دليل صدق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم قد تجلى بقوة في معركة بدر حيث أنهم قد بذلوا أنفسهم وأموالهم نصرةً لدين الله، وموقفهم في المعركة وصدقهم توضحه هذه الآية الكريمة: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣].



٢٧- المؤمن لا يخلف العهد؛ لأن له قائدا ونبيًّا لم يخلف العهد مع المشركين برغم شدة العداوة والحرب وقلة عدد المسلمين، فعن حذيفة بن اليمان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه قال: "ما مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ، قالَ: فأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قالوا: إنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا، فَقُلْنَا: ما نُرِيدُهُ، ما نُرِيدُ إلَّا المَدِينَةَ،

فأخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إلى المَدِينَةِ، وَلَا نُقَاتِلُ معهُ، فأتَيْنَا رَسولَ اللهِ ﷺ، فأخْبَرْنَاهُ الخَبَرَ، فَقالَ: انْصَرِفَا، نَفِي لهمْ بعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللهَ عليهم".

٢٨- الخيانة من خصال الكفار والمنافقين، وذلك كما حدث في قصة بئر معونة حينما أعطى الكفار الأمان للمسلمين وعندما تمكنوا منهم غدروا بهم، وباعوا زيدًا وخبيبًا؛ لأنهما قتلا بعضًا من زعماء قريش في معركة بدر.

٢٩- لقد تجلى حرص الكفار على طول البقاء وحبهم للحياة عندما بشَّر النبي -ﷺ- بقتل بعض المشركين في معركة بدر، مثل أُمية ابن خلف، وعقبة بن أبي معيط؛ فتجلى ذعرهم من القتل وامتنعوا عن الخروج ولم يستجيبوا إلا بحيلة من المشركين، قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة: ٩٦].

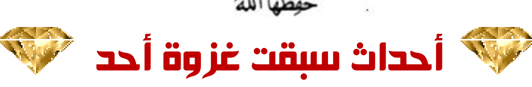
٣٠- ظهور عادة إرسال البشير بالأخبار السارة، وذلك عندما أرسل النبي -ﷺ- بعد انتصاره في غزوة بدر عبد الله بن رواحة، وزيد بن حارثة ليبشرا أهل المدينة بانتصار المسلمين.

٣١- إنصاف الإسلام وأهله في تسجيل المواقف الشريفة وإن كانت من كافر فقد سجل التاريخ مروءة بعض الكفار التي جعلت لهم مواقف عظيمة نصروا فيها المسلمين، ومن هؤلاء البختري بن هشام، فإنه كان أكف القوم عن رسول الله -ﷺ- وهو بمكة، وكان لا يعاديه ولا يؤذيه، وكان ممن قام بنقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم، وبني المطلب. ومنهم المطعم بن عدي، وقد دخل النبي -ﷺ- في جواره عند رجوعه من الطائف.

٣٢- انبثقت من غزوة بدر فائدة استنطاق النبي ﷺ للأسارى مع غلامي قريش قبل بدء الحرب بالحكمة والفطنة وحسن استثمار الأحداث والاستفادة منها، وكذلك فحص أبي سفيان بن حرب لروث العير وقت استطلاع موقع بدر لمعرفة هوية تلك العير.





أحداث سبقت غزوة أحد

١٢٢ ـ وَغَزْوٌ تُسَمَّى قَيْنُقَاعًا وَفِيهِ قَدْ
مَضَى بِجَلَاءٍ عَمَّهُمْ وَتَعَجَّلَا

١٢٣ ـ وَفِي ثَانِي ٱلْأَعْوَامِ لِلْهِجْرَةِ ٱلْتَقَتْ
رُقَيَّةُ بِنْتُ ٱلْمُصْطَفَى بِالرَّدَى ٱلْعُلَا

١٢٤ ـ وَزُوِّجَتِ ٱلزَّهْرَاءُ بِنْتُ ٱلْحَبِيبِ مِنْ
عَلِيٍّ بِنَفْسِ ٱلْعَامِ فَٱحْفَظْ لِتَفْضُلَا

١٢٥ ـ وَفِي ثَالِثِ ٱلْأَعْوَامِ مِنْ هِجْرَةٍ كَفَى
زَوَاجُ رَسُولِ ٱللَّهِ مِنْ حَفْصَةَ ٱلْوَلَا

المعنى: بعد غزوة بدر كانت هناك بعض الأحداث التي سبقت غزوة أحد ذكرتُ منها في الأبيات غزوة بني قينقاع والتي سبقتها غزوة بني سليم والسَّويق وغزوة ذي أَمَرّ، وغزوة بحران كما سيأتي الحديث مفصَّلًا فيما يلي، ومن الأحداث

التي أعقبت غزوة بدر مباشرة أول عيد وأول صلاة للعيد، وكان ذلك في السنة الثانية للهجرة إثر النصر العظيم ببدر، ووفاة السيدة رقية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بنت النبي ﷺ، وزواج السيدة فاطمة الزهراء - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بنت النبي ﷺ من الإمام علي بن أبي طالب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في نفس العام، ثم جاء في العام الثالث للهجرة زواج النبي ﷺ من أم المؤمنين حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وإليك الأحداث التي أعقبت بدرا وسبقت أحُدًا بالتفصيل.

غزوة بني سُلَيم (الْكُدْر)

* لقد نهض النبي ﷺ بعد فراغه ومكوثه بالمدينة بسبعة أيام إلى غزو بني سُلَيم واستعمل على المدينة سِبَاع بن عَرْفَطَة وقيل ابن أم مكتوم، وبلغ النبي ﷺ ماء يقال له الْكُدْر، فأقام عليه ثلاثا ولم يلق كيدا، فعاد.



غزوة السَّويق

شوال سنة ٢ هجرية

* بعد النصر العظيم للمسلمين في بدر وهَزيمة المُشرِكين، نَذَر أبو سُفيانَ ألَّا يَمَسَّ رَأسَه ماءٌ من جَنابةٍ حتى يَغزوَ النبيَّ ﷺ وأصحابَه ويأخذ الثأر من المسلمين؛ فخَرَج في مِائتَي راكِبٍ من قُريشٍ، ليَبَرَّ بيَمينِه، ووَصَل إلى أطرافِ المَدينةِ لَيلًا ثُمَّ لَجأ إلى بني النَّضيرِ، فأتَى حُيَيَّ بنَ أخطَبَ، فضَرَب عليه بابِه، فأبَى أن يَفتَحَ له بابَه وخافَهُ؛ فانصَرَف عنه إلى سَلَّامِ بنِ مِشكَمٍ -وكان سيِّدَ بني النَّضيرِ حينها، وصاحِبُ كَنزِهِم- فاستَأذَنَ عليه؛ فأذِنَ له، فضيَّفَه وسَقاهُ خَمرًا، وأخبَرَه من أخبارِ النبي ﷺ، ثم خَرَج أبو سُفيانَ في عَقِبِ لَيلَتِه حتى أتى أصحابَه، فبَعَث رجالًا من قُرَيشٍ، فأتَوا ناحيةً من المَدينةِ تُسَمّى بالعَريض -وادٍ بالمدينةِ-، فأشعَلوا النَّارَ في زروع ونخيل المُسلمين المُثمِرةِ، وقتلوا رجلًا من الأنصارِ وحَليفًا له في حَرثهما، وَوَلَّوا مُدبِرين. فوصل ذلك النبيَّ ﷺ، فخَرَج في أثَرِهِم يَطلُبُهم في مِائتَينِ من المُهاجِرين والأنصارِ، واستَخلف على المدينةِ أبا لُبابَةَ بَشيرَ بنَ عبدِ المُنذِرِ رضي الله عنه ،

فجَعَل أبو سُفيانَ وأصحابُه يُلْقون جِرَبَ -أوعيةَ- السَّويقِ -قَمحٍ أو شَعيرٍ يُقلَى ثمَّ يُطحَنُ، فيُتزَوَّدُ به، مَلْتوتًا بماءٍ أو سمنٍ أو عسلٍ-، وهي عامَّةُ أزوادِهِم، يتَخفَّفون منها للنَّجاءِ، حتى بَلغَ رسولُ الله -ﷺ- قَرقَرةَ -القَرقَرُ: الأرضُ المُستَويةُ- الكَدْرِ -ماءٌ لبني سُلَيمٍ، وأصلُ الكُدْرِ: طَيرٌ في ألوانِها كُدْرةٌ، سُمِّيَ المَوضِعُ أو الماءُ به-، ثم انصَرَف راجِعًا إلى المدينةِ، وقد فاتَه أبو سُفيانَ وأصحابُه، وكانت غَيبةُ الرسولِ -ﷺ خمسةَ أيَّامٍ، فقال المسلمون حينَ رَجَع بهم رسولُ الله ﷺ: يا رسولَ الله، أتطمَعُ لنا أن تَكونَ غزوةً؟ قال: "نعم". وتُسمَّى هذه الغَزوةُ بـ"غزوةِ السَّويقِ"؛ لأنَّ أكثَرَ ما طَرَح القَومُ مِن أزوادِهِمُ السَّويقُ، فعاد المسلمون بسَويقٍ كثيرٍ. وكانت تلك الغزوة في شوَّالٍ في السَّنةِ الثَّانيةِ من الهجرةِ قبل غزوة أُحُد.

* **عن محمد بن جعفر بن الزبير قال:** جلس عمير بن وهب الجمحي وصفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش في الحجر بيسير، وكان عمير بن وهب شيطانا من شياطين قريش، وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه ويلقون منه عناء أذاهم بمكة، وكان ابن وهب بن عمير في أسارى أصحاب بدر. قال: فذكروا أصحاب القليب بمصابهم فقال: والله إن في العيش خيرا بعدهم. فقال عمير بن وهب: صدقت والله لولا دين علي ليس عندي قضاؤه، وعيالي أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله فإن لي فيهم علة ابني عندهم أسيرا في أيديهم. قال: فاغتنمها صفوان فقال: على دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أسويهم ما بقوا لا نسعهم بعجز عنهم. قال عمير: اكتم عني شأني وشأنك. قال: أفعل، ثم أمر عمير بسيفه فشحذ وسم ثم انطلق إلى المدينة. فبينما عمر - رضي الله عنه - بالمدينة في نفر من المسلمين يتذاكرون يوم بدر وما أكرمهم الله به وما أراهم من

عدوهم، إذ نظر إلى عمير بن وهب قد أناخ بباب المسجد متوشحا السيف فقال: هذا الكلب والله عمير بن وهب، ما جاء إلا لشر، هذا الذي حرش بيننا وحرزنا للقوم يوم بدر . ثم دخل عمر على رسول الله – ﷺ – فقال: يا رسول الله، هذا عمير بن وهب قد جاء متوشحا بالسيف قال: " فأدخله ". فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلببه بها، وقال عمر لرجال من الأنصار ممن كان معه: ادخلوا على رسول الله – ﷺ – فاجلسوا عنده، واحذروا هذا الكلب عليه ؛ فإنه غير مأمون. ثم دخل على رسول الله – ﷺ – به وعمر آخذ بحمالة سيفه فقال: " أرسله يا عمر، ادن يا عمير ". فدنا فقال: أنعموا صباحا. وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم. فقال رسول الله – ﷺ –: " قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، السلام تحية أهل الجنة ". فقال: أما والله يا محمد إن كنت لحديث عهد بها. قال: " فما جاء بك؟ ". قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسبه قال: " فما بال السيف في عنقك؟ ". قال: قبحها الله من سيوف فهل أغنت عنا شيئا؟ قال: "

اصدقني ما الذي جئت له؟ ". قال: ما جئت إلا لهذا. قال: " بلى قعدت أنت

وصفوان بن أمية في الحجر فتذاكرتما أصحاب القليب من قريش فقلت: لولا دين

علي وعيالي لخرجت حتى أقتل محمدا. فتحمل صفوان لك بدينك وعيالك على

أن تقتلني، والله حائل بينك وبين ذلك ". قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا

يا رسول الله، نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من

الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أنبأك به إلا الله،

فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق.

* **فقال رسول الله – ﷺ –:** " فقهوا أخاكم في دينه وأقرئوه القرآن وأطلقوا له أسيره

". ثم قال: يا رسول الله إني كنت جاهدا على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان

على دين الله، وإني أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام،

لعل الله أن يهديهم ولا أؤذيهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم. فأذن له

رسول الله – ﷺ – فلحق بمكة. وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب قال

لقريش: أبشروا بوقعة تنسيكم وقعة بدر. وكان صفوان يسأل عنه الركبان، حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه فحلف أن لا يكلمه أبدا ولا ينفعه بنفع أبدا. فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام، ويؤذي من خالفه أذى شديدا، فأسلم على يديه ناس كثير (١).

غزوة ذي أمر

* لما رجع النبي ﷺ من غزوة السويق، أقام بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريبا من ذلك، ثم غزا نجدا، يريد غطفان، وهي غزوة ذي أمر، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكانت أكبر حملة عسكرية قادها النبي ﷺ قبل معركة أحد وكانت في المحرم في السنة الثالثة للهجرة، والسبب في هذه الغزوة أن الاستخبارات في المدينة نقلت للنبي ﷺ أن جمعا كبيرا من بني ثعلبة ومحارب قد

(١) رواه الطبراني مرسلا وإسناده جيد.

تجمعوا ويريدون الهجوم على أطراف المدينة، فخرج النبي ﷺ في أربعمائة وخمسين مقاتلا وفي طريقهم قبضوا على رجل يُدعَى جُبَار من بني ثعلبة، ولما دخل على النبي ﷺ دعاه النبي ﷺ للإسلام فأسلم، فضمه إلى بلال لكي يكون دليلا لجيش المسلمين في طريقهم لأرض المشركين، ووصل النبي ﷺ إلى مكان تجمع المشركين فوجدهم تفرقوا في رؤوس الجبال حين سمعوا بقدوم جيشه ﷺ، فأقام النبي ﷺ شهر صفر بأكمله في ذلك المكان عند الماء المسمى ب " ذي أمَرّ " لإبراز قوة المسلمين وحماية الحدود.

* **قال ابن إسحاق :** فأقام بنجد صفرًا كله أو قريبا من ذلك، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيدا، فلبث بها شهر ربيع الأول كله، أو إلا قليلا منه.

غزوة الفرع من بحران

* ثم غزا النبي ﷺ يريد قريشا، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه ، وخرج النبي ﷺ ومعه ثلاثمائة مقاتل في شهر ربيع الآخر في السنة الثالثة للهجرة وأقام في أرض بُحْرَان شهر ربيع الآخر ثم جمادى الأولى ثم رجع إلى المدينة بغير حرب.

* **قال ابن إسحاق :** حتى بلغ بُحْرَان، مَعْدِنًا بالحجاز من ناحية الْفُرع، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا.

مقتل كعب الأشراف

*كعب الأشراف كان واحدا من أشد اليهود عداوة للإسلام وأكثرهم إيذاء للمسلمين، واشتد هجاؤه وأذاه بعد غزوة بدر حتى أرسل النبي ﷺ سرية من بعض أصحابه -رضوان الله عليهم- ليخلصوا المسلمين من شر ذلك العدو الذي كان يعادي الإسلام والمسلمين، وكان ذلك الطاغية شاعرا غنيا معروفا، ولكي

يتمكن المسلمون من التخلص منه ومن شره كان لا بد أن يجدوا طريقة لذلك حتى يدخلوا عليه بالسلاح بغير أن يأخذ حذره، وسيأتي تفصيل ما حدث، والذى انتهى بقتل الطاغية والمجيء للنبي ﷺ برأسه، لكن كان قد أصيب بطرف سيف من سيوف الصحابة رضوان الله عليهم - أثناء الهجوم على ذلك العدو - واحدٌ منهم وهو الحارث بن أوس، وحينما لحق بأصحابه في الطريق بعد تخلفه عنهم لجرحه حملوه إلى النبي ﷺ وتفل النبي ﷺ على جرحه فبرأ بعدما وصلوا إلى بقيع الغرقد بالتكبيرات التي علم منها النبي ﷺ بقتلهم لعدو الله الطاغية كعب الأشراف.

* عن علي بن عبد الله حدثنا سفيان قال عمرو سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول قال رسول الله ﷺ من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله فقام محمد بن مسلمة فقال يا رسول الله أتحب أن أقتله قال نعم قال فأذن لي أن أقول شيئا قال قل فأتاه محمد بن مسلمة فقال إن هذا الرجل قد سألنا صدقة وإنه قد عنانا وإني قد أتيتك أستسلفك قال وأيضا والله لتملنه قال إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه وقد أردنا أن تسلفنا وسقا أو وسقين وحدثنا عمرو

غير مرة فلم يذكر وسقا أو وسقين أو فقلت له فيه وسقا أو وسقين فقال أرى فيه وسقا أو وسقين فقال نعم ارهنوني قالوا أي شيء تريد قال ارهنوني نساءكم قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب قال فارهنوني أبناءكم قالوا كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكنا نرهنك اللأمة قال سفيان يعني السلاح فواعده أن يأتيه فجاءه ليلا ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم فقالت له امرأته أين تخرج هذه الساعة فقال إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة وقال غير عمرو قالت أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم قال إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة إن الكريم لو دعي إلى طعنة بليل لأجاب قال ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين قيل لسفيان سماهم عمرو قال سمى بعضهم قال عمرو جاء معه برجلين وقال غير عمرو أبو عبس بن جبر والحارث بن أوس وعباد بن بشر قال عمرو جاء معه برجلين فقال إذا ما جاء فإني قائل بشعره فأشمه فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه وقال مرة ثم أشمكم فنزل إليهم متوشحا وهو ينفح منه ريح الطيب فقال ما رأيت كاليوم ريحا أي أطيب وقال غير عمرو قال عندي أعطر نساء

العرب وأكمل العرب قال عمرو فقال أتأذن لي أن أشم رأسك قال نعم فشمه ثم أشم أصحابه ثم قال أتأذن لي قال نعم فلما استمكن منه قال دونكم فقتلوه ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه.(١)

* **معنى:** سألنا صدقة أي سألنا أن نتصدق ويكلفنا أن نتصدق وليس لدينا.

* **ومعنى:** (ارهنوني) أي ادفعوا لي شيئا يكون رهنا على التمر الذي تريدونه.

* **وقول:** (ولكن نرهنك اللأمة) بتشديد اللام وسكون الهمزة أي الدرع والسلاح.

غزوة بني قَيْنُقَاع

* لقد التزم المسلمون بالمعاهدة التي كانت بينهم وبين اليهود لكن اليهود أصروا أن يكونوا عصارة لؤم في قرارة خبث كالكمأة لا أصل ثابت ولا فرع نابت، تربوا في حجر اللؤم والشر، وفُطِمُوا عن ثدي الخير؛ فملأوا تاريخهم بنكث العهود والغدر

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري: (ج٧/ ص٣٩٠، ٣٩١).

والجحود، وراحوا يتآمرون للتحريش بين صفوف المسلمين، وكانوا أول من نقض العهد مع النبي ﷺ.

* **قال ابن إسحاق :** وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ وحاربوا فيما بين بدر وأحد.

* **عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :** "حَارَبَتِ النَّضِيرُ وقُرَيْظَةُ، فأجْلَى بَنِي النَّضِيرِ، وأَقَرَّ قُرَيْظَةَ ومَنَّ عليهم، حتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ، وقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وأَوْلَادَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ بيْنَ المُسْلِمِينَ، إلَّا بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بالنَّبِيِّ ﷺ، فَآمَنَهُمْ، وأَسْلَمُوا، وأَجْلَى يَهُودَ المَدِينَةِ كُلَّهُمْ: بَنِي قَيْنُقَاعٍ، وهُمْ رَهْطُ عبدِ اللهِ بنِ سَلَامٍ، ويَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وكُلَّ يَهُودِ المَدِينَةِ"(١).

من صور إثارة يهود بني قينُقاع للمشكلات والتحريش بين المسلمين:

* من صور مؤامرات اليهود ما رواه الطبري بسنده وغيره عن زيد بن أسلم، قال: مر شاس بن قيس -وكان شيخا قد عسا في الجاهلية عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم- على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من

---

(١) صحيح البخاري: (٤٠٢٨) وأخرجه مسلم (١٧٦٦) باختلاف يسير.

الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة -يعني الأنصار الأوس والخزرج- بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتى شابا من يهود وكان معه فقال له: اعمد إليهم فاجلس معهم فذكرهم يوم بعاث وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، ففعل، فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب فتقاولا، وقال بعضهم لبعض: إن شئتم رددناها الآن جذعة، وغضب الفريقان وقالوا: قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الحرة فخرجوا إليها وتحاوز الناس على دعواهم التي كانت في الجاهلية، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه حتى جاءهم فقال: يا معشر المسلمين الله الله.. أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به وقطع عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به

من الكفر وألف بين قلوبكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا؟! فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس.

* **فأنزل الله تعالى في ذلك:** ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ۝٩٨ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٩٩﴾

[آل عمران:٩٨-٩٩]

* **وأنزل في الأوس والخزرج:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ۝١٠٠ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٠١﴾ [آل عمران:١٠٠-١٠١]

* **وعن عبد الله بن عباس** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: "لمَّا أصابَ رسولُ اللهِ ﷺ قُريشًا يومَ بدرٍ وقدمَ المدينةَ جمعَ اليَهودَ في سوقِ بني قينُقاعَ فقالَ يا معشرَ يَهودَ أسلِموا قبلَ أن يصيبَكم مثلُ ما أصابَ قريشًا قالوا يا محمَّدُ لا يغرَّنَّكَ مِن نفسِك أنَّكَ قتلتَ نفرًا من قريشٍ كانوا أغمارًا لا يعرِفونَ القتالَ إنَّكَ لو قاتَلتَنا لعرَفتَ أنَّا نحنُ النَّاسُ وأنَّكَ لم تلقَ مثلَنا فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ في ذلِكَ ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ﴾ قرأَ مصرِّفٌ إلى قولِهِ ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ببدرٍ ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾"(١).

سبب غزوة بني قينقاع وبدء الحرب:

* **عن ابن هشام أن عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة قد ذكر عن أبي عون، قال:** كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يُريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا بها، فصاحتْ. فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان

---

(١) أخرجه أبو داود: (٣٠٠١)، والبيهقي: (١٩١٠٠)، والضياء في الأحاديث المختارة: (٣٧٧).

يهوديا، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع.

* وبعد أن اجتمعت يهود بني قينقاع على قتل المسلم بعد أن قامت بجريمة كشف عورة المرأة المسلمة، وبلغ الأمر النبي ﷺ جمع الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم وجهز الجيش وانطلق إلى حصون بني قينقاع، وحاصر يهود بني قينقاع في حصونهم.

موقف عبد الله بن أُبيّ بن سلول:

* **قال ابن إسحاق :** وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، قال : فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه، فقام إليه عبدالله بن أبي بن سلول، حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد، أحسن في موالي، وكانوا حلفاء الخزرج، قال: فأبطأ عليه رسول الله ﷺ ؛ فقال: يا محمد، أحسن في موالي، قال: فأعرض عنه. فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ .

***قال ابن هشام:** وكان يقال لها ذات الفضول.

❋ **قال ابن إسحاق:** فقال له رسول الله ﷺ : أرسلني، وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظُللا، ثم قال: ويحك أرسلني؛ قال لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي، أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر؛ قال: فقال رسول الله ﷺ: هم لك.

❋ وكان عبادة بن الصامت – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – حليفا أيضا لهؤلاء اليهود لكنه تبرأ منهم بعد نقضهم لعهد النبي ﷺ .

❋ **قال ابن إسحاق :** وحدثني أبي إسحاق بن يسار، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ، تشبث بأمرهم عبدالله بن أبي بن سلول، وقام دونهم. ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ، وكان أحد بني عوف، لهم من حلفه مثل الذي لهم من عبدالله بن أبي، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ، وتبرأ إلى الله عز وجل، إلى رسوله ﷺ من حلفهم، وقال: يا رسول الله أتولى الله رسوله ﷺ والمؤمنين، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم، قال: ففيه وفي عبدالله بن أبي نزلت هذه القصة من المائدة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا

تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي لعبدالله بن أبي، وقوله : إني أخشى الدوائر ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ وذكر لتولي عبادة بن الصامت الله ورسوله والذين آمنوا، وتبرئه من بني قينقاع وحلفهم وولايتهم : ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

مدة الحصار:

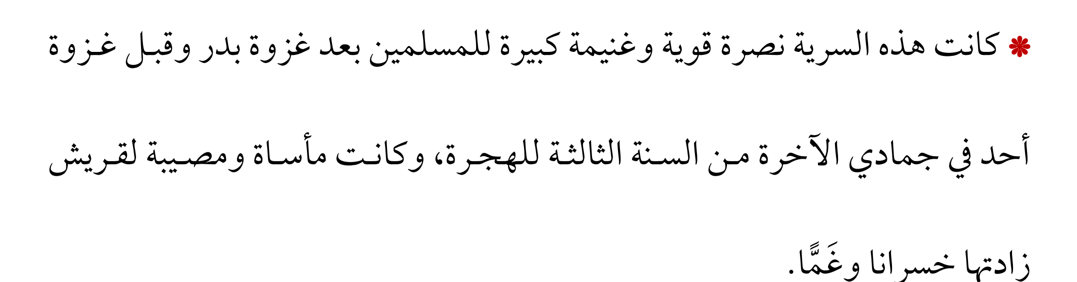
*قال ابن هشام: واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة في محاصرته إياهم بشير بن عبدالمنذر، وكانت محاصرته إياهم خمس عشرة ليلة.



* وقد أطلقهم النبي ﷺ بعد الحصار ووكَّل بجلائهم عبادة بن الصامت رضي الله عنهم؛ وأمهملهم ثلاث ليال.

سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه 



* كانت هذه السرية نصرة قوية وغنيمة كبيرة للمسلمين بعد غزوة بدر وقبل غزوة أحد في جمادي الآخرة من السنة الثالثة للهجرة، وكانت مأساة ومصيبة لقريش زادتها خسرانا وغَمًّا.

الأحداث:

* خرجت عير لقريش يقودها صفوان بن أمية في رحلة إلى الشام، وأخذت طريقا جديدة بعد خوفهم الكبير من المسلمين بعد غزوة بدر، وبعدما دارت مناقشة بينهم وتشاوروا في الأمر، واتخذوا دليلا في هذه الطريق لأنهم لا يعرفونها وكان اسمه فُرَات بن حَيَّان، وجهز النبي ﷺ حملة من مائة راكب بقيادة زيد بن حارثة الكلبي

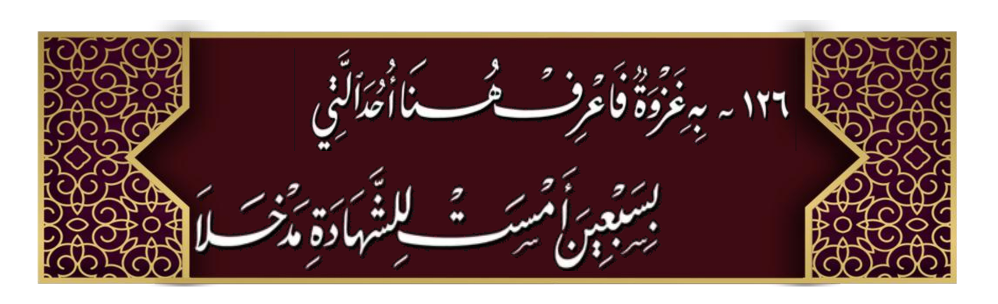
والذي داهمهم بغتة عند ماء يقال لها قَرْدَة ففرَّ صفوان ومن معه وجمع الصحابة ﭫ الغنائم التي قُدِّرت بمائة ألف وقسمها النبي ﷺ على أفراد السرية بعد أخذ الخمس، وكانوا قد أسروا الدليل فرات بن حيان والذي أسلم على يد النبي ﷺ .

* **قال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق:** وكانت بعد وقعة بدر بستة أشهر. قال ابن إسحاق: وكان من حديثها أن قريشا خافوا طريقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان، فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار، فيهم أبوسفيان ومعه فضة كثيرة، وهي عظم تجارتهم، واستأجروا رجلا من بكر بن وائل يقال له: فرات بن حيان - يعني العجلي حليف بني سهم - ليدلهم على تلك الطريق . قال ابن إسحاق: فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فلقيهم على ماء يقال له: القردة. من مياه نجد فأصاب تلك العير وما فيها، وأعجزه الرجال، فقدم بها على رسول الله ﷺ "(١).

---

(١) البداية والنهاية: (ج٥/ ٣٢٤).

غزوة أحد



المعنى: الضمير عائد على العام الثالث للهجرة أي في العام الثالث من الهجرة المباركة كانت غزوة أحد التي نال الشهادة فيها سبعون من الصحابة رضوان الله عليهم.

زمن الغزوة:

* بعد عام من غزوة بدر وفي شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة النبوية المباركة وقعت غزوة أحد عند جبل أحد.

أسباب الغزوة:

* بعدما عادت قريش من بدر واغتمت بقتل أشرافها حرَّض أبناء المشركين وعلى رأسهم أبو سفيان بن حرب قادة قريش على غزو النبي ﷺ والمسلمين، وسألوهم

أن يعينوهم بمال العير التي كانت قد أفلتت في غزوة بدر ليدركوا ثأرهم من المسلمين؛ فأعدت قريش العدة، واستنفر المشركون حلفاءهم للهجوم على المدينة المنورة.

خروج قريش:

* فتحت قريش باب التطوع لكل مَن أراد المشاركة في غزو المسلمين، فخرجت بسبعمائة درع وبجيش قوامه ثلاثة آلاف رجل مع خمس عشرة امرأة ومائتي فرس، وكان يقودهم أبو سفيان بن حرب وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل، وعلى المشاة صفوان بن أمية، وعلى رماة النبل عبد الله بن أبي ربيعة، وكان اللواء إلى بني عبد الدار.

سبل تحريض قريش ضد المسلمين:

* تنوعت سبل تحريض قريش المشتعلة بنار الغيظ والبغضاء ضد المسلمين؛ فأغرى صفوان بن أمية الشاعرَ أبا عزة الذي كان أسيرا في بدر وأطلق سراحه بغير فدية آخذا منه العهد ألا يقوم ضده وأن يحرض القبائل ضد المسلمين بأشعاره

على أن يغنيه إن رجع حيًّا أو يكفل بناته، واختاروا شاعرا آخر اسمه مُسَافع بن عبد مناف لتحريض القبائل بأشعاره أيضا، وحرض أبو سفيان بني عبد الدار وذكَّرهم بما كان من ولايتهم اللواء يوم بدر وهزيمتهم؛ فردوا عليه بما أراد حتى اطمئن، وكانت زوجته هند تحرض مع النسوة الجيشَ لاستنهاض عزائمهم، وذلك بالضرب بالدفوف والتجول بين الصفوف لإنشاد أبيات الشعر التي تشعل حماسهم وتحرضهم على القتال، كما قد خرج معهم من الكفار أبو عامر، وهو أبو الصحابي حنظلة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - غسيل الملائكة، وكان أبو عامر الفاسق قد غادر المدينة بعد انتشار الإسلام بها ثم أتى مع قريش لمحاربة المسلمين كما سيأتي تفصيل ذلك وبيان محاولته التفريق بين المسلمين.

وصول الخبر للنبي ﷺ ، ورؤياه، وخروجه للقتال:

* وكان رسول الله ﷺ قد رأى - فداه الروح والنفس- في المنام أن بقرًا له تذبح، ورأى ثلما في ذبابة سيفه، ورأى أنه أدخل يده في درع حصينة؛ فأوَّلها النبي ﷺ بأن

بعض أصحابه يقتلون وأن رجلا من أهل بيته يقتل، وأوَّل الدرع الحصينة بالمدينة.

* وحينما وصل الخبر للنبي ﷺ استشار الصحابة - رضوان الله عليهم- وكان رأيه ﷺ المكوث في المدينة والدفاع عنها؛ لعلمهم بدروبها من المشركين، ووافق هذا الرأي هوى المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول إلا أن بعض الصحابة الذين فاتهم فضل بدر استحبوا الخروج وألحُّوا على النبي ﷺ بالخروج؛ فدخل النبي ﷺ ولبس لَأْمة (درع) الحرب؛ فعاتب الصحابة بعضهم بعضا ورأوا أنهم قد دفعوا النبي ﷺ للخروج وذكروا ذلك له فقال ﷺ: ما ينبغي لنبي إذا أخذ لَأمة الحرب وأذن بالخروج إلى العدو أن يرجع حتى يقاتل.

* عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "رأيتُ كأنِّي في دِرعٍ حَصينةٍ، ورأيتُ بقرًا منحرةً، فأولتُ الدرعَ المدينةَ، والبقرُ واللهِ خيرٌ فإن شئتُم أقَمْنا بالمدينةِ، قالوا: ما دُخِل علَينا في الجاهليةِ أفيُدخَلُ علَينا في الإسلامِ ؟ قال: شأنُكم إذًا، قال: فلبِس رسولُ اللهِ ﷺ لَأْمَته، فقالوا: ما صنَعْنا ؟ رَدَدْنا على رسولِ اللهِ رأيَه

فجاءوا، فقالوا: شأنُكَ يا رسولَ اللهِ ﷺ، قال: الآنَ ليس لنبيٍّ إذا لبِس لَأْمَتَه أن يضَعَها حتى يُقاتِلَ"(١).

قوام جيش المسلمين وكتائبه:

* تألف جيش المسلمين من ألف مقاتل، ولم يكن فيهم من الفرسان أحد، واستعمل النبي ﷺ على المدينة قبل خروجه ابن أم مكتوم ليصلي بالمسلمين في المدينة، وقسَّم النبي ﷺ الجيش إلى ثلاث كتائب:

* **كتيبة المهاجرين:** وأعطي لواءها مصعب بن عمير رضي الله عنه.

* **كتيبة الأوس من الأنصار:** وأعطى لواءها أُسَيد بن حضير رضي الله عنه.

* **كتيبة الخزرج من الأنصار:** وأعطى لواءها الحُبَاب بن المنذر رضي الله عنه.



(١) إتحاف الخيرة المهرة: (٦/ ٣٦٨)، صحيح الجامع: (٣٤٧٦)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى: (٧٦٤٧).

* ولقد انسحب المنافق عبد الله بن أبي بن سلول عن جيش المسلمين ومعه ثلاثمائة من أصحابه في الطريق، وتعلَّل بأن النبي ﷺ أخذ برأي غيره في أمر الخروج للقتال؛ فأظهر الله كذب ذلك المنافق ونزل قول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾

* وإن انسحاب المنافق عبد الله بن أبي ومعه قرابة ثلثي جيش المسلمين كان بين أحد والمدينة على مقربة من العدو بعدما بات النبي ﷺ مع جيش المسلمين في مكان هناك لحلول المساء حيث أنهم صلوا المغرب ثم صلوا العشاء واختار النبي ﷺ سبعين رجلا لحراسة المعسكر بقيادة محمد بن مسلمة الأنصاري تجولوا للحراسة فترة المبيت وقام حينها ذكوان بن عبد قيس بحراسة النبي ﷺ، وقبل طلوع الفجر بوقت قليل انطلقوا وصَلُّوا الفجر بالشَّوْط، وبعدها انسحب المنافق ومَن معه، ولم يكن هذا الانسحاب لعدم رضاه منذ البداية عن الخروج بدليل خروجه وقرب وصوله معهم، إنما أراد أن يكون شوكة في حلق المسلمين وأن يهز

ثباتهم ويفرح عدوهم فيهم لحظة انسحابه على مسمع ومرأى من جيش المسلمين والمشركين، وقد همت طائفتان من المسلمين بالرجوع والفشل، وهما بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج ولكن الله تولاهما وثبتهما، قال الله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [سُورَةُ آلِ عِمرَانَ: ١٢٢]

* **فعن زيد بن ثابت** رضي الله عنه: "أَنَّ النبيَّ ﷺ خَرَجَ إلى أُحُدٍ، فَرَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ كانَ معهُ، فَكانَ أَصْحَابُ النبيِّ ﷺ فيهم فِرْقَتَيْنِ، قالَ بَعْضُهُمْ: نَقْتُلُهُمْ، وَقالَ بَعْضُهُمْ: لَا، فَنَزَلَتْ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ [النساء: ٨٨] (١).

* وحضَّ عبد الله بن حَرَام - والد جابر بن عبد الله رضي الله عنهما - وذكّر المنافقين ونهرهم، ونصحهم بالرجوع للقتال في سبيل الله فقالوا له: لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع؛ فرجع غاضبا يدعو عليهم ويدعو للنبي ﷺ أن يغنيه الله عنهم، وفي ذلك

(١) صحيح مسلم: (٢٧٧٦).

نزل قول الله تعالى: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧﴾

[سُورَةُ آلِ عِمرَانَ: ١٦٧]

* وحينما وصل النبي ﷺ أرض المعركة خطب وقام بتنظيم صفوف الجيش بقلب يسع الرمال ويرجح الجبال، وجعل جبل أحد ترسًا يحمي ظهور المسلمين في الصفوف إذا ما برقت الأبصار بشعاع السيوف، وأمر - ﷺ - خمسين من الرماة بالصعود إلى جبل عينين - الذي سمي فيما بعد بجبل الرماة - بقيادة عبد الله بن جبير رضي الله عنه ، ونهاهم عن ترك مواقعهم حتي يرسل ويأذن لهم، وأعطى أبا دجانة سيفا على أن يفي بحقه وهو أن يضرب به ضربا شديدا حتى النصر أو الشهادة، حيث قال النبي ـ ﷺ ـ: (من يأخذ هذا السيف، فبسطوا أيديهم كلٌّ يقول: أنا، أنا،

فقال ـ ﷺ ـ: من يأخذُهُ بحقه؟، فأحجم القوم، فقال أبو دجانة: أنا آخذُهُ بحقه يا رسول الله، فأخذَهُ ففلق به هام المشركين.

❋ **وفي رواية ابن كثير:** " قال سِمَاك بن خرشة أبو دجانة: وما حقه يا رسول الله؟، قال: أن تضرب به العدو حتى ينحني، قال: أنا آخذه بحقه، فدفعه إليه وكان رجلاً شجاعًا يختال عند الحرب، أي يمشي مشية المتكبر، وحين رآه رسول الله ـ ﷺ ـ يتبختر بين الصفين قال: إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن.

❋ **وقال القرطبي:** " يعني بهذا الحق: أن يقاتل بذلك السيف إلى أن يفتح الله على المسلمين أو يموت ".

وقفة مع موقف للبطل أبي دجانة تبرز قوته ومروءته وأمانته على السيف:

* البطل أبو دجانة هو سماك بن أوس بنِ خرشة صحابي جليل من بني ساعدة، وكان من أوائل من أسلموا من الأنصار، واشتهر أبو دجانة - رضي الله عنه - ببطولاته في الحروب، وكانت له عِصَابَةٌ حَمْرَاءُ تكون على رأسه عند الحرب، وإذا اعتصب بها عُلم أنّه سيقاتل حتى الموت، وكان قومه يسمونها: " **عصابة الموت** ".

* وقد بدأت معركة أُحُد والتحم الجيشان، واشتد القتال وتعانقت السيوف، واعتصب أبو دجانة - رضي الله عنه - بعصابة الموت، وتقدم نحو المشركين بسيفه الذي أخذه من النبي - صلى الله عليه وسلم -، فحصد به رؤوسهم وجعل لا يلقى أحَدَاً من المشركين إلا قتله، ورأى - رضي الله عنه - إنسانا يخمش الناس خمشًا شديدًا، قال: فصمدت له، فلما حملت عليه بالسيف ولْوَل، فإذا هي امرأة، وهي هند بنت عتبة، قال: فأكرمت سيف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن أضرب به امرأة".

* وروى البزار أن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " فقلتُ له كلُّ صنيعِك رأيتُه فأعجبني غيرَ أنك لم تقتلِ المرأةَ، قال: فإنها نادت فلم يُجبْها أحدٌ، فكرهتُ أن أضربَ بسيفِ رسولِ الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ امرأةً لا ناصرَ لها ".

* كما أجاز النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعض صغار الصحابة – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ – ممن بلغ الخامسة عشرة وكان شعارهم: (أمِت أمِت) ليعرفوا بعضهم في الظلام، فعن سلَمةَ بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قالَ: أمَّرَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علينا أبا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فغزَونا ناسًا منَ المشرِكينَ فبيَّتناهم نقتلُهُم، وَكانَ شعارُنا تلكَ اللَّيلةَ أمِت أمِت قالَ سلَمةُ: فقتلتُ بيدي تلكَ اللَّيلةَ سبعةَ أَهْلِ أبياتٍ منَ المشرِكينَ"(١).

* وهذا حديث البَراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن اختيار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لخمسين من الرماة ووصيته لهم، قالَ: "جعلَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الرُّماةِ يومَ أُحُدٍ وَكانوا خمسينَ رجلًا عبدَ اللهِ بنَ جُبَيْرٍ، وقالَ: إن رأيتُمونا تَخطفُنا الطَّيرُ، فلا تبرَحوا من مَكانِكُم هذا حتَّى أُرْسِلَ لَكُم، وإن رأيتُمونا هزَمنا القومَ وأوطَأناهُم فلا تبرَحوا حتَّى أُرْسِلَ

(١) صحيح أبي داود: (٢٦٣٨).

إليكُم. قالَ: فَهَزمَهُمُ اللهُ. قالَ: فأَنا واللهِ رأيتُ النِّساءَ يُسنِدنَ على الجبلِ، فقالَ أصحابُ عبدِ اللهِ بنِ جُبَيْرٍ الغَنيمةَ أي قومِ الغَنيمةَ: ظَهَرَ أصحابُكُم فما تَنتَظِرونَ؟ فقالَ عبدُ اللهِ بنُ جُبَيْرٍ: أنَسيتُمْ ما قالَ لَكُم رسولُ اللهِ ﷺ؟ فقالوا: واللهِ لَنَأْتينَّ النَّاسَ فلَنُصيبنَّ مِنَ الغَنيمةِ، فأَتَوهم فصُرِفَت وجوهُهُم وأقبَلوا مُنهزمينَ"(١).

 تنظيم النبي ﷺ للجيش وخطة الدفاع:

* بدأت الخطة بما سبق ذكره من اختيار الرماة الخمسين وأمرهم بالتمركز على الجبل الذي على الضفة الشمالية من وادي قناة جنوب شرق معسكر المسلمين وعلى بعد مائة وخمسين مترا من مقر جيش المسلمين لئلا يتسلل المشركون من وراء المسلمين، ثم جعل النبي ﷺ المنذرَ بن عمرو على ميمنة الجيش وجعل الزبير بن العوام على الميسرة ومعه المقداد بن الأسود، وكان التصدي والصمود في وجه فرسان خالد بن الوليد هو مهمة الزبير بن العوام رضي الله عنه، وقد اختار نخبة من البواسل والشجعان في مقدمة الصفوف استعدادا لذلك الأمر.

(١) صحيح أبي داود: (٢٦٦٢).

فداه نفسي وروحي وله ﷺ أقول هنا:

يَـا أَيُّهَـا الْغَيْـثُ: الْخَلَائِـقُ نَبْتَـةٌ * بَعْدَ الظَّمَا بِـكَ عُودُهَا قَدْ طَـالَا

ثَمِلَتْ سِهَامُكَ مِنْ دِمَاءِ الشِّرْكِ مُذْ * صَـوَّبْتَهَا فِيهَـا كَبَـتْ وَانْهَـالَا

قيادة النبي ﷺ الحكيمة:

* واتضحت من تلك الخطة براعة النبي ﷺ في القيادة العسكرية كما اتضح ذلك في غزوة بدر؛ ففي صباح يوم السبت السابع من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة نزل النبي ﷺ بالجيش النبوي بعد المشركين لأرض معركة أحد، وبرغم نزوله بعدهم أظهر كفاءة ليس لها نظير في حسن تنظيم الصفوف ووضع خطة الدفاع، واختيار كل باسل قد تعَوَّدَ الإقدام حيث تزل الأقدام فعوَّض النقص في عدد الجيش بكل ليث حاذر وشجاع ثائر وحسام باتر ليحجلوا بدماء أعاديهم خيولهم، ويجعلوا هامات المشركين قلانس رماحهم؛ فآحادهم نفر وأفرادهم زمر، يصيبون الثغر من بعيد ويدخلون بين زبر الحديد، كما جعل الجبل درعًا يحمي ظهور المسلمين، وجعل الأعداء في موضع منخفض ليصعب عليهم الهروب من المسلمين أو أخذ أي شيء

من الغنائم، وعَيَّن لمعسكره موضعا مرتفعا لتأمينه وحمايته وإلحاق الخسائر بالمشركين إن اقتربوا منه، وأخذ - فداه الروح والنفس- بجميع الأسباب الظاهرة والباطنة التي تتضح منها عبقريته ﷺ وحكمته في القيادة وتعبئة الجيش الإسلامي.

رهبة الكفار ومحاولاتهم لإيقاع الفرقة بين المسلمين:

* مع كثرة عدد المشركين وعدتهم كشفت محاولاتهم لإيقاع الشقاق والفرقة في صفوف المسلمين عن رعبهم وخوفهم من المسلمين، فقد أرسل أبو سفيان إلى الأنصار ليسلِّموا له النبي ﷺ وقالوا: "خلوا بيننا وبين ابن عمنا فننصرف عنكم فلا حاجة لنا إلى قتالكم" فأسمعوه ما يكره بإيمان وثبات زادهم غيظا ورعبا، كما قد أرسلوا أبا عامر الفاسق رأس الأوس في الجاهلية وكان قد عادى النبي ﷺ جهرا، وخرج من المدينة كارها للإسلام وذهب لتحريض قريش على النبي ﷺ، ولما بلغ قومه في أرض المعركة ليحرضهم بأمر أبي سفيان نهروه فقال: "لقد أصاب قومي بعد شر"، ثم قاتلهم قتالا شديدا، بعد أن فشلت خطط التفريق بين المسلمين.

ارتداء النبي ﷺ لدرعين وتسليمه اللواء وإجازته للشباب المستطيع للقتال:

* **عن معاذ بن جبل** رضي الله عنه: "أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ظاهَر يومَ أُحُدٍ بين دِرْعَينِ"(١).

* **وقال ابن القيم رحمه الله:** "فظاهر رسول الله ﷺ بين درعين يومئذ، وأعطى اللواء مصعب بن عمير، وجعل على إحدى المجنبتين الزبير بن العوام، وعلى الأخرى المنذر بن عمرو، واستعرض الشباب يومئذ فرد من استصغره عن القتال، وكان منهم عبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، وأسيد بن ظهير، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، وعرابة بن أوس، وعمرو بن حزم، وأجاز من رآه مطيقا، وكان منهم سمرة بن جندب، ورافع بن خديج، ولهما خمس عشرة سنة . فقيل: أجاز من أجاز لبلوغه بالسن خمس عشرة سنة، ورد من رد لصغره عن سن البلوغ، وقالت طائفة: إنما أجاز من أجاز لإطاقته، ورد من رد لعدم إطاقته، ولا تأثير للبلوغ وعدمه في ذلك (٢).

---

(١) مجمع الزوائد: (٦ / ١١١)، حديث رجاله رجال الصحيح.

(٢) زاد المعاد: (ج٣/ ص١٧٥).

اندلاع المعركة:

* نهض المشركون ومَن جمعوا مِن فراش النار وفجرة الكفار، وخشاش البوار وأوباش الأمصار، فدارت رحى المعركة وتلاقى الجيشان وأفضى الخبر إلى العيان، ودنا العنان من العنان، واتَّقَدت جمرة الرماة والطُّعَان، وبرقت الأبصار بلمعان الدروع برهبة تكتم الأنفاس وحمي وطيس المراس، وقتل المسلمون عددا من المشركين منهم طلحة بن أبي طلحة قائد بني عبد الدار حملة لواء المشركين، وكشفت الحرب عن ساقها واشتد جُلُّ نطاقها، فدارت كأس الموت دهاقا لصالح المسلمين في بادئ الأمر اتفاقا، وشافهت السيوف المناحر وبلغت قلوب المشركين الحناجر.

القضاء على حملة لواء المشركين:

* وقد حمل طلحة بن أبي طلحة أخوه أبو شيبة عثمان بن أبي طلحة ثم تقدم للقتال فأجهز عليه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وضربه على عاتقه ضربة بترت يده مع كتفه حتى وصلت إلى سرته وبانت رئته، ثم حمل اللواء أبو سعد بن أبي

طلحة، فرماه سعد بن أبي وقاص بسهم أصاب حنجرته فخرج لسانه ومات، وقالوا بل خرج سعد يدعو للمبارزة فتقدم إليه علي بن أبي طالب وقتله عليٌّ رضي الله عنه ، ورفع بعد ذلك اللواء مُسَافع بن طلحة بن أبي طلحة فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح بسهم فقُتِل لحينه، ثم حمل بعد ذلك اللواءَ أخوه كِلَاب بن طلحة بن أبي طلحة فقاتله الزبير رضي الله عنه حتى قتله، ثم حمل اللواء الجُلَاس بن طلحة بن أبي طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله وقالوا رماه عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح بسهم فقتله، ومقتل هؤلاء الستة الذين حملوا لواء المشركين كان بعد اتفاقهم مع أبي سفيان وكان صمودهم باللواء خوفا من العار حيث قال لهم أبو سفيان قبل بدء المعركة مُحَرِّضًا على القتال: "يا بني عبد الدار، إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر، فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زالوا، فإما أن تكفونا لواءنا، وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه، فهموا به وتواعدوه، وقالوا: نحن نسلم إليك لواءنا، ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع وذلك أراد أبو سفيان".

* وحمل اللواء بعد هؤلاء الستة أرطاة بن شُرَحْبيل وتم قتله، وقيل قتله علي بن أبي طالب رَضِوَاللَّهُعَنْهُ ، وقيل قتله حمزة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ ، ثم حمل اللواء شُرَيح بن قارظ فقتله قُزْمَان ثم حمله ولد لشرحبيل بن هاشم فقتله قزمان، ولما مات عشرة من بني عبد الدار ولم يعد منهم أحد لحمل لواء المشركين حمله غلام حبشي اسمه صُؤَاب وقاتل حتى قطعت يداه وظل مدافعا داعما اللواء بصدره وعنقه حتى قُتِل فسقط اللواء ولم يحمله أحد، وهنا ينبغي للمتأمل أن يرى مدى قوة المسلمين وكيف كان قتالهم ونتيجته التي كانت لصالحهم حتى هنا.

مقتل سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رَضِوَاللَّهُعَنْهُ:

* قاتل حمزة بن عبد المطلب رَضِوَاللَّهُعَنْهُ حتى قتل أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ثم مر به سباع بن عبد العزى الغبشاني، وكان يكنى بأبي نيار، فقال له حمزة: هلم إلي يا ابن مقطعة البظور - وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي.

* (قال ابن هشام: شريق بن الأخنس بن شريق). وكانت ختانة بمكة - فلما التقيا ضربه حمزة فقتله.

* قال وحشي، غلام جبير بن مطعم: والله إني لأنظر إلى حمزة يَهُدُّ الناس بسيفه ما يليق به شيئا، مثل الجمل الأَوْرَق إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى، فقال له حمزة: هلم إلي يا ابن مقطعة البظور، فضربه ضربة، فكأن ما أخطأ رأسه، وهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجليه، فأقبل نحوي، فغلب فوقع، وأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذت حربتي، ثم تنحيت إلى العسكر، ولم تكن لي بشيء حاجة غيره.

وصف وحشي لقتله حمزة رضي الله عنه:

* **قال ابن إسحاق:** وحدثني عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال: خرجت أنا وعبيد الله بن عدي بن الخيار، أخو بني نوفل بن عبد مناف، في زمان معاوية بن أبي سفيان،

فأدربنا مع الناس، فلما قفلنا مررنا بحمص – وكان وحشي، مولى جبير بن مطعم، قد سكنها، وأقام بها – فلما قدمناها، قال لي عبيد الله بن عدي: هل لك في أن نأتي وحشيا فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله؟ قال: قلت له: إن شئت. فخرجنا نسأل عنه بحمص، فقال لنا رجل، ونحن نسأل عنه: إنكما ستجدانه بفناء داره، وهو رجل قد غلبت عليه الخمر، فإن تجداه صاحيا تجدا رجلا عربيا، وتجدا عنده بعض ما تريدان، وتصيبا عنده ما شئتما من حديث تسألانه عنه، وإن تجداه وبه بعض ما يكون به، فانصرفا عنه ودعاه، قال: فخرجنا نمشي حتى جئناه، فإذا هو بفناء داره على طنفسة له، فإذا شيخ كبير مثل البغاث.

* **وقال ابن هشام:** (الْبُغَاث ضرب من الطير إلى السواد).

فإذا هو صاح لا بأس به. قال: فلما انتهينا إليه سلمنا عليه، فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عدي، فقال: ابن لعدي بن الخيار أنت؟ قال: نعم؛ قال: أما والله ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية التي أرضعتك بذي طوى، فإني ناولتكها وهي على بعيرها،

فأخذتك بعرضيك، فلمعت لي قدماك حين رفعتك إليها، فوالله ما هو إلا أن وقفت علي فعرفتهما. قال: فجلسنا إليه، فقلنا له: جئناك لتحدثنا عن قتلك حمزة، كيف قتلته ؟ فقال: أما إني سأحدثكما كما حدثت رسول الله ﷺ حين سألني عن ذلك، كنت غلاما لجبير بن مطعم، وكان عمه طعيمة بن عدي قد أصيب يوم بدر؛ فلما سارت قريش إلى أحد، قال لي جبير: إن قتلت حمزة عم محمد بعمي فأنت عتيق قال: فخرجت مع الناس، وكنت رجلا حبشيا أقذف بالحربة قذف الحبشة، قلما أخطئ بها شيئا؛ فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره، حتى رأيته في عرض الناس مثل الجمل الأَوْرَق، يَهُدُّ الناس بسيفه هَدًّا، ما يقوم له شيء، فوالله إني لأتهيأ له، أريده وأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو مني إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى، فلما رآه حمزة قال له: هلم إلي يا ابن مُقَطِّعَة البُظُور. قال: فضربه ضربة كأن ما أخطأ رأسه. قال: وهززت حربتي، حتى إذا رضيت منها، دفعتها عليه، فوقعت في ثُنَّته، حتى خرجت من بين رجليه، وذهب لينوء نحوي، فغلب،

وتركته وإياها حتى مات، ثم أتيته فأخذت حربتي، ثم رجعت إلى العسكر، فقعدت فيه، ولم يكن لي بغيره حاجة، وإنما قتلته لأعتق. فلما قدمت مكة أعتقت، ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله ﷺ مكة هربت إلى الطائف، فمكثت بها، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا تعيت علي المذاهب، فقلت: ألحق بالشأم، أو اليمن، أو ببعض البلاد؛ فوالله إني لفي ذلك من همي، إذ قال لي رجل: ويحك إنه والله ما يقتل أحدا من الناس دخل في دينه، وتشَهَّد شهادة الحق.

إسلام وحشي بين يدي النبي ﷺ:

* وهناك قدم وحشي على النبي ﷺ وأسلم بين يديه وطلب منه النبي ﷺ أن يقص عليه كيف قتل حمزة رضي الله عنه وتألم النبي ﷺ لسماع ما حكاه فطلب منه عدم رؤيته بعد ذلك لئلا يذكره بما حدث؛ فتجنب وحشي ما يؤذي النبي ﷺ، قال ابن إسحاق إكمالا لما حكاه وحشي:

"فلما قال لي ذلك، خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة، فلم يرعه إلا

بي قائما على رأسه أتشهد بشهادة الحق؛ فلما رآني قال: أوحشي؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة قال: فحدثته كما حدثتكما، فلما فرغت من حديثي قال: ويحك غيب عني وجهك، فلا أرينك. قال: فكنت أتنكب رسول الله ﷺ حيث كان لئلا يراني، حتى قبضه الله ﷺ. (١)

ثبات الصحابة رضوان الله عليهم وفداء مصعب بن عمير رضي الله عنه ومقتله:

* لقد قاتل الصحابة رضوان الله عليهم المشركين الذين نقلهم الله بأقدامهم إلى مصارع حمامهم واحتفى بهم الموت يفتح أبوابه بأيدي المسلمين الذين قاتلوهم بثياب الثبات والشجاعة، والمشركون كالمأخوذين بنواصيهم قد ناوشوا بقلوب غمرها الوجل وأيد قد أضعفها الوهل؛ فكانت مهابة الصحابة سيوفا خواطر في صدور المشركين والمخافة رماحا خواطف لنفوسهم، ومن هؤلاء الصحابة البواسل أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن معاذ وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع، وعبد

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: (ج٢ / ص٩)

الله بن جحش وأنس بن النضر، ومصعب بن عمير الذي ظل يقاتل دفاعا عن النبي ﷺ حتى قُتِل في سبيل الله.

قال ابن إسحاق في مقتل مصعب بن عمير:

"وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قتل، وكان الذي قتله ابن قمئة الليثي، وهو يظن أنه رسول الله ﷺ، فرجع إلى قريش فقال: قتلت محمدا. فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله ﷺ اللواء علي بن أبي طالب، وقاتل علي بن أبي طالب ورجال من المسلمين.

* **وقال ابن هشام:** وحدثني مسلمة بن علقمة المازني، قال: لما اشتد القتال يوم أحد، جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار، وأرسل رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب رضوان الله عليه: أن قدم الراية فتقدم علي، فقال: أنا أبو الفصم، ويقال: أبو القصم، فيما قال ابن هشام - فناداه أبو سعد بن أبي طلحة، وهو صاحب لواء المشركين: أن هل لك يا أبا القصم في البراز من حاجة؟ قال: نعم. فبرزا بين الصفين، فاختلفا ضربتين فضربه علي فصرعه، ثم انصرف عنه ولم يجهز عليه؛

فقال له أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ فقال: إنه استقبلني بعورته، فعطفتني عنه الرحم، وعرفت أن الله عز وجل قد قتله. ويقال: إن أبا سعد بن أبي طلحة خرج بين الصفين، فنادى: (أنا قاصم) من يبارز برازا، فلم يخرج إليه أحد. فقال: يا أصحاب محمد، زعمتم أن قتلاكم في الجنة، وأن قتلانا في النار، كذبتم واللاتي لو تعلمون ذلك حقا لخرج إلى بعضكم، فخرج إليه علي بن أبي طالب، فاختلفا ضربتين، فضربه علي فقتله.

* **وقال ابن إسحاق:** قتل أبا سعد بن أبي طلحة سعد بن أبي وقاص".

دور الرماة وإحسانهم وخطؤهم:

* لقد تصدى الرماة الذين اختارهم وعيَّنهم النبي ﷺ على جبل الرماة ببطولة للمشركين ورشقوهم بالنبال حينما هجم المشركون بقيادة خالد بن الوليد وأبي عامر الفاسق ثلاث مرات ليمكروا بجانب جيش المسلمين الأيسر فخيَّب الرماة مساعيهم وأحبطوا خطتهم ضد المسلمين، وكان ذلك في ذات الوقت الذي بدأت فيه قريش بالانسحاب والفرار من أرض المعركة بعدما انكسرت شوكتها وعجزت

عن هزيمة المسلمين ويئست من الانتقام وتحقيق مرادها وأظل المسلمين غمام النصر ورأوا بشاراته لولا أن خَطِئَ الرماة خِطْئًا عظيما أدى إلى إلحاق الخسائر بجيش المسلمين وإلى قلب الأمور، وذلك حينما نسي الرماة نهي النبي ﷺ عن تركهم أماكنهم وأمره المشدد بلزومها حتى يرسل إليهم، وغلبهم حبُّ الدنيا عندما رأوا المسلمين يجمعون غنائم العدو وقال بعض الرماة لبعض: الغنيمة الغنيمة .. ماذا تنتظرون؟ فذكرهم عبد الله بن جبير بأمر النبي ﷺ وقال: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟ (١)

* ولم يستجب له أكثرهم وغادر أربعون رجلا أماكنهم ليشاركوا في جمع الغنائم، ولم يتبق على الجبل ملتزما بأمر النبي ﷺ سوى عبد الله بن جبير ونفر معه، قيل تسعة أو أقل.

---

(١) انظر حديث البراء بن عازب – رضي الله عنه – الذي تم ذكره آنفا عن الرماة، والذي جاء في صفحة مائة وتسعة وتسعين من هذا المجلد.

 **نتيجة تصرف الرماة وخطة خالد بن الوليد:**

* عندما رأى خالد بن الوليد ما فعله الرماة أسرع من خلف الجبل إلى مؤخرة جيش المسلمين وانقض ومَن معه على المسلمين في صيحة أعادت الأمل للمشركين المنهزمين فعادوا بسرعة وانكبوا على قتال المسلمين ورفعت امرأة تُدعى علقمة الحارثية من قريش لواء المشركين والتفوا حوله واجتمعوا مرة أخرى على المسلمين من كل جانب.

* وهنا اختل توازن المسلمين بعد هذه المفاجأة واجتماع المشركين عليهم مرة أخرى؛ فصعد بعضهم إلى الجبل ورجع بعضهم إلى المدينة تاركا أرض المعركة، وثبتت فئة في أرض المعركة تقاتل المشركين بحالٍ يصعب وصفه وتخيله وقد أثقل خطاهم شعور الخذلان من خطأ الرماة وفرار بعض المسلمين في تلك اللحظات الفارقة، ومِن هَوْل ما حدث اختلط المسلمون بالمشركين في لحظة اختلاطا لم يدع مجالا للتمييز بين الفريقين فوقع بعض القتل في المسلمين بعضهم من بعض.

* **فعن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قالت:** "هُزِمَ الْمُشْرِكُونَ يومَ أُحُدٍ هَزِيمَةً تُعْرَفُ فيهم، فَصَرَخَ إبْلِيسُ: أيْ عِبادَ اللهِ أُخْرَاكُمْ، فَرَجَعَتْ أُولَاهُمْ فَاجْتَلَدَتْ هي وأُخْرَاهُمْ، فَنَظَرَ حُذَيْفَةُ بنُ اليَمَانِ فَإِذَا هو بأَبِيهِ، فَقالَ: أبِي أبِي قالَتْ: فَوَاللهِ ما انْحَجَزُوا حتَّى قَتَلُوهُ، فَقالَ حُذَيْفَةُ: غَفَرَ اللهُ لَكُمْ قَالَ عُرْوَةُ: فَوَاللهِ ما زَالَتْ في حُذَيْفَةَ منها بَقِيَّةُ خَيْرٍ حتَّى لَقِيَ اللهَ"(١).

فضيلة الأنصار وثباتهم لحظة يأس بعض المهاجرين ورجوعهم للمدينة:

* **عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:** "أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ أُفْرِدَ يومَ أُحُدٍ في سَبْعَةٍ مِنَ الأنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِن قُرَيْشٍ، قالَ: مَن يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الجَنَّةُ، أَوْ هو رَفِيقِي في الجَنَّةِ؟ فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ، فَقَاتَلَ حتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا، فَقالَ: مَن يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الجَنَّةُ، أَوْ هو رَفِيقِي في الجَنَّةِ؟ فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ، فَقَاتَلَ حتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذلكَ حتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ لِصَاحِبَيْهِ: ما أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا"(٢).

---

(١) صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: ٦٦٦٨ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) صحيح مسلم: (١٧٨٩).

* **وقال عبد الله بن صالح:** حدثني يحيى بن أيوب، عن عمارة بن غزية، عن أبي الزبير مولى حكيم بن حزام، عن جابر قال: انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد، فبقي معه أحد عشر رجلا من الأنصار، وطلحة بن عبيد الله، وهو يصعد في الجبل، فلحقهم المشركون، فقال: ألا أحد لهؤلاء ؟ فقال طلحة: أنا يا رسول الله. قال: كما أنت يا طلحة. فقال رجل من الأنصار: فأنا يا رسول الله. فقاتل عنه، وصعد رسول الله ﷺ ومن معه، ثم قتل الأنصاري فلحقوه فقال: ألا أحد لهؤلاء ؟ فقال طلحة مثل قوله، وقال رسول الله ﷺ مثل قوله، فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فأذن له فقاتل ورسول الله ﷺ وأصحابه يصعدون، ثم قتل فلحقوه، فلم يزل رسول الله ﷺ يقول مثل قوله ويقول طلحة: أنا فيحبسه، ويستأذنه رجل من الأنصار فيأذن له، حتى لم يبق معه إلا طلحة، فغشوهما، فقال النبي ﷺ: من لهؤلاء ؟ فقال طلحة: أنا. فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيبت أنامله، فقال: حس. فقال رسول الله ﷺ: لو قلت بسم الله أو ذكرت اسم الله لرفعتك

الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تلج بك في جو السماء. ثم صعد رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم مجتمعون."(١)

عزم أُبَي بن خلف على قتل النبي ﷺ:

* **وكان أبي بن خلف قال حين افتدي:** والله إن عندي لفرسا أعلفها كل يوم فرق ذرة، ولأقتلن عليها محمدا. فبلغ قوله رسول الله ﷺ فقال: بل أنا أقتله إن شاء الله. فأقبل أُبَي مقنعا في الحديد على فرسه تلك يقول: لا نجوت إن نجا محمد، فحمل على رسول الله ﷺ. قال موسى. قال سعيد بن المسيب: فاعترض له رجال، فأمرهم رسول الله ﷺ فخلوا طريقه، واستقبله مصعب بن عمير يقي رسول الله ﷺ، فقتل مصعبا. وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أبي من فرجة بين سابغة البيضة والدرع، فطعنه فيها بحربته، فوقع أبي عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم.

* **قال سعيد:** فكسر ضلع من أضلاعه، ففي ذلك نزلت:

---

(١) سير أعلام النبلاء: (ج٢٦/ ص٤٠٠).

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] .

* **وقال ابن إسحاق:** ذكر الزهري، قال: كان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة وقول الناس: قتل رسول الله ﷺ ، كعب بن مالك. قال: عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر، فناديت: يا معشر المسلمين. أبشروا، هذا رسول الله ﷺ. فأشار إلي أن أنصت، ومعه جماعة. فلما أسند في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول: يا محمد، لا نجوت إن نجوت . . . الحديث.

* **وقال ابن إسحاق:** حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله، عن أبيه، عن جده، عن الزبير، قال: فرأيت رسول الله ﷺ قد ظاهر بين درعين يومئذ، فلم يستطع أن ينهض إليها، يعني إلى صخرة في الجبل، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض رسول الله ﷺ حتى استوى عليها. فقال رسول الله ﷺ: أوجب طلحة.(١)

---

(١) سير أعلام النبلاء: (ج٢٦/ ص٤٠٧).

* **فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور فقالوا:** ما جزعك؟ إنما هو خدش. فذكر لهم قول رسول الله ﷺ بل أنا أقتل أبيا. ثم قال: والذي نفسي بيده، لو كان هذا الذي بي بأهل المجاز لماتوا أجمعون. فمات قبل أن يقدم مكة.(١)

بسالة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في تلك اللحظات:



* وبين غبار المعركة تألقت بطولات للصحابة رضي الله عنهم، وسيأتي الحديث عن بعضها، لكن لا يفوتنا هنا دور سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في الدفاع عن النبي ﷺ في ذلك الوقت العصيب، وطوال المعركة، فهو من الأبطال المهاجرين القرشيين وأول مَن رمى بسهم في الإسلام ومن أكثر رماة العرب مهارة وبراعة، وقد تجلى ذلك مع بسالته في قتال المشركين، قال رضي الله عنه عن جهاده في تلك اللحظات بالمعركة: "نَثَلَ لي النَّبيُّ ﷺ كِنَانَتَهُ يومَ أُحُدٍ، فَقالَ: ارْمِ، فِدَاكَ أَبِي وأُمِّي"(٢).

* **والكنانة:** هي جعبة السهام.

---

(١) سير أعلام النبلاء: (ج٢٦/ ٤٠٢).

(٢) صحيح البخاري: (٤٠٥٥).

وعن طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "لَمْ يَبْقَ مع النَّبيِّ ﷺ

فِي بَعْضِ تِلْكَ الأَيَّامِ الَّتِي قاتَلَ فِيهِنَّ رَسولُ اللهِ ﷺ، غَيْرُ طَلْحَةَ وسَعْدٍ. عن حَديثِهِما"(١).

وفي بسالة وبطولة طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

* عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: "مَنْ أحبَّ أنْ ينظرَ إلى شهيدٍ يمشي على وجْهِ الأرضِ فلينظرْ إلى طلحةَ بن عبيدِ اللهِ"(٢).

* وعن قيس بن أبي حازم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: "رأيتُ يدَ طلحةَ شَلَّاءَ وَقَى بها رسولَ اللهِ ﷺ يومَ أُحدٍ"(٣).

دفاع أم عمارة عن النبي ﷺ:

* لقد شهدت أم عمارة نسيبة بنت كعب أُحدًا مع زوجها غزية بن عمرو وولديها، وقد خرجت معهم لتسقي الجرحى كما أبلت بلاء حسنا في القتال، وجرحت اثني

(١) صحيح البخاري: (٣٧٢٢).
(٢) الجامع الصغير:(٨٣٠١).
(٣) صحيح ابن ماجه: (١٠٥).

عشر جرحًا، وقالت عنها أم سعيد بنت سعد بن ربيع: دخلت عليها فقلت: حدثيني خبرك يوم أحد، قالت: خرجت أول النهار إلى أحد وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين. فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله، فجعلت أباشر القتال وأذب عن رسول الله بالسيف وأرمي بالقوس حتى خلصت إلي الجراح قالت: فرأيت على عاتقها جرحًا له غور أجوف، فقلت: يا أم عمارة من أصابك هذا؟ قالت: أقبل ابن قميئة وقد ولى الناس عن رسول الله يصيح دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا، فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه فكنت فيهم فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان.

* **قال الواقدي:** "شهدت أحدا، مع زوجها غزية بن عمرو، ومع ولديها، خرجت تسقي، ومعها شن، وقاتلت، وأبلت بلاء حسنا. وجرحت اثني عشر جرحا.

وكان ضمرة بن سعيد المازني يحدث عن جدته، وكانت قد شهدت أحدا، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان.

* وكانت تراها يومئذ تقاتل أشد القتال، وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها، حتى جرحت ثلاثة عشر جرحا؛ وكانت تقول: إني لأنظر إلى ابن قمئة وهو يضربها على عاتقها - وكان أعظم جراحها -، فداوته سنة. ثم نادى منادي رسول الله ﷺ: إلى حمراء الأسد، فشدت عليها ثيابها، فما استطاعت من نزف الدم رضي الله عنها ورحمها.

* **وعن عمارة بن غزية قال:** قالت أم عمارة: رأيتني، وانكشف الناس عن رسول الله ﷺ، فما بقي إلا في نفير ما يتمون عشرة؛ وأنا وابناي وزوجي بين يديه نذب عنه، والناس يمرون به منهزمين، ورآني ولا ترس معي، فرأى رجلا موليا ومعه ترس، فقال: ألق ترسك إلى من يقاتل، فألقاه، فأخذته، فجعلت أترس به عن رسول الله. وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل؛ لو كانوا رجالة مثلنا أصبناهم - إن شاء الله.

* فيقبل رجل على فرس، فيضربني، وترست له، فلم يصنع شيئا، وولى؛ فأضرب عرقوب فرسه، فوقع على ظهره، فجعل النبي ﷺ يصيح: يا ابن أم عمارة، أمك ! أمك ! قالت: فعاونني عليه، حتى أوردته شعوب.

* **وعن عبد الله بن زيد، قال:** جرحت يومئذ جرحا، وجعل الدم لا يرقأ، فقال النبي ﷺ: اعصب جرحك.

* فتقبل أمي إلي، ومعها عصائب في حقوها؛ فربطت جرحي، والنبي ﷺ واقف، فقال: انهض بني، فضارب القوم ! وجعل يقول: من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة!

* فأقبل الذي ضرب ابني، فقال رسول الله: هذا ضارب ابنك. قالت: فأعترض له، فأضرب ساقه، فبرك، فرأيت رسول الله ﷺ يبتسم، حتى رأيت نواجذه، وقال: استقدت يا أم عمارة !.

* ثم أقبلنا نعله بالسلاح، حتى أتينا على نفسه، فقال النبي ﷺ : الحمد لله الذي ظفرك.

*** وعن الحارث بن عبد الله:** سمعت عبد الله بن زيد بن عاصم يقول: شهدت أحدا، فلما تفرقوا عن رسول الله ﷺ، دنوت منه أنا وأمي، نذب عنه، فقال: ابن أم عمارة ؟ قلت: نعم. قال: ارم، فرميت بين يديه رجلا بحجر - وهو على فرس - فأصبت عين الفرس، فاضطرب الفرس، فوقع هو وصاحبه؛ وجعلت أعلوه بالحجارة، والنبي ﷺ يبتسم. ونظر إلى جرح أمي على عاتقها، فقال: أمك أمك ! اعصب جرحها. اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة. قلت: ما أبالي ما أصابني من الدنيا"(١).

*** وعن نسيبة بنت كعب ؓ أنها قالت:** "غَزَوْتُ مع رَسولِ اللهِ ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ، أَخْلُفُهُمْ في رِحَالِهِمْ، فأصْنَعُ لهمُ الطَّعَامَ، وَأُدَاوِي الجَرْحَى، وَأَقُومُ علَى المَرْضَى"(٢).

(١) سير أعلام النبلاء: (ج٢ / ٢٧٨، ٢٨١)

(٢) صحيح مسلم: (١٨١٢).

 **جرح النبي ﷺ فداه النفس والروح:**

* لا أدري كيف أسطر هذا الموقف وجرح النبي ﷺ قد غصَّت به حلوق الأكوان، وجُرِحَ لجرحه صدر الأماكن والأزمان، وشكت لشكايته الأرض والسماء، وأنَّت لأنينه في أُحُد الأنحاء؛ فكيف يطيق وصف الحدث هذا الدفتر والقلم، وكيف لا أتألم وأنا أصف ما أَلَمَّ بالحبيب من ألم، تالله وددت لو أن مهجتي كانت فداءً دون قطرة واحدة من دمائه الزاكية وكانت حياتي له درع الكفاية الوافية، ولو أن روحي بإذن ربي حينها أحاطته بكف السلامة والعافية، لكنه قضاء ربي لحبيبه ﷺ والذي كان لحكمةٍ عَلِيَّة لتربية الأمة المحمدية على الصبر والجلد بالوقائع العملية في المسيرة النبوية، وأترك وصف ذلك الجرح الذي يشق روحي ذكرُه، ويشق على نفسي وصفُه للأثر والحديث الَّذَين ورد بهما.

* **قال ابن إسحاق:** وانكشف المسلمون، فأصاب فيهم العدو، وكان يوم بلاء وتمحيص، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة، حتى خلص العدو إلى

رسول الله ﷺ. فدث بالحجارة حتى وقع لشقه، فأصيبت رباعيته، وشج في وجهه، وكلمت شفته، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص.

* **وقال ابن إسحاق:** فحدثني حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: كسرت رباعية النبي ﷺ يوم أحد، وشج في وجهه، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم وهو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله عز وجل في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ۝١٢٨﴾ [آل عمران: ١٢٨].

* **وقال ابن هشام:** وذكر ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري: أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ، فكسر رباعيته اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجه في جبهته، وأن ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر وجنته، ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون،

وهم لا يعلمون، فأخذ علي بن أبي طالب بيد رسول الله ﷺ، ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما، ومصَّ مالك بن سنان، أبو أبي سعيد الخدري الدمَ: عن وجه رسول الله ﷺ، ثم ازدرده، فقال رسول الله ﷺ من مس دمي دمه لم تصبه النار"(١).

* **وعن أنس بن مالك رضي الله عنه:** "أنَّ النَّبيَّ ﷺ كُسِرَت رَباعيتُهُ يومَ أحدُ، وشُجَّ حتَّى سالَ الدَّمُ على وجهِهِ، فقالَ: كيفَ يُفلحُ قومٌ فعلوا هذا بنبيِّهم، وَهوَ يدعوهم إلى ربِّهم، عزَّ وجلَّ فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ (٢).

* **وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:** "اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ علَى قَوْمٍ فَعَلُوا بنَبِيِّهِ، يُشِيرُ إلى رَباعِيَتِهِ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ علَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسولُ اللهِ في سَبيلِ اللهِ"(٣).

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: (ج٢ / ص ١٤)

(٢) معجم الشيوخ: (١/ ٢٩٧)، وأخرجه مسلم (١٧٩١) باختلاف يسير.

(٣) أخرجه البخاري: (٤٠٣٧)، ومسلم: (١٧٩٣).

*** وعن سهل بن سعد الساعدي ﵁ قال:** "شهِدتُ النَّبيَّ ﷺ حينَ كُسرت رباعيتُه، وجُرِحَ وجهُه، وَهُشِّمتِ البَيضةُ علَى رأسَه، وإنِّي لأعرفُ مَن يغسلُ الدَّمَ عن وجهِه، ومَن ينقلُ علَيهِ الماءَ، وماذا جعلَ علَى جُرحِه حتَّى رقأَ الدَّمُ، كانت فاطمةُ بنتُ محمَّدٍ رسولِ اللهِ ﷺ تغسلُ الدَّمَ عن وجهِه، وعليٌّ ﵁ ينقلُ الماءَ إليها في مَجنَّةٍ، فلمَّا غسلتِ الدَّمَ عن وجهِ أبيها أحرقَت حصيرًا، حتَّى إذا صارت رمادًا أخذت منَ ذلِك الرَّمادِ فوضعتهُ علَى وجهِه حتَّى رقأَ الدَّمُ، ثمَّ قال: يومئذٍ اشتدَّ غضبُ اللهِ علَى قومٍ كَلَمُوا وجهَ رسولِ اللهِ ﷺ، ثمَّ مَكثَ ساعةً، ثمَّ قال: اللَّهمَّ اغفر لقومي فإنَّهم لا يعلمونَ"(١).

وأسرع الصحابة رضوان الله عليهم من صفوفهم، وفي مقدمتهم الصديق ﵁ واجتمع عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، وأبو دجانة ونُسَيبة بنت كعب وسهل بن حنيف، وقتادة ابن النعمان وحاطب بن أبي بلتعة ومالك بن سنان، وغيرهم من الصحابة الكرام ﵃ جميعا، وأحاطوا حينها بالنبي ﷺ خوفا عليها

(١) السلسلة الصحيحة: (٧/ ٥٣٢).

من هجمات المشركين، ومنهم أبو طلحة الذي كان يفني نفسه في وقاية النبي ﷺ، واتضح ذلك من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه حيث قال: "لَمَّا كانَ يَومَ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النبيِّ ﷺ، وأَبُو طَلْحَةَ بيْنَ يَدَيِ النبيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ عليه بحَجَفَةٍ له، وكانَ أبو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ، كَسَرَ يَومَئذٍ قَوْسَيْنِ أوْ ثَلَاثًا، وكانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ معهُ بجَعْبَةٍ مِنَ النَّبْلِ، فيَقولُ: انْثُرْهَا لأبِي طَلْحَةَ قالَ: ويُشْرِفُ النبيُّ ﷺ يَنْظُرُ إلى القَوْمِ، فيَقولُ أبو طَلْحَةَ: بأَبِي أنْتَ وأُمِّي، لا تُشْرِفْ، يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِن سِهَامِ القَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ"(١).

مقتل عتبة بن أبي وقاص الذي أجرم بكسر الرباعية النبوية الشريفة:

حرص سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فداءً للنبي ﷺ وثأرًا له أن يقتل أخاه الكافر الذي كسر رباعية النبي ﷺ، وهنا تظهر مكانة الدين في القلب وإعادته لترتيب حياة ومشاعر المؤمنين، وكيف يكون الله تعالى ورسوله ﷺ أحب للمؤمن من نفسه وأهله، وكيف يوالي أولياء الله ويعادي أعداءه مهما كانوا؛ فقد حاول سعد رضي الله عنه

(١) أخرجه البخاري: (٤٠٦٤)، ومسلم: (١٨١١).

قتل ذلك الكافر لكنه لم يظفر به، وكتب الله لحاطب بن أبي بلتعة ﵁ أن يقتل عتبة.

* **فعن صفوان بن سليم، عن أنس، سمع حاطبا يقول:** "إنه اطلع على النبي ﷺ بأحد، قال: وفي يد علي الترس، والنبي ﷺ يغسل وجهه من الماء، فقال حاطب: من فعل هذا ؟ قال: عتبة بن أبي وقاص، هشم وجهي، ودق رباعيتي بحجر ! فقلت: إني سمعت صائحا على الجبل: قتل محمد ! فأتيت إليك - وكأن قد ذهبت روحي - فأين توجه عتبة ؟ فأشار إلى حيث توجه، فمضيت حتى ظفرت به، فضربته بالسيف، فطرحت رأسه ! فنزلت فأخذت رأسه وسلبه وفرسه، وجئت به إلى النبي ﷺ ، فسلم ذلك إلي، ودعا لي، فقال: رضي الله عنك ! مرتين.(١)

* **وقال ابن إسحاق:** فحدثني صالح بن كيسان عمن حدثه عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يقول: والله ما حرصت على قتل رجل قط كحرصي حرصت على

(١) سير أعلام النبلاء: (ج٢ / ص٤٣).

قتل عتبة بن أبي وقاص. وإن كان ما علمت لسيء الخلق مبغضـًا فيه قومه، ولقد كفاني منه قول رسول الله ﷺ: اشتد غضب الله علي من دمَّى وجه رسوله.

❋ وأفدي جرحه ﷺ، وأقول:

فِـدَاكَ نَفْسِـي أَبَـا الزَّهْـرَاءِ يَـا أَنْـوَرْ ❋ وَالرُّوحُ تَفْدِي وَأَنْتَ الرُّوحُ بَلْ أَكْثَرْ

يَـا حُــبَّ ذِي مُهَـجٍ بِـالنُّورِ كَلَّلَهَـا ❋ لَمَّـا أَحَبَّـكَ يَـا ذَا النُّـورِ يَـا أَزْهَـرْ

أَلَسْتَ مَنْ رَقَّ ثَوْبُ الشِّرْكِ فِي يَدِهِ ❋ وَالْكَونَ أَلْبَسْتَهُ ثَوْبَ التُّقَى الْأَخْضَرْ

وَأَنْــتَ أَزْكَــى عِبَــادِ اللهِ كُلِّهِــمُ ❋ وَأَنْتَ لِلْخَلْقِ عَيْنُ الْخَلْقِ إِنْ يُبْصِرْ

وَالْحُسْنُ أَنْتَ وَأَنْتَ الْخَاتَمُ الْأَطْهَرْ ❋ وَالْبَدْرُ أَنْـتَ وَأَنْـتَ الْمِسْكُ وَالْعَنْبَرْ

وَالطِّبُّ أَنْتَ وَمِنْكَ الطِّيبُ يَغْمُرُنَا ❋ وَالشَّهْدُ أَنْـتَ وَأَنْـتَ الزَّهْـرُ وَالسُّكَّرْ

مُحَمَّــدٌ بِالْهُــدَى شَــمْسٌ مُخَلَّـدَةٌ ❋ وَكَـانَ مَوْلِـدُهُ الْإِصْـبَاحَ مُـذْ أَسْـفَرْ

بَاحَـتْ بِسِـرِّ ضِـيَاءِ الْكَـوْنِ سِيرَتُهُ ❋ لِلْكُفْـرِ مِـنْ هَـرَمٍ أَكْفَانَـهُ حَضَّـرْ

تَعْلُــو مُحَيَّــاهُ جَنَّــاتٌ مُصَــوَّرَةٌ ❋ وَالْفَضْـلُ وَالْجُـودُ فِـي أَفْعَالِـهِ صُـوِّرْ

مَعَــادِنُ النَّــاسِ أَنْــوَاعٌ وَمَعْدِنُــهُ ❋ بَـاهَى بِـهِ التِّبْـرُ وَالْأَلْمَـاسُ وَالْجَـوْهَرْ

وَرُبَّ مَـدْحٍ بِـهِ تَسْـرِي مَحَبَّتُـهُ ❊ كَمَـا سَرَى لِلْـوَرَى مِـنْ هَدْيِـهِ كَـوْثَرْ

صَـلَّى عَلَيْـهِ الْكَـرِيمُ الْبَـرُّ تَكْرِمَـةً ❊ مَـا قِيـلَ فِـي صَـلَوَاتٍ أَنَّـهُ أَكْبَـرْ

إشاعة قتل النبي ﷺ:

❊ لقد قاتل مصعب بن عمير دون النبي ﷺ حتى قُتل مصعب على يد ابن قميئة الليثي، والذي ظنّ أن مصعبا هو النبي ﷺ فرجع إلى قريش وقال: قتلت محمّدًا، وشاع مقتل النبي ﷺ ، ولكن رأى كعب بن مالك النبي ﷺ وعرفه من عينه فبَشَّر المسلمين أن النبي ﷺ بينهم، وقد كان خبر مقتل النبي ﷺ قاسيا على الصحابة رضوان الله عليهم، واختلفت ردود أفعالهم إثره ما بين حزن شديد وإحباط، وبين إكمالٍ لما بدأه ﷺ ، وإصرار على الجهاد بعزم وثبات.

❊ **قال ابن إسحاق:** "وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قتل، قتله ابن قميئة الليثي، وهو يظنه رسول الله ﷺ . فرجع إلى قريش فقال: قتلت محمدا.

ولما قتل مصعب أعطى رسول الله ﷺ اللواء علي بن أبي طالب ورجالا من المسلمين"(١).

* وكان قد مَرَّ بالذين توقفوا عن القتال أنس بن النضر رضي الله عنه ، فقال: ما تنتظرون؟ فقالوا: قتل رسول الله ﷺ، ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء (قصد المسلمين) وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء: (قصد المشركين)، ثم لقيه سعد بن معاذ رضي الله عنه وحدثه بما ورد في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، حيث قال: "قال عمِّي أنسُ بنُ النَّضرِ سُمِّيتُ بِهِ لم يشهد بدرًا معَ رسولِ اللهِ ﷺ فكبرَ عليهِ فقال أوَّلُ مشهدٍ قد شَهدَه رسولُ اللهِ ﷺ غبتُ عنهُ أما واللهِ لئن أراني اللهُ مشهدًا معَ رسولِ اللهِ ﷺ ليرينَّ اللهُ ما أصنعُ قال فَهابَ أن يقولَ غيرَها فشَهِدَ معَ رسولِ اللهِ ﷺ يومَ أُحُدٍ منَ العامِ القابلِ فاستقبَلَه سعدُ بنُ معاذٍ فقال يا أبا عمرٍو أينَ قال واهًا لريحِ الجنَّةِ أجدُها دونَ أحدٍ فقاتلَ حتَّى قُتِلَ فوجدَ في جسدِه بضعٌ

(١) سير أعلام النبلاء: (ج٢٦/ ص٤٠٧).

وثمانونَ من بينِ ضربةٍ وطعنةٍ ورميةٍ فقالت عمَّتي الرُّبيِّعُ بنتُ النَّضرِ فما عَرفتُ أخي إلَّا ببنانِه ونزلت هذِه الآيةَ ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ "(١).

مواقف خالدة للصحابة رضوان الله عليهم يوم أحد وقصص استشهاد بعضهم



طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه:

* **عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال:** "لمَّا كانَ يومُ أُحُدٍ وولَّى النـاسُ كـانَ رسـولُ اللهِ ﷺ في ناحيةٍ في اثنَي عشرَ رجلًا من الأنصارِ، وفيهِم طلحـةُ بـنُ عبيـدِ اللهِ، فـأدركَهم المشركونَ، فالتفتَ رسولُ اللهِ ﷺ وقالَ: مَن للقومِ؟ فقالَ طلحـةُ: أنَـا. قـالَ رسـولُ اللهِ ﷺ: كمَا أنتَ. فقالَ رجـلٌ مِـنَ الأنصـارِ: أنَـا يـا رسـولَ اللهِ، فقـالَ: أنـتَ، فقاتـلَ

(١) عارضة الأحوذي: (٦/ ٢٨٦)، وأخرجه الترمذي (٣٢٠٠) واللفظ له، وأخرجه البخاري (٢٨٠٥).

حتى قُتلَ، ثمَّ التفتَ فإذا المشركونَ، فقالَ: مَن للقومِ ؟ فقالَ طلحةُ: أنا، قالَ: كما أنتَ، فقال رجلٌ مِن الأنصارِ: أنَا، فقال: أنتَ، فقاتلَ حتَّى قُتلَ، ثمَّ لمْ يزلْ يقولُ ذلكَ ويخرجُ إليهِم رجلٌ مِن الأنصارِ، فيُقاتِلُ قتالَ مَن قبلَه حتَّى يُقتَلَ، حتَّى بَقِيَ رسولُ اللهِ ﷺ وطلحةُ بنُ عبيدِ اللهِ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: مَن للقومِ ؟ فقالَ طلحةُ: أنَا، فقاتلَ طلحةُ قِتالَ الأحدَ عشَرَ حتَّى ضُرِبَت يدُه فقُطعَت أصابعُه فقال: حَسِّ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ لو قلتَ بسمِ اللهِ لطارَت بكَ الملائكةُ والناسُ ينظرونَ إليكَ، ثمَّ ردَّ اللهُ المشركينَ"(١).

أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه:

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال: "لَمَّا كانَ يومَ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النبيِّ ﷺ، وأَبُو طَلْحَةَ بيْنَ يَدَيِ النبيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ عليه بحَجَفَةٍ له، وكانَ أبو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ، كَسَرَ يومَئذٍ قَوْسَيْنِ أوْ ثَلَاثًا، وكانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ معهُ بجَعْبَةٍ مِنَ النَّبْلِ، فيَقولُ: انْثُرْهَا لأبِي طَلْحَةَ قالَ: ويُشْرِفُ النبيُّ ﷺ يَنْظُرُ إلى القَوْمِ، فيَقولُ أبو طَلْحَةَ: بأَبِي أنْتَ وأُمِّي، لا تُشْرِفْ، يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِن سِهَامِ القَوْمِ، نَحْرِي دُونَ

(١) السلسلة الصحيحة: (٦/ ٧٠٠)، وأخرجه النسائي: (٣١٤٩) واللفظ له، والطبراني في المعجم الأوسط: (٨٧٠٤) بنحوه

نَحْرِكَ، ولقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بنْتَ أبِي بَكْرٍ وأُمَّ سُلَيْمٍ، وإنَّهُما لَمُشَمِّرَتَانِ، أرَى خَدَمَ سُوقِهِما تُنْقِزَانِ القِرَبَ علَى مُتُونِهِما تُفْرِغَانِهِ في أفْوَاهِ القَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلَآنِهَا، ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهِ في أفْوَاهِ القَوْمِ، ولقَدْ وقَعَ السَّيْفُ مِن يَدَيْ أبِي طَلْحَةَ إمَّا مَرَّتَيْنِ وإمَّا ثَلَاثًا"(١).

استشهاد أنس بن النضر رضي الله عنه:

* **عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:** "غَابَ عَمِّي أَنَسُ بنُ النَّضْرِ عن قِتَالِ بَدْرٍ، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، غِبْتُ عن أوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ المُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللهُ أشْهَدَنِي قِتَالَ المُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ ما أصْنَعُ، فَلَمَّا كانَ يَوْمُ أُحُدٍ وانْكَشَفَ المُسْلِمُونَ، قالَ: اللَّهُمَّ إنِّي أعْتَذِرُ إلَيْكَ ممَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ -يَعْنِي أصْحَابَهُ- وأَبْرَأُ إلَيْكَ ممَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ -يَعْنِي المُشْرِكِينَ-، ثُمَّ تَقَدَّمَ، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ، فَقالَ: يا سَعْدُ بنَ مُعَاذٍ، الجَنَّةَ ورَبِّ النَّضْرِ، إنِّي أجِدُ رِيحَهَا مِن دُونِ أُحُدٍ، قالَ سَعْدٌ: فَما اسْتَطَعْتُ يا رَسولَ اللهِ ما صَنَعَ، قالَ أنَسٌ: فَوَجَدْنَا به بِضْعًا وثَمَانِينَ ضَرْبَةً بالسَّيْفِ، أوْ طَعْنَةً برُمْحٍ، أوْ رَمْيَةً

(١) أخرجه البخاري: (٤٠٦٤)، ومسلم: (١٨١١).

بسَهْمٍ، ووَجَدْنَاهُ قدْ قُتِلَ وقدْ مَثَّلَ به المُشْرِكُونَ، فَما عَرَفَهُ أَحَدٌ إلَّا أُخْتُهُ ببَنَانِهِ، قالَ أَنَسٌ: كُنَّا نُرَى -أَوْ نَظُنُّ- أنَّ هذِه الآيَةَ نَزَلَتْ فيه وفي أَشْبَاهِهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، إلى آخِرِ الآيَةِ. وَقالَ: إنَّ أُخْتَهُ -وهي تُسَمَّى الرُّبَيِّعَ- كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ امْرَأَةٍ، فأمَرَ رَسولُ اللهِ ﷺ بالقِصَاصِ، فَقالَ أَنَسٌ: يا رَسولَ اللهِ، والذي بَعَثَكَ بالحَقِّ لا تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا. فَرَضُوا بالأرْشِ، وتَرَكُوا القِصَاصَ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: إنَّ مِن عِبَادِ اللهِ مَن لو أَقْسَمَ علَى اللهِ لَأَبَرَّهُ"(١).

دعاء ويقين واستشهاد عبد الله بن جحش رضي الله عنه:

* عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: "أنَّ عَبدَ اللهِ بنَ جَحشٍ قال يومَ أُحُدٍ: ألَا تأتي نَدعوَ اللهَ تَعالى؟ فخَلَوْا في ناحيةٍ، فدَعا سَعدٌ، فقال: يا ربِّ، إذا لَقينا العَدوَّ غَدًا، فلَقِّني رَجُلًا شَديدًا بَأْسُه، شَديدًا حَرَدُه، أُقاتِلُه ويُقاتِلُني، ثُمَّ ارزُقْني الظَّفَرَ عليه حتى أقتُلَه، وآخُذَ سَلَبَه، فأمَّنَ عَبدُ اللهِ، ثُمَّ قال: اللَّهُمَّ ارزُقْني غَدًا رَجُلًا شَديدًا

(١) صحيح البخاري: (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣).

بَأْسُه، شَديدًا حَرَدُه، فأُقاتِلُه ويُقاتِلُني، ثُمَّ يَأخُذُني فيَجدَعُ أنفي وأُذُني، فإذا لَقيتُكَ غَدًا، قُلتَ لي: يا عَبدَ اللهِ، فيمَ جُدِعَ أنفُكَ وأُذُناكَ؟! فأقولُ: فيك وفي رسولِكَ. فتقولُ: صدَقتَ. قال سَعدٌ: كانتْ دَعوَتُه خيرًا مِن دَعوَتي، فلقد رأيْتُه آخِرَ النَّهارِ، وإنَّ أنفَه وأُذُنَه لمُعلَّقٌ في خَيطٍ!"(١).

* **وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال:** "رَأَيْتُ عن يَمِينِ رَسولِ اللهِ ﷺ وَعَنْ شِمَالِهِ يومَ أُحُدٍ رَجُلَيْنِ عليهما ثِيَابُ بَيَاضٍ، ما رَأَيْتُهُما قَبْلُ وَلَا بَعْدُ، يَعْنِي جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عليهما السَّلَامُ"(٢).

استشهاد عمرو بن الجموح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

* كان لعمرٍو بن الجموح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أربعة أبناء في الغزو مع النبي ﷺ وعندما توجه إلى أحد وبه عرج شديد في قدمه قال له أبناؤه إن الله جعل لك رخصة ونحن نكفيك وقد وضع الله عنك الجهاد فسأل النبي ﷺ أن يجاهد؛ فقال له النبي ﷺ أما أنت

(١) تخريج سير أعلام النبلاء: (١/ ١١٢).

(٢) صحيح مسلم: (٢٣٠٦).

فقد وضع الله عنك الجهاد، وقال النبي ﷺ لأبنائه: لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة، فقُتِل يوم أحد رضي الله عنه.

* **عن أبي قتادة رضي الله عنه قال:** "أتى عمرُو بنُ الجَمُوحِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فقال: يا رسولَ اللهِ، أرأَيْتَ إن قاتَلْتُ في سبيلِ اللهِ حتى أُقتَلَ، أمشي بِرِجْلي هذه صحيحةً في الجنَّةِ؟! وكانت رِجْلُهُ عَرْجاءَ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: نَعم، فقُتِلوا يومَ أُحُدٍ هو وابنُ أخيه ومولًى لهم، فمَرَّ عليه رسولُ اللهِ ﷺ، فقال: كأنِّي أنظُرُ إليك تمشي بِرِجْلِك هذه صحيحةً في الجنَّةِ، فأمَرَ رسولُ اللهِ ﷺ بهما وبمولاهما، فجُعِلوا في قبرٍ واحدٍ"(١).

استشهاد عبد الله بن حَرَام والد جابر بن عبد الله رضي الله عنهما:

* **عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:** "لَمَّا حَضرَ أُحُدٌ دَعَانِي أبِي مِنَ اللَّيْلِ، فَقالَ: ما أُرَانِي إلَّا مَقْتُولًا في أوَّلِ مَن يُقْتَلُ مِن أصْحَابِ النبيِّ ﷺ، وإنِّي لا أتْرُكُ بَعْدِي أعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ، غيرَ نَفْسِ رَسولِ اللهِ ﷺ، فإنَّ عَلَيَّ دَيْنًا فاقْضِ، واسْتَوْصِ بأَخَوَاتِك

(١) تخريج زاد المعاد: (٣/ ١٩٣).

خَيْرًا، فأصْبَحْنَا، فَكانَ أوَّلَ قَتِيلٍ ودُفِنَ معهُ آخَرُ في قَبْرٍ، ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي أنْ أتْرُكَهُ مع الآخَرِ، فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أشْهُرٍ، فَإِذَا هو كَيَومِ وضَعْتُهُ هُنَيَّةً غيرَ أُذُنِهِ."(١).

* **وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال أيضا:** "أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لقيَه فقال يا جابرُ ما لي أراكَ منكسِرًا قلتُ يا رسولَ اللهِ استُشهِدَ أبي وترَك عليهِ دينًا وعيالًا فقال ألا أبشِّرُك بما لقيَ اللهُ بهِ أباكَ إنَّ اللهَ لم يُكلِّم أحدًا من خلقِه قطُّ إلَّا من وراءِ حجابٍ وإنَّ اللهَ أحيا أباكَ فكلَّمَه كفاحًا وقالَ يا عبدي تمنَّ عليَّ ما شئتَ أعطيكَ قال تردَّني إلى الدُّنيا فأقتلُ فيكَ فقال تبارَك وتعالى لا إنِّي أقسمتُ بيمينٍ أنَّهم إليها لا يُرجَعونَ يعني الدُّنيا"(٢).

* **وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال أيضا في موت أبيه:** "لَمَّا قُتِلَ أبِي جَعَلْتُ أبْكِي، وأَكْشِفُ الثَّوْبَ عن وجْهِهِ، فَجَعَلَ أصْحَابُ النبيِّ ﷺ يَنْهَوْنِي والنبيُّ ﷺ لَمْ يَنْهَ،

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥١).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠١٠)، وابن ماجه (١٩٠).

وقَالَ النبيُّ ﷺ: لا تَبْكِيهِ - أوْ: ما تَبْكِيهِ - ما زَالَتِ المَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بأَجْنِحَتِهَا حتَّى رُفِعَ"(١).

استشهاد اليمان والد حذيفة رضي الله عنهما ، واستشهاد ثابت بن وقش رضي الله عنه:

* **قال ابن إسحاق:** حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد قال: لما خرج رسول الله - ﷺ - إلى أحد رفع حسيل بن جابر وهو (اليمان أبو حذيفة بن اليمان) وثابت بن وقش في الآطام مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران: ما أبا لك ما تنتظر، فوالله لا بقي لواحد منا من عمره إلا ظمء حمار، إنما نحن هامة اليوم أو غدًا، أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله - ﷺ - لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله - ﷺ -؟ فأخذا أسيافهما، ثم خرجا حتى دخلا في الناس لم يُعلم بهما، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما حسيل بن جابر فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه، فقال حذيفة: أبي. فقالوا: والله إن عرفناه، وصدقوا. قال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين.

(١) صحيح البخاري: (٤٠٨٠)، وأخرجه مسلم: (٢٤٧١).

فأراد رسول الله – ﷺ – أن يديه فتصدق حذيفة بديته على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله – ﷺ – خيرًا"(١).

حنظلة غسيل الملائكة رضي الله عنه:

* ومن بين الصحابة الأطهار الذين أبْلَوا بلاء حسنًا حتى نالوا الشهادة هو حنظلة بن أبي عامر، والذي كان حديث عهد بعُرسه وهَبَّ للجهاد تاركا زوجه، وقاتل المشركين وأوشك على قتل أبي سفيان لولا أن رآه شداد بن الأسود فقتله قبل أن يقتل حنظلةُ رضي الله عنه أبا سفيان، فغَسّلته الملائكة كما أخبر النبي ﷺ .

* **عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال:** "وقد كان النَّاسُ انهزَموا عن رسولِ اللهِ ﷺ حتَّى انتهى بعضُهم إلى دونِ الأعراضِ إلى جَبلٍ بناحيةِ المدينةِ ثمَّ رجَعوا إلى رسولِ اللهِ ﷺ وقد كان حَنْظَلَةُ بنُ أبي عامرٍ التقى هو وأبو سُفيانَ بنُ حَربٍ فلمَّا استعلاه حَنظلةُ رآه شدَّادُ بنُ الأسودِ فعلاه شدَّادٌ بالسَّيفِ حتَّى قتَلَه وقد كاد يقتُلُ أبا سُفيانَ فقال رسولُ اللهِ ﷺ : (إنَّ صاحبَكم حَنْظلةَ تغسِلُه الملائكةُ فسَلُوا صاحبتَه)

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: (ج٢ / ص١٨، ١٩).

فقالت: خرَج وهو جُنُبٌ لَمَّا سمِع الهائعةَ فقال رسولُ اللهِ ﷺ : (فذاك قد غسَلَتْه الملائكةُ)"(١).

ختام المعركة:

* وفي هذه المعركة وبعد قتل سبعين صحابيًّا وجرح كثير من الصحابة رضوان الله عليهم بدأ المشركون في الانصراف، وبدأ النبي - ﷺ - في الانسحاب المنظم بالمسلمين، حتى انتهى بهم إلى شِّعب الجبل الذي كان قد نزل فيه في بداية المعركة، لكن بعض المشركين حاولوا عرقلة انسحاب المسلمين واشتد هجومهم الذي باء بالفشل لثبات أقدام المسلمين حتى آخر لحظة.

* ولقد كان المشركون في ذعر من بدء جولة ثالثة ومن انتصار المسلمين عليهم فيها كما انتصروا في الجولة الأولى؛ ولأن قُوَى المشركين قد خارت من طول المعركة ونظرا لخوفهم أمام ثبات وشجاعة أسود المسلمين قرروا أن يكفوا عن القتال بغير نصر تام، وولوا مدبرين لكن أبا سفيان أبى إلا أن يقف شامتا بجروح

---

(١) خريج صحيح ابن حبان: (٧٠٢٥).

المسلمين متباهيا بالأصنام؛ فمن حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: "فَلَمْ يَبْقَ مع النَّبيِّ ﷺ غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فأَصَابُوا مِنَّا سَبْعِينَ، وكانَ النَّبيُّ ﷺ وأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يومَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ ومِئَةً؛ سَبْعِينَ أَسِيرًا، وسَبْعِينَ قَتِيلًا، فَقالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَفِي القَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَنَهَاهُمُ النَّبيُّ ﷺ أَنْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ قالَ: أَفِي القَوْمِ ابنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قالَ: أَفِي القَوْمِ ابنُ الخَطَّابِ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إلى أَصْحَابِهِ فَقالَ: أَمَّا هَؤُلَاءِ فقَدْ قُتِلُوا، فَما مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ، فَقالَ: كَذَبْتَ واللهِ يا عَدُوَّ اللهِ؛ إنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لَأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ، وقدْ بَقِيَ لكَ ما يَسُوؤُكَ، قالَ: يَوْمٌ بيَومِ بَدْرٍ، والحَرْبُ سِجَالٌ، إنَّكُمْ سَتَجِدُونَ في القَوْمِ مُثْلَةً، لَمْ آمُرْ بهَا، ولَمْ تَسُؤْنِي، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ: أُعْلُ هُبَلْ، أُعْلُ هُبَلْ، قالَ النَّبيُّ ﷺ: أَلَا تُجِيبُوا له؟ قالوا: يا رَسولَ اللهِ، ما نَقُولُ؟ قالَ: قُولوا: اللهُ أَعْلَى وأَجَلُّ، قالَ: إنَّ لَنَا العُزَّى ولَا عُزَّى لَكُمْ. فَقالَ النَّبيُّ ﷺ: أَلَا تُجِيبُوا له؟ قالَ: قالوا: يا رَسولَ اللهِ، ما نَقُولُ؟ قالَ: قُولوا: اللهُ مَوْلَانَا، ولَا مَوْلَى لَكُمْ"(١).

(١) صحيح البخاري: (٣٠٣٩).

* وقال ابن هشام أن أبا سفيان قال بعد ذلك: أنْعَمْتَ فَعَال(١)، يوم بيوم بدر، والحرب سجال.

* **فقال عمر:** لا سَواءَ، قَتلانا في الجنَّةِ وقتلاكُم في النَّارِ.

* **وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال:** "فقالَ لهُ أبو سفْيانَ: هلمَّ إليَّ يا عمرُ. فقالَ رسولُ اللهِ لعمرَ: ائتِه فانظرْ ما شأنُهُ، فجاءَه. فقالَ لهُ أبو سفْيانَ: أنشُدُكَ اللهَ يا عمرَ أقتَلْنا محمَّدًا ؟ فقالَ عمرُ: اللَّهمَّ لا، وإنَّه لَيسمعُ كلامَكَ الآنَ. قالَ: أنتَ عندي أصدَقُ مِن ابنِ قَميئَةَ – وهوَ الَّذي زعمَ أنَّه قتلَ النَّبيَّ – . ثمَّ نادَى أبو سفْيانَ: إنَّه قد كانَ في قتلاكُم مُثلَةٌ، واللهِ ما رضيتُ ولا سخطتُ ما نهَيتُ ولا أمرتُ"(٢).



(١) أي ارتفع.

(٢) فقه السيرة: (٢٥٩).

 **من صور ثبات المسلمين حتى اللحظات الأخيرة في المعركة:**

* إن من المواقف الشاهدة على بسالة المسلمين لآخر لحظة موقف أبي دجانة حيث قال ابن كثير في البداية والنهاية:

"قال كعب بن مالك": وخرج رجل من المشركين نحو المسلمين وهو يقول: استوسقوا (اجْتَمعُوا) كما استوسقت جزر الغنم (مَا يذبح من الشَّاء)، وإذا رجل من المسلمين قائم ينتظره وعليه لَأْمَته، فمضيت حتى كنت من ورائه، ثم قمت أقدّر المسلم والكافر بنظري، فإذا الكافر أفضلهما عدّة وهيئة، قال: فلم أزل أنتظرهما حتى التقيا، فضرب المسلم الكافر على حبل عاتقه ضربة بالسيف، فبلغت وِرْكيه وانفرق فرقتين، ثم كشف المسلم عن وجهه وقال: كيف ترى يا كعب؟، أنا أبو دجانة ".

مواساة رب العزة للمؤمنين:

* وفي تلك اللحظات الأخيرة وفي آخر هجوم للمشركين على المسلمين وعند وقوف أبي سفيان وخالد بن الوليد أعلى الجبل مع بعض المشركين دعا النبي ﷺ

ربه ألا يعلو المشركون عليهم فأنزل الله تعالى على النبي ﷺ آية فيها مواساة عظيمة لهم، وقد بشَّر اللهُ بها نبينا ﷺ والمسلمين أنهم الأعلون لئلا يحزنوا أو يضعفوا.

فقد أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: أقبل خالد بن الوليد يريد أن يعلو عليهم الجبل، فقال النبي ﷺ: «اللهم لا يعلون علينا» فأنزل الله: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩].

* وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن جريج قال: انهزم أصحاب رسول الله ﷺ في الشعب يوم أحد، فسألوا ما فعل النبي ﷺ وما فعل فلان، فنعى بعضهم لبعض، وتحدثوا أن النبي ﷺ قتل، فكانوا في هم وحزن، فبينما هم كذلك علا خالد بن الوليد بخيل المشركين فوقهم على الجبل، وكان على أحد مجنبتي المشركين وهم أسفل من الشعب، فلما رأوا النبي ﷺ فرحوا فقال النبي ﷺ : «اللهم لا قوة لنا إلا بك، وليس أحد يعبدك بهذا البلد غير هؤلاء

النفر، فلا تهلكهم» وثاب نفر من المسلمين رماة، فصعدوا فرموا خيل المشركين حتى هزمهم الله وعلا المسلمون الجبل، فذلك قوله: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾ [آل عمران: ١٣٩].(١)

تمثيل المشركين بقتلى المسلمين:

* وبينما أخذ المشركون بالتجهز للرجوع إلى مكة أخذ بعضهم وبعض نسائهم بالتمثيل بقتلى المسلمين، وراحوا يبقرون البطون، ويقطعون الآذان والأنوف والفروج بكل وحشية وحقد، واتخذت هند بنت عتبة من الأنوف والآذان خدمًا - خلاخيل - وقلائد، كما بقرت كبد سيد الشهداء حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فلاكتها، فلم تستطع أن تسيغها، ولفظتها.

* **وقال ابن إسحاق:** "ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى: إن موعدكم بدر العام القابل. فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: "قل: نعم هو بيننا وبينك موعد".

(١) الدر المنثور للسيوطي: (ج٤ / ص٣٨).

* **وعن أبي الأسود، عن عروة، قال:** "فلما لحق رسول الله ﷺ أصحابه ونظروا إليه، ومعه: طلحة، والزبير، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصمة أخو بني النجار، ظن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم من العدو، فوضع أحدهم سهما على كبد قوسه فأراد أن يرمي، فلما تكلموا وناداهم رسول الله ﷺ، فكأنهم لم يصبهم في أنفسهم ضرر حين أبصروا رسول الله ﷺ وعلموا أنه حي، فبيناهم كذلك عرض لهم الشيطان بفتنته وبوسوسته وتحزينه حين أبصروا عدوهم قد انفرجوا عنهم، يذكرون قتلاهم وإخوانهم، ويسأل بعضهم بعضا عن قتلاهم، واشتد حزنهم، فرد الله المشركين عليهم وغمهم به ليذهب الحزن عنهم، فإذا عدوهم فوق الجبل قد علوا، فنسوا عند ذلك الحزن والهموم على إخوانهم، ثم أنزل على طائفة منهم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم إلى قوله: والله عليم بذات الصدور، فقال رسول الله ﷺ: "اللهم إنه ليس لهم أن يظهروا علينا"، ثم دعا وندب أصحابه، فانتدب معه عصابة فأصعدوا في الشعب حتى كانوا هم

والعدو على السواء، ثم رموا وطاعنوا حتى أهبطوهم، فانكفأ المشركون إلى قتلى المسلمين فمثلوا بهم، يقطعون الآذان والأنوف والفروج، ويبقرون البطون، ويحسبون أنهم قد أصابوا النبي ﷺ وأشراف أصحابه، ثم إنهم اجتمعوا وصافوا مقابلهم وقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر "(١).

رجوع المشركين إلى مكة:

* ولما خبت نار المعركة وانكفأ المشركون بدا قلق المسلمين من توجه المشركين للمدينة وتعديهم على الأموال والذراري والممتلكات بها؛ فأرسل النبي ﷺ علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وقيل أرسل سعد بن وقاص - رضي الله عنه - ليتتبع آثار المشركين ويعرف هل اتجهوا للمدينة أم إلى مكة فاتضح اتجاههم إلى مكة.

* **قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه:** (اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون؟ وماذا يريدون؟ فإن هم جنبوا الخيل وامتطوا الإبل، فإنهم يريدون مكة،

(١) دلائل النبوة للبيهقي: (ج٣/ ص٢٧٢).

وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل، فإنهم يريدون المدينة، فوالذي نفسي بيده، لئن أرادوها لأسيرن إليهم، ثم لأناجزنهم فيها).

* **قال علي:** فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون، فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل، ووجهوا إلى مكة"(١).

أحوال الجرحى ومعرفة القتلى:

* وحان وقت اطمئنان النبي ﷺ والمسلمين على الجرحى بعد انصراف المشركين؛ فعن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه، قال: "بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد لطلب سعد بن الربيع، وقال لي: " إن رأيته فأقرئه مني السلام ، وقل له : يقول لك رسول الله: كيف تجدك ؟ " قال: فجعلت أطوف بين القتلى فأصبته وهو في آخر رمق وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم، فقلت له: يا سعد، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ عليك السلام ، ويقول لك: " خبرني كيف تجدك ؟ " قال: على رسول الله السلام،

(١) زاد المعاد: (ج٣/ ص٢١٧).

وعليك السلام قل له: يا رسول الله، أجدني أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفيكم شفر يطرف، قال: وفاضت نفسه رحمه الله"(١).

* ووجد المسلمون في الجرحى الأُصَيْرِم -عمرو بن ثابت- وبه رمق يسير، وكانوا من قبل يعرضون عليه الإسلام فيأباه، فقالوا: إن هذا الأصيرم ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الأمر، ثم سألوه: ما الذي جاء بك؟ أحربًا على قومك أم رغبة في الإسلام؟

فقال: بل ربغة في الإسلام، آمنت بالله ورسوله وأسلمت ثم أخذت سيفي فغدوت إلى رسول الله ﷺ ثم قاتلت مع رسول الله ﷺ حتى أصابني ما ترون، ومات من وقته، فذكروه لرسول الله ﷺ فقال:"هو من أهل الجنة"(٢).

(١) المستدرك على الصحيحين: (ج٤ / ص٢٠٧)، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه). هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٢) الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد الشيباني: (ج٢٢ / ص٢٠٣).

* ووجدوا مع القتلى اليهودي مُخَيْرِيق وكان من يهود بني ثعلبة وكان يعلم أن نصر النبي ﷺ ودينه هو الحق برغم قتاله مع قومه، فقد ذكر ابن رجب: "أن رجلًا من أحبارِ اليهودِ، يقالُ له : مخيريقُ، خرج يوم أحدٍ يقاتلُ مع النبيِّ ﷺ، وقال : إن أصبت في وجهي هذا فمالي لمحمدٍ يضعُه حيث شاء، فقتل يومئذٍ، فقبض رسولُ اللهِ ﷺ أموالَه، فقيل : إنه فرقها وتصدق بها، وقيل : إنه حبسها ووقفها"(١).

* ووجدوا في الجرحى قُزْمَان، وكان قد قاتل قتال الأبطال، قتل وحده سبعة، أو ثمانية من المشركين، وجدوه قد أثخنته الجراح، فاحتملوه إلى دار بني ظفر، وبشره المسلمون، فقال: والله ما قاتلت إلا عن أحساب قومي، ولولا ذلك ما قاتلت، فلما اشتد به الجراح نحر نفسه، وكان رسول الله ﷺ يقول إذا ذكر له:"إنه من أهل النار(٢).

(١) فتح الباري لابن رجب : (٢ / ٤٨٥).

(٢) المغازي: (ج١ / ص٢٢٤).

تفقد الشهداء ودفنهم وشهادة النبي ﷺ لهم:

* لقد علم النبي ﷺ أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم نقلوا شهداءهم إلى المدينة فأمر ﷺ أن يعيدوهم ليدفنوا في مواضع استشهادهم بثيابهم بعد نزع الحديد والجلود، ودون أن يغسلوا، وسار النبي ﷺ متفقدا الشهداء وشهد لهم كما روى عنه عبدالله بن ثعلبة رضي الله عنه أنه قال: "أنا شَهيدٌ على هؤلاءِ أنَّهُ ما مِن جريحٍ يُجرَحُ في سبيلِ اللهِ إلَّا واللهُ يبعثُهُ يومَ القيامةِ يَدمى جُرحُهُ اللَّونُ لونُ دَمٍ والرِّيحُ ريحُ مِسْكٍ"(١).

* وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: "أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يجمَعُ بينَ الرَّجلينِ مِن قتلَى أُحُدٍ في الثَّوبِ الواحدِ ، ثمَّ يقولُ : أيُّهما أكثرُ حِفظًا للقرآنِ فإذا أُشيرَ لَه إلى أحدِهما قدَّمَهُ في اللَّحدِ فقالَ أنا شَهيدٌ علَى هؤلاءِ يومَ القيامةِ وأمرَ بدفنِهِم في دمائِهِم ولم يُصلِّ علَيهِم ، ولم يُغسَّلوا"(٢).

---

(١) فقه السيرة: (٢٧٠).

(٢) صحيح الترمذي: (١٠٣٦).

لحظة المرور بجثمان حمزة سيد الشهداء رضي الله عنه:

* **عن أنس بن مالك رضي الله عنه:** "أنَّ النبيَّ ﷺ مَرَّ بحمزةَ وقد مُثِّلَ به ولم يُصَلِّ على أَحَدٍ من الشهداءِ غيرِه"(١).

* وكانت تلك اللحظة العصيبة من أشد اللحظات على النبي ﷺ، وروى ابن مسعود قال: "ما رأينا رسول الله ﷺ باكيا قط أشد من بكائه على حمزة بن أبي طالب لما قتل - إلى أن قال: - ووضعه في القبر ثم وقف ﷺ على جنازته وانتحب حتى نَشَعَ من البكاء.(٢)

* **وقال ابن إسحاق:** وخرج رسول الله ﷺ، فيما بلغني، يلتمس حمزة بن عبد المطلب، فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده، ومثل به، فجدع أنفه وأذناه. فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير: أن رسول الله ﷺ قال حين رأى ما رأى: لولا أن تحزن صفية، ويكون سنة من بعدي لتركته، حتى يكون في بطون السباع،

---

(١) أخرجه أبو داود (٣١٣٧) واللفظ له، والحاكم (١٣٥١).

(٢) مختصر سيرة الرسول ﷺ: (ص٢٥٥)، بتصرف يسير.

وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم. فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه على من فعل بعمه ما فعل، قالوا: والله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب.

* **وقال ابن هشام:** ولما وقف رسول الله ﷺ على حمزة قال: لن أصاب بمثلك أبدا ما وقفت موقفا قط أغيظ إلي من هذا ثم قال: جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع: حمزة بن عبد المطلب، أسد الله، وأسد رسوله وكان رسول الله ﷺ وحمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد، إخوة من الرضاعة، أرضعتهم مولاة لأبي لهب.

* **وقال ابن إسحاق:** وحدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي، عن محمد بن كعب القرظي، وحدثني من لا أتهم، عن ابن عباس: أن الله عز وجل أنزل في ذلك، من قول رسول الله ﷺ وقول أصحابه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم

بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧﴾ فعفا رسول الله ﷺ، وصبر ونهى عن المثلة.

لحظة تفقد مصعب بن عمير وحنظلة غسيل الملائكة بين الشهداء:

* وفي تلك اللحظات مر النبي ﷺ والمسلمون بمصعب بن عمير رضي الله عنه وهو بين الشهداء وذُكر تغطيته ببردة صغيرة إذا غطت رأسه انكشفت رجلاه، وإذا غطت رجليه انكشفت رأسه، فعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله فوجب أجرنا على الله ومنا من مضى أو ذهب لم يأكل من أجره شيئا كان منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد لم يترك إلا نمرة كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه وإذا غطي بها رجلاه خرج رأسه فقال لنا النبي ﷺ غطوا بها رأسه واجعلوا على رجله الإذخر أو قال ألقوا على رجله من الإذخر"(١).

(١) صحيح البخاري: (ج٤ / ١٤٨٧).

* وكما سبق ذكره في أخبار استشهاد وبطولات الصحابة رضوان الله عليهم في هذه الغزوة فإن النبي ﷺ والمسلمين مروا بحنظلة رضي الله عنه وكان مع الشهداء، حيث حمل على حنظلة شداد بن الأسود فقتله، وكان جنبا فإنه سمع الصيحة وهو على امرأته، فقام من فوره إلى الجهاد، فأخبر رسول الله ﷺ أصحابه " أن الملائكة تغسله " ثم قال : " سلوا أهله ؟ ما شأنه ؟ " فسألوا امرأته، فأخبرتهم الخبر(١).

شفقة النبي ﷺ على النساء عند رؤية القتلى وحرصه عليهن برغم شدة الموقف:

* عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: "أنَّهُ لمَّا كانَ يَومُ أُحُدٍ أقبَلَتِ امرَأةٌ تَسعى، حتى إذا كادَتْ أنْ تُشرِفَ على القَتلى، قال: فكَرِهَ النَّبيُّ ﷺ أنْ تَراهم. فقال: المَرأةَ، المَرأةَ. قال الزُّبَيرُ: فتوَسَّمتُ أنَّها أُمِّي صَفيَّةُ، قال: فخرَجتُ أسعى إليها، فأدرَكتُها قَبلَ أنْ تَنتَهيَ إلى القَتلى، قال: فلَدَمَتْ في صَدري، وكانتِ امرَأةً جَلدةً، قالتْ: إليكَ، لا أرضَ لكَ. قال: فقلتُ: إنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ عزَمَ عليكِ. قال: فوقَفَتْ،

(١) الحديث في زاد المعاد: (ج٣/ ص١٨٠).

وأخرَجَتْ ثَوبَيْنِ معها، فقالتْ: هـذان ثَوبـانِ جِئتُ بهما لِأخي حَمزةَ، فقد بلَغَني مَقتَلُهُ، فكَفِّنوهُ فيهما. قال: فجِئْنا بالثَّوبَيْنِ لِنُكَفِّنَ فيهما حَمزةَ، فإذا إلى جَنبِهِ رَجُلٌ مِنَ الأنصارِ قَتيلٌ، قد فُعِلَ به كما فُعِلَ بِحَمزةَ، قال: فوجَدْنا غَضاضةً وحَياءً أنْ نُكَفِّنَ حَمزةَ في ثَوبَيْنِ، والأنصاريُّ لا كفَنَ له. فقُلْنا: لِحَمزةَ ثَوبٌ، ولِلأنصاريِّ ثَوبٌ. فقَدَرناهما فكانَ أحَدُهما أكبَرَ مِنَ الآخَرِ، فأقرَعْنا بَينَهما، فكَفَّنَّا كُلَّ واحِدٍ منهما في الثَّوبِ الذي طارَ له"(١).

دعاء النبي ﷺ بعد انتهاء المعركة:

* **عن رفاعة بن رافع** رضي الله عنه: "لما كان يومُ أحدٍ وانكفأ المشركونَ قال رسولُ اللهِ ﷺ استوَوا حتى أُثنِيَ على ربِّي فصاروا حلقةً صفوفًا فقال اللهمَّ لك الحمدُ كلُّه اللهمَّ لا قابضَ لما بسطتَ ولا باسطَ لما قبضتَ ولا هاديَ لما أضللتَ ولا مضلَّ لمن هديتَ ولا معطِيَ لما منعت ولا مانعَ لما أعطيتَ ولا مقربَ لما باعدتَ ولا مبعدَ لما قربت اللهمَّ ابسطْ علينا من بركاتِك ورحمتِك وفضلِك ورزقِك اللهمَّ إني

(١) تخريج المسند لشعيب: (١٤١٨)، وأخرجه أحمد (١٤١٨) واللفظ له، والحارث (٦٨٨).

أسألُك النعيمَ المقيمَ الذي لا يحولُ ولا يزولُ اللهمَّ إني أسألُك النعيمَ يومَ الغلبةِ والأمنَ يومَ الخوفِ اللهمَّ عائذٌ بك من شرِّ ما أعطيتنا وشرِّ ما منعت منا اللهمَّ حبِّبْ إلينا الإيمانَ وزيِّنْه في قلوبِنا وكرِّهْ إلينا الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ واجعلنا من الراشدينَ اللهمَّ توفَّنا مسلمين وأحيِنا مسلمينَ وألحقنا بالصالحينَ غيرَ خزايا ولا مفتونينَ اللهمَّ قاتلِ الكفرةَ الذين يُكذِّبون رسلَك ويصدون عن سبيلِك واجعلْ عليهم رِجزَك وعذابَك اللهمَّ قاتلْ كفرةَ الذين أوتوا الكتابَ إلهَ الخلقِ"(١).

ذكر قتلى المشركين:

* لقد اختُلِف في عدد قتلى المُشركين في غزوة أُحد، فقال بعضُ أهل السِّيَر: إنّ عددَهم اثنان وعشرون قتيلًا، وذكر ابن سعد في طبقاته أنّ عددهم ثلاثةٌ وعشرون قتيلًا، وقال بعضهم إن عددهم عشرون قتيلا، وذكر المباركفوري أنّ عددهم سبعةٌ وثلاثون قتيلًا، وجاء في البداية والنهاية قول موسى بن عقبة: وقتل من المشركين يومئذ ستة عشر رجلا، وقال عروة: تسعة عشر.

(١) مجمع الزوائد: (٦/ ١٢٤).

 **ومن أسماء زعماء المشركين الذين تم قتلهم في غزوة أحد:**

عبد الله بن حُميد بن زُهير بن أسد، وقتله علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وأبو الحكم بن الأخنس، ومن بني زهرة: سباع بن عبد العُزّى، وأربعة من بني مخزوم، هم: الْوَلِيدُ بْنُ الْعَاصِ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وهِشَامُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَأَبُو أُمَيَّةَ بْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَخَالِدُ بْنُ الْأَعْلَمِ، ومن بني عامر بن لؤي: شَيْبَة بْن مَالِكِ بْن الْمُضَرَّب، وكذلك من قتلى المشركين: عُبَيْدَةُ بْنُ جَابِرٍ، وأمية بن أبي حُذيفة، وعُثمان بن عبد الله بن أبي أمية بن المُغيرة، وخالد بن الأعلم العقليّ، وعُبيد بن حاجز من بني عامر بن لؤي. أُبي بن خلف، ومات بعد قتله أبو طلحة، واسمه عبدالله بن عبد العُزّى بن عُثمان بن عبد الدار، قتله علي بن أبي طالب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وأبو سعيد بن أبي طلحة قتله سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وعثمان بن أبي طلحة قتله حمزة بن عبد المُطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وأرطأة بن عبد شرحبيل قتله حمزة بن عبد المطلب، وقيل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، ومُسافع والجُلاس بن طلحة قتلهما عاصم بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وقتل قُزمَان خمسة من بني عبد الدار، هم: كِلاب والحارث بن طلحة، وأبو يزيد بن عُمير بن هاشم بن عبد الدار، وغُلامه صؤاب، والقاسط بن شُريح بن عبد الدار.

عدد قتلى المسلمين (شهداء أحد) رضوان الله عليهم:

* بلغ عدد قتلى المسلمين في غزوة أُحد سبعين شهيدًا، وأكثرهم من الأنصار، وتفصيل هذا العدد: أن عدد الأنصار قد بلغ أربعة وستين، وعدد المهاجرين ستة، وهم حمْزَة بن عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَعَبْد اللهِ بن جَحْشٍ، وَمُصْعَب بن عُمَيْرٍ، وعثمان بن عثمان؛ ويُلقّب بشمّاس بن عُثمان، وَسَعْد بن خَوْلي مَوْلَى حَاطِبِ بنِ أَبِي بَلْتَعَةَ، وَعَمْرو الأَسْلَمِيُّ.

* **وعَنْ قَتَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ:** "ما نَعْلَمُ حَيًّا مِن أَحْيَاءِ العَرَبِ أَكْثَرَ شَهِيدًا أَعَزَّ يَومَ القِيَامَةِ مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ قَتَادَةُ: وحَدَّثَنَا أَنَسُ بنُ مَالِكٍ أَنَّه قُتِلَ منهمْ يَومَ أُحُدٍ سَبْعُونَ، ويَومَ بئْرِ مَعُونَةَ سَبْعُونَ، ويَومَ اليَمَامَةِ سَبْعُونَ"(١).

* **كما قيل:** إنّه قُتل من الأنصار يوم أُحد سبعون رَجُلا، وقيل: خمسةٌ وستون شهيدًا، وقيل: إنّ عدد الشهداء ما بين السبعين والخمسة والسبعين شهيدًا، واتفاق معظم الروايات أن الشهداء كانوا سبعين.

(١) صحيح البخاري: (٤٠٧٨).

رجوع النبي ﷺ والمسلمين للمدينة:

* وبعد دفن الشهداء واجتماع النبي ﷺ مع الصحابة رضوان الله عليهم والدعاء، رجعوا إلى المدينة، ومما ذكر في رجوعه -ﷺ- للمدينة خبر ملاقاته لحمنة بنت جحش رضي الله عنها، وأنه ﷺ نعى لها أخاها عبد الله بن جحش وخالها حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما، ورأى ثباتها عند سماع خبرهما واسترجاعها واستغفارها ثم رأى عدم تحملها نعي زوجها مصعب بن عمير - رضي الله عنه - فقال النبي ﷺ عند رؤية ذلك: (إن زوج المرأة منها لِبمكان) وذلك معناه أن الزوج له مكانة خاصة عند زوجته تفوق مكانة الأهل.

مواساة الأنصار وبكاء نسائهن على حمزة رضي الله عنه:

* سمع النبي ﷺ بكاء نساء الأنصار على قتلاهم عندما مر بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وظفر؛ فذرفت عيناه ﷺ، فبكى، ثم قال: (لكن حمزة لا بواكي له) لشدة تأثره بمقتل سيد الشهداء وما رأى من تمثيل المشركين به؛ فرجع

سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دار بني عبد الأشهل وأمرا نساءهم أن يتحزمن، ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله ﷺ مواساةً له.

❋ **قال ابن إسحاق:** حدثني حكيم بن حكيم عن عباد بن حنيف، عن بعض رجال بني عبد الأشهل، قال: لما سمع رسول الله ﷺ بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب مسجده يبكين عليه، فقال : ارجعن يرحمكن الله فقد آسيتن بأنفسكن، وقال ابن هشام: ونهي يومئذ عن النوح. وقال: وحدثني أبو عبيدة: أن رسول الله ﷺ لما سمع بكاءهن، قال رحم الله الأنصار فإن المواساة منهم ما عتمت لقديمة، مروهن فلينصرفن.

تجلي قدر النبي ﷺ لدى المؤمنين والمؤمنات في موقف المرأة الدينارية:

❋ وهاتيك موقف لامرأة من بني دينار أخبروها بمقتل زوجها وأبيها وأخيها، وما شغلها شيء أكثر من الاطمئنان على النبي ﷺ بل والتأكد من سلامته بالنظر إليه؛ فسجل التاريخ قولها: (كل مصيبة بعدك جَلَل) أي كل مصيبة بعدك صغيرة وهيِّنة

ما دمت بخير يا رسول الله؛ ليبرز هذا الموقف على مدى وكيفية حب المؤمنين والمؤمنات للنبي ﷺ الذي هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

* **وفي ذلك قال ابن إسحاق:** وحدثني عبد الواحد بن أبي عون، عن إسماعيل بن محمد، عن سعد بن أبي وقاص، قال: مر رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نعوا لها، قالت: فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيرا يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه ؟ قال: فأشير لها إليه، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل.

غسل السيدة فاطمة الزهراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا للسيوف:

* وبعد رجوع النبي ﷺ للمدينة ولما انتهى إلى أهله ناول سيفه للسيدة فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وقال لها: اغسلي عن هذا دمه يا بنية، فوالله لقد صدقني اليوم، وسيف النبي ﷺ اسمه ذو الفقار، ثم ناولها كذلك علي بن أبي طالب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - سيفه، وقال

لها: وهذا أيضا، فاغسلي عنه دمه، فوالله لقد صدقني اليوم؛ فقال له النبي ﷺ : (لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف وأبو دجانة)، ويتضح من هذا الموقف تلطف النبي ﷺ مع ابنته السيدة فاطمة رضي الله عنها في الطلب وفي مناداتها، واقتداء سيدنا علي رضي الله عنه بالنبي ﷺ في الفعل والقول مباشرة، وبر ووفاء وامتنان النبي ﷺ لمن صدقوا القتال كصدق علي رضي الله عنه في إشارة لفضل الصحابة جميعا بذكر بعضهم وقصد جميع من أخلصوا وتفانوا في الجهاد في سبيل الله.

غزوة حمراء الأسد

تاريخ وأسباب الغزوة:

* كانت معركة أحد يوم السبت في الخامس عشر من شهر شوال من السنة الثالثة من الهجرة، وفي اليوم الذي تلاه يوم الأحد صبيحة يوم السادس عشر من شهر شوال أمر النبي ﷺ بالخروج في إثر العدو بهدف إبراز قوة المسلمين له وتخويفه، ورد اعتبار المسلمين، ونظرا لأن أبا سفيان كان قد نوى الرجوع لمقاتلة المسلمين وأمر جيش المشركين بذلك، فعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لمَّا انْصَرفَ أبو سُفْيانَ عن أحُدٍ وبَلَغوا الرَّوْحاءَ: قالوا: لا مُحمَّدٌ قَتَلْتُم ولا الكَواعِبُ أَرْدَفْتُم، شَرٌّ ما صَنَعْتُم، فبَلَغَ ذلك رَسولَ اللهِ ﷺ فنَدَبَ النَّاسَ فانْتَدَبوا حتَّى بَلَغوا حَمْراءَ الأَسَدِ أو بِئْرَ أبي عِنَبَةَ، فأنزَلَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُۚ﴾ وقدْ كانَ أبو سُفْيانَ قالَ للنَّبيِّ ﷺ: مَوعِدُك مَوسِمُ بَدْرٍ حيثُ قَتَلْتُم أصْحابَنا، فأمَّا الجَبانُ فرَجَعَ، وأمَّا الشُّجاعُ فأخَذَ أُهْبةَ القِتالِ والتِّجارةِ، فأتَوه

فلم يَجِدوا به أحَدًا، وتَسَوَّقوا، فأَنزَلَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾»(١).

شرط الخروج مع النبي ﷺ لهذه الغزوة:

* وكان النبي ﷺ قد عهد حينها أن لا يخرج معه أحد من صحابته رضوان الله عليهم إلا من حضر معركة أحد تعظيما لشأن مَن حضرها، وليعلم المشركون أن ما حدث في أحد لم يوهن قواهم، فاستأذنه جابر بن عبد الله في أن يفسح له في الخروج معه، ففعل وكان أبوه عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه من شهداء أحد، وكان عدم حضور عبد الله - رضي الله عنه - معركة أحد استجابةً لأمر والده؛ لأنه خلفه على أخواته السبع، فأذن له النبي ﷺ ولم يأذن لأحد غيره ممن لم يشهد معركة أحد.

(١) الأحاديث المختارة: (١٢/ ١٨٦).

خروج النبي ﷺ وتحديد موضع الغزوة، وفترة مكوثه به، والعودة:

* وخرج النبي ﷺ والمسلمون على ما بهم من الجروح والجهد، حتى بلغوا موضعا يُسَمَّى حمراء الأسد على رأس ثمانية أميال من المدينة، وأقاموا به يوم الاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، ثم رجعوا إلى المدينة بآثار معنوية عظيمة، سالمين بغير خسائر ولا حرب، وتعتبر حمراء الأسد تتمة وختام لأحداث معركة أحد.

أحداث الغزوة:

* وكان معبد بن أبي معبد الخزاعي قد رأى خروج رسول الله ﷺ والمسلمين إلى حمراء الأسد وأسلم وعزى النبي ﷺ بمصاب أصحابه ثم لقي أبا سفيان وكفار قريش بالروحاء، فأخبرهم بخروج النبي ﷺ في طلبهم في جمع لم ير مثله، ففت ذلك في أعضاد قريش وثنّاهم عن رأيهم بعدما أرادوا الرجوع إلى المدينة؛ وبهذا كسرهم خروج النبي ﷺ، وعرفوا أن الذي أصاب المسلمين لم يوهنهم عن طلب عدوهم؛ فرجع المشركون إلى مكة.

* **ومما ورد في ذلك:** "وأقبل معبد بن أبي معبد الخزاعي إلى رسول الله ﷺ ، فأسلم، فأمره أن يلحق بأبي سفيان، فيخذله، فلحقه بالروحاء، ولم يعلم بإسلامه، فقال ما وراءك يا معبد ؟ فقال: محمد وأصحابه قد تحرقوا عليكم، وخرجوا في جمع لم يخرجوا في مثله، وقد ندم من كان تخلف عنهم من أصحابهم، فقال: ما تقول؟ فقال: ما أرى أن ترتحل حتى يطلع أول الجيش من وراء هذه الأكمة. فقال أبو سفيان: والله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم. قال: فلا تفعل فإني لك ناصح، فرجعوا على أعقابهم إلى مكة، ولقي أبو سفيان بعض المشركين يريد المدينة، فقال: هل لك أن تبلغ محمدا رسالة وأوقر لك راحلتك زبيبا إذا أتيت إلى مكة ؟ قال: نعم. قال: أبلغ محمدا أنا قد أجمعنا الكرة لنستأصله، ونستأصل أصحابه"(١)؛ فلما بلغهم قوله، قالوا: ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۝١٧٤﴾ [آل عمران: ١٧٤].

(١) زاد المعاد: (ج٣/ ٢١٧).

مقتل اثنين من المشركين الغادرين على هامش غزوة حمراء الأسد:

* قد ظفر المسلمون بغادر مخادع من المشركين يكنّى بأبي عزة الجمحي وكان شاعرا، ولما أُسِر ببدر شكا فقرًا؛ فمنّ عليه النبي - ﷺ - وأطلقه بغير فداء، فظفر به بأحد فقال مُنَّ عليّ وذكر فقرَه وعياله؛ فقال النبي ﷺ : (لا تمسح عارضيك بمكة تقول سخرت بمحمد مرتين، وقال النبي ﷺ حينها: "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين"، وأمر به فقُتِل.

* وظفر النبي ﷺ في خروجه بجاسوس مكة معاوية بن المغيرة بن العاص بن أمية، جد عبد الملك بن مروان لأمه، فهو والد عائشة أم عبد الملك بن مروان، وكان قد جاء لابن عمه عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد غزوة أحد فاستأمن له عثمان النبي ﷺ فأمنه بشرط إن وجد بعد ثلاث قتله، فلما خلت المدينة من الجيش الإسلامي بعدما خرجوا لحمراء الأسد ظل بها أكثر من ثلاث يتجسس لحساب قريش، ولما رجع الجيش للمدينة؛ لاذ هو بالفرار فأمر النبي ﷺ زيد بن حارثة وعمار بن ياسر بضرب عنقه.

نتيجة غزوة حمراء الأسد المتممة لغزوة أحد:

* ورجع المسلمون للمدينة بمعنويات مرتفعة، مُنتصرين بعد غزوة حمراء الأسد التي كانت ختاما لغزوة أحد رافعا لرؤوسهم، وزادهم الله به ثباتا وتأييدا، وإيمانا ويقينا، وخفف الله عنهم حينها بالمواساة القرآنية الخالدة العظيمة: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٠٤﴾ [النساء: ١٠٤].

* وحينها تبدّد الحزن وطابت الجراح وانقشعت مشاعر الهزيمة والآلام التي أصابتهم بعد أحد، وقوّاهم الله وعوّضهم بهذا الحدث وأخلف عليهم عزّةً ومَنَعة بعد امتثالهم لأمر الله تعالى واستجابتهم لدعوة النبي ﷺ ، فازدادوا ثقةً أنّ العسر يصحبه اليسر والشدة مقرونة بالفرج، وأن وعد الله حق بنصر المؤمنين، وعرفوا حكمة الله من كل ما مرّوا به وحازوا ثمرة الابتلاء وتعلموا منه، كما اتضحت قوتهم في أعين المشركين وزادت هيبتهم بعدم الاستسلام والخروج بعد أحد

مباشرة، وتجلّى ثباتهم ومدى استعدادهم للتفاني في الجهاد في سبيل الله وطاعة الله ورسوله رغم الجروح والتعب وقسوة الشعور بالهزيمة؛ فأنزل الله تكريما لهم قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٢-١٧٤].

ومضة الجوهرة في الآثار الإيمانية لغزوة أحد وخاتمتها حمراء الأسد:

١- استجابة الصحابة لأمر الله ورسوله ﷺ بالخروج للجهاد كانت سبب للعز والرضوان في الدنيا والآخرة، ومدخلا لنيل الشهادة لمن استشهد في المعركة من ليوث الإسلام وأنياب الأمة وأعضادها.

٢- لا ينبغي الرجوع عن الجهاد بعد الشروع فيه واتضح ذلك من موقف النبي ﷺ عندما ارتدى لَأْمَتَهُ ولم يستجب لفكرة التراجع بعدها لأنه شرع في الخروج، وهذا

شأن الباسل الهمام ودين البطل المقدام، وكأن الخيل تشتاق أن تُحَجَّلَ بدماء أعاديه، ومَن كرسول الله ﷺ إذا حانت الحرب ترى الشجاعة فيه!

٣- الرحمة بالصبيان والصغار تقتضي عدم الإذن لهم في الخروج للجهاد؛ فالحال بين أبناء الأمة أربت على المودة والحرمة، وعدت في شواجر الرحم واللُّحمة، ومزجت بالأخوة المهجة بالمهجة؛ فالخوف عليهم مما لا يطيقون وحمايتهم منه فاق في القوة والصفاء ما بين القربى من منازل الحرص والإخاء.

٤- تجلت فائدة خروج النساء للمساعدة في مداواة الجرحي وسقيا المقاتلين وتقديمهن المعونة؛ فلهن مدخل في الإغاثة يثبت في مواقف الشِّدَةِ أقدامهن، تجد منهن المداواة بلسما حتى تقول طبيبات، وتجد منهن الغوث قد هَمَى حتى تقول غمامات.

٥- تعلُّم سوء عاقبة عصيان أمر الله ورسوله ﷺ، وشؤم المخالفة والتنازع مما اتضح ذلك في تصرف الرماة وما حدث بعده؛ ففي ذلك إنباض للتبصير وإيماض

للتحذير لئلا تُخامِر المسلمين بعدها سكرةُ الْغِرَّة، ولا تعترض لهم عن اليقظة سنةُ الغفلة.

* قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [سُورَةُ آلِ عِمرَانَ: ١٥٢]

٦- إيثار الآخرة على الدنيا يورث النصر والتمكين، والتأييد والفتح المبين، والذي يسير في ظل الطمع يسف إلى حضيض التضع، أما المؤمن فتجده في أعمال الآخرة وبغيتها قد كف عن زخرف الدنيا ونضرتها، وغض طرفه عن متاعها وزهرتها، وأعرض عنها إن بدت له بزينتها، وصد عنها إن تصدت له في حليتها، واختار مراد الله على مراد نفسه ودنياه.

٧- مرتبة نيل الشهادة هي تتويج لكل نفس مؤمنة فضّلت محبة الله والجهاد في سبيله وابتغاء مرضاته على حب الحياة فوهبها رب العالمين الحياة الأبدية بكرامة خالدة في عليين، قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمرَانَ: ١٤٠]

٨- جواز مداهمة العدو والانغماس فيه كما فعل أنس بن النضر رضي الله عنه ، وذلك من قول ابن إسحاق: وحدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النجار، قال: انتهى أنس بن النضر، عم أنس بن مالك، إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم ؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ ؛ قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده ؟ (قوموا) فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ، ثم استقبل القوم، فقاتل حتى قتل وبه سمي أنس بن مالك.

٩- جواز الخروج للجهاد وذلك لمن كان له عذر وإذن في التخلف عنه لمرضه.

١٠- يصلي الإمام قاعدا ومن وراءه كذلك يصلون قعودا إن أصيب الإمام في الحرب.

١١- من السنة ألا يُصَلى على الشهيد ولا يُغَسَّل ولا يدفن في غير ثيابه، ولا يدفن في غير مكان الحرب، ويجوز الجمع بين الشهيدين في قبر واحد أو دفن ثلاثة مع تقديم الأكثر حفظا للقرآن الكريم.

١٢- جواز تمني الشهادة في سبيل الله والدعاء بذلك.

١٣- الأخذ بالأسباب دأب المفلحين والأنبياء والصادقين؛ فتأمل ارتداء النبي ﷺ لَأْمَة الحرب وأنه ظاهر بين درعين وقتال جبريل وميكائيل عليهما السلام معه وهو النبي المعصوم والذي يحرسه الله من القتل وينشر به دينه.

١٤- المسلم الذي يُقْتَل عن طريق الخطأ على أيدي المسلمين في المعركة حال الظن أنه من جيش العدو له ديّة يدفعها الإمام من بيت مال المسلمين.

١٥- تبينت في هذه الغزوة سنة الله في وجود الصراع بين الحق والباطل، وأن الحرب سجال وغلبة وهزيمة؛ ليتجلى صبر المجاهدين ومدى إيمانهم وثباتهم وحبهم للدين، ودفاعهم عنه، والعاقبة للمتقين، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾

[سُورَةُ آلِ عِمرَانَ: ١٤٢]

١٦- الفهم العميق من خلال الحكم التي أظهرتها الآيات الكريمة التي أنزلها الله في أحداث غزوة أحد يؤكد أن وراء هذه الغزوة تمحيصا للمؤمنين وإبرازًا للمنافقين ومحقًا للكافرين قدّره الله بتلك الخطة الإلهية التي سارت بها المعركة وأحداثها لتعليم المسلمين وإشهادهم على صدق المؤمن وعُلُوِّه، ونفاق المنافق ومحق الكافر، قال تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٤١﴾

[سُورَةُ آلِ عِمرَانَ: ١٤١]

* وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [سُورَةُ آلِ عِمرَانَ: ١٧٩]

١٧- تجلي أحوال قلوب الأولياء من المؤمنين حال البلاء والشدّة وتمييز درجة العبودية في تلك الأوقات الصعبة، وتحقيق التوازن بالضراء والسراء لتربية قلوبهم على التعبد حال النصر والهزيمة.

١٨- تنقية النفوس البشرية الضعيفة من العجب والطغيان الذي قد تورثه الانتصارات المتتالية بالهزيمة المؤقتة التي تدفع صاحبها للتعلم والتقدم والتقوّي أكثر.

١٩- في عفو الله ما يمحو الزلل والكبائر، وقد تبين ذلك بعد خطأ الرُّماة من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾.

٢٠- الكبيرة لا تسلب المؤمن إيمانه ولا تنفيه، فقد قال تعالى بعد ذكره العفو عنهم: ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥٢﴾.

٢١- لولا تلك الغزوة وغيرها لما نال الشهداء الشهادة في سبيل الله ولما نال الجرحى والمجاهدون الأجور العظيمة وبلغوا أعلى المنازل بالجنان وذلك بما لاقوا من جراح يصحبها الشعور بالألم؛ ومِن ثَم فإن غزوة أحد كانت درجًا للكرامة والعلياء، وكذلك تكون الاستجابة لأمر الله دَرجًا لكرامة الأولياء في جميع المواضع التي تتطلب الجهاد من نفوس المؤمنين.

٢٢- دفاع الصحابة -رضوان الله عليهم- عن النبي ﷺ يُحيي حبه وتمني الدفاع عنه في قلب كل مؤمن مدى الزمان.

٢٣- وقوف النساء بين الدماء والسيوف في أرض المعركة لسقيا الجرحى ومداواتهم مؤثر وملهِمٌ لكل نساء الأمة ومُوقِدٌ للهمم.

٢٤- شفقة النبي ﷺ على النساء التي ظهرت في قوله للصحابة: (المرأة المرأة) حينما اقتربت امرأة من القتلى، هي شفقة تظهر منتهى الرحمة في نفس القلب الذي يدافع بمنتهى القوة والحزم عن دين الله ويحارب بسيف الحق أعداءه.

٢٥- مدى حزن النبي ﷺ على عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه تظهر الجانب الخاص في قلب النبي صلى الله عليه بقرابته ومدى ارتباطه وتأثره وتجعلك وكأنك تعيش في كنفه وترى ما مَر به، وتظهر قدر سيد الشهداء ومكانته عند النبي ﷺ.

٢٦- تمسك سيدنا جابر بن عبد الله بن حرام بالخروج مع النبي لحمراء الأسد رغم حزنه على والده ورغم عدم السماح لغير مَن حضر غزوة أحد بالخروج شيء يجعلك تتمسك دائما بكل خيط يبلغك المعالي ولا تستسلم مهما فاتك من خير ومهما حدث.

٢٧- عدل وبر النبي ﷺ بأصحابه وتذكره لجهدهم في السر والجهر ورغم لحظات الشدة والحزن، وذلك عندما أشار لتفاني بعضهم في قوله للإمام علي رضي الله عنه

عند غسل السيوف: (لئن كنت صدقت القتال فلقد صدق معك سهل بن حنيف وأبو دجانة)، وفي ذلك مدعاة للعدالة والبر والامتنان، وشكر الخلق لأنه من شكر الرب.

٢٨- جُرح النبي ﷺ في هذه الغزوة ينبغي أن يتذكره كل مؤمن عند أي مصاب يمر به؛ فسيد الخلق وحبيب رب العالمين أصيب وجُرح وتألَّم؛ فليتصبر المؤمن كلما مر بشِدَّة، وليعلم أن الألم والبلاء لا يعني غضب الله عليه ولا يعني أن الله لا يحبه، إنما هو لحكمة ورفعة له.

٢٩- عند مناداة أبي سفيان على المؤمنين في ختام المعركة شامتا بهم متباهيا بالأصنام نهى النبي ﷺ الصحابة -رضوان الله عليهم- عن إجابته تارة لحكمة، وأمرهم أن يردوا عليه تارة لضرورة وعِزّة، ولنا درس وحكمة من النهي والأمر في مثل ذلك الموقف؛ فقد نهاهم عن الرد حينما كان السؤال عنهم وذلك مما يُتجاوز عنه لتفادي الضرر و مقصد حفظ النفس لكن حينما تجبّر أبو سفيان وقال: (أعل

هبل) لزم الأمر أن تعلو كلمة الله؛ فأمرهم النبي ﷺ أن يقولوا: (الله أعلى وأجل)، إلى آخر الحديث.

٣٠- نزول آيات المواساة للمؤمنين بعد الغزوة هي كرامة لهم ورحمة من الله ومؤانسة خالدة تُعَرِّف المؤمن بمدى لطف ربه وحنانه ورحمته.

٣١- حكمة الله في خروج المسلمين لحمراء الأسد في ختام غزوة أحد والتي لولا مشيئته لم تكن، وقضاؤه بذعر المشركين ورجوعهم إلى مكة محض دفاع من رب العزة عن المؤمنين، وترتيب إلهي بالتعويض المعنوي في ذات الوقت للمؤمنين إكراما لهم وإعلاءً لكلمة الحق، ولملء قلوب الأعداء بهيبتهم، وتغذية أفئدة المؤمنين بالشعور بالغلبة والنصر المبين، إنه دفاع الملك عن أوليائه ولطف اللطيف وحنان ورحمة الرحمن الرحيم بجنده وحزبه الذين كتب لهم الفوز والتمكين.

خاتمة المجلد الثاني

وختاما أقول إن نظري في كتب السيرة النبوية طيلة عمري كان تأملا بها، أما كتابتي للجوهرة فكأنها هي التي أضحت تأمُّلًا بوجداني؛ فقد ظننت أنني سأتناول الأحداث بعدستي المكبرة لكنني وجدت أن الأحداث هي التي وضعت عدسة مكبرة على شعوري أثناء تناولها، وكثيرا ما كنت أشعر بالتورط؛ لاستغراقي في الحدث بعد الانتهاء منه واضطراري للبدء في الذي يليه قبل أن أشبع استغراقا في الحدث الأول، فأكف ما تبقى من دموعي مستسلمةً للحدث التالي الذي يشد ذراعي لأنتقل له وأبلِّل ببنات جفني أوراقه، وأنا لم أكتف من سكب نفسي فيما سبقه، ولم يكتفِ هو من سكب تفاصيله ومشاهده بي؛ لذا سأظل أشعر أنني لم أوفِ الجوهرة حقها.

وهنا تم بحمد الله المجلد الثاني من كتاب الجوهرة في شرح المنظومة المنورة في السيرة النبوية المطهرة ويتبعه بحول الله وقوته المجلد الثالث إن شاء الله؛ فاللهم لك الحمد والشكر حمدا وشكرا خالِدَين مع خلودك، لا منتهى لهما دون علمك ولا منتهى لهما دون مشيئتك ولا آخر بعدهما إلا الاستجابة لدعائي في الخير كله ما حييت، والقبول والرضا والرضوان، وأن يغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات ويعطينا سؤلنا من خيري الدنيا والآخرة ومرافقة نبيه صلى الله عليه وسلم في أعلى فراديس الجنان، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين عدد وملء كل شيء للحي القيوم إلى يوم الدين، وأضعاف ذلك أضعافا لا منتهى لها أبدا يا رب العالمين.

وكتبته

خادمة علوم المصحف الشريف



المقرئة بالقراءات العشر الصغرى والكبرى

المعدّة لمصاحف نور بالقراءات المتواترة

الفهرس



